

الشيخ جوادي آملي

جمال المرأة وجلالها

دار الهادي
بيروت - لبنان

جمال المرأة وجلالها



الشيخ جوادي آملي

جمال المرأة وجلالها



الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون وفاكس: ٨٣٤٢٦٥ - ٣١٧٤٢٥ - تلكس: MCS٢٠٧٧٧-٢٢٥٩٧ بلاغ.
ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان.

تقدير وتثمين

١ ـ هذا الكتاب هو خلاصة بحوث درست في جامعة الزهراء عليها السلام في مدينة قم سنة ١٩٨٩م وألقيت على الاخوات من طلبة العلوم الدينية اللواتي يدرسن في مستويات عالية من العلوم المعقولة والمنقولة.

٢ ـ نقد بعض الشبهات الفقهية، التفسيرية وغيرها جرى بتعاون هؤلاء الطالبات.

وقد وافقن باخلاص كامل على تحمل عناء نقل البحوث من الأشرطة المسجلة والقيام بتنقيح ابتدائي وتصحيح وتنظيم لها.

لذا أشكر المسؤولات المحترمات في جامعة الزهراء عليها السلام والمدرسين والمدرسات والطالبات في هذا المركز العلمي.

٣ ـ جزء مهم من مواضيع هذه المقدمة كان ثمرة ندوة أقيمت من قبل المسؤولين المحترمين لاذاعة وتلفزيون الجمهورية الإسلامية في إيران حول

مكانة المرأة وسيرتها الإسلامية في السلوك والكلام والكتابة، وتقديم فن ممدوح وإيجاد العاطفة والمرونة في المجتمع، مع تحرز كامل عن التهتك.

٤ ـ جزء آخر من بحوث هذه المقدمة كان إجابة عن عدة أسئلة علمية طرحت من قبل المسؤول المحترم لمركز دراسات شؤون المرأة، حيث خصص له حصة مستقلة من هذه المواضيع لاحتوائه معارف قرآنية رفيعة. وأشكر جهود المتصدين لذلك المركز، وادعو لهم بالسعادة والنجاح في معرفة جلال وجمال المرأة.

٥ ـ التنقيح النهائي والتصحيح والتنظيم الكامل والاشراف العلمي كان بعهدة حجة الإسلام السيد محمود اللطيفي من مدرسي جامعة الزهراء عليها السلام المحترمين. أرجو له النجاح في عمله والثواب عند رب العالمين.

٦ ـ الطبع المصحح والفني لهذا الكتاب تولاّه مركز الرجاء للنشر الثقافي. أرجو له الصلاح والفلاح والنجاح.

الجوادي الآملي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

«قال أمير المؤمنين علي عليه السلام عقول النساء في جمالهن وجمال الرجال في عقولهم»

(أمالي الصدوق المجلس الأربعون)

كل كائن هو مظهر اسم من الاسماء الإلهية؛ لأن الخلق الذي هو من الأوصاف الفعلية لله، وليس من أوصافه الذاتية، هو عبارة عن تجلي الخالق في وجوه الكائنات المتنوعة؛ كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (الحمد لله المتجلّي لخلقه بخلقه)[1]. عنوان التجلي من ألطف التعابير العرفانية التي ذكرت في القرآن وأحاديث العترة، واستقطب السالكين ذوي التفكير البعيد والنظرة البعيدة؛ لأن السالك المحب يعرف العلامة المقصودة قبل الباحث المفكر ويلتذ بها، ولا يكتفي أبداً بسماع صوت جرس قافلة طريق الحق بل يسعىٰ للعبور من العلم إلى العين ومن السماع إلى اللقاء.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨.

ان تجلي الحق له درجات متنوعة بعضها عامل لانهيار الجبل الراسخ الذي هو حافظ ومثبّت للأرض؛ **﴿فلما تجلىٰ ربه للجبل جعله دكّاً وخرّ موسىٰ صعقاً﴾**[1] ، وبعضها أساس إقامة اقدام المنكسرين وايصالهم من حضيض الذلة إلى ذروة العزة؛ كما ان رفع المستضعفين ووضع المستكبرين[2] قائم على هذا الأساس أيضاً.

إن التشكيك المشهود في درجات التجلي يعود إلى درجات الظهور التي يتأمن بها العرفان، وليس إلى درجات الوجود حيث تنظم الحكمة المتعالية على ذلك الأساس، لأن عالم الخلق بجميع شؤونه المتنوعة أقل من ان يكون مساهماً في أساس الوجود فشدته وضعفه هو في الظهور وليس في الوجود.

إن تجلي الحق يكون أحياناً عامل موت، وأحياناً أساس حياة. كما أن ملك الموت كملك الحياة كلاهما تجلٍّ لله، يظهر أحدهما حين إعطاء الأرواح للأحياء والآخر حين قبض الأرواح منهم، لذا ذكر الإمام السجاد عليه السلام مسألة قبض روح الإنسان بواسطة عزرائيل عليه السلام باعتبارها تجلّي ملك الموت من حجب الغيب فقال: . . . وتجلىٰ ملك الموت لقبضها من حجب الغيوب[3] . من هنا فإن إماتة الحق هي تجلّيه، كما أن إحياءه هو تجلّيه.

ان أنسب تعبير لعالم الامكان هي عبارة (آية)، بمعنىٰ العلامة التي ترافقها الثقافة الفنية والقوية للقرآن، ولأن كل موجود إمكاني بكل ذاته وصفته وفعله هو آية لله. فهو ليس لديه شيء من نفسه، لأنه يكون في ذلك

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.
(٢) دعاء الافتتاح.
(٣) الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٢.

الحال حاجباً وليس آية. لأن المستقل لا يبين غيره، وإن تصور الاستقلال هو أيضاً حاجب شهود يمنع من مشاهدة الله المتجلي، مع ان وجه الله ظاهر أينما تنظر: ﴿**فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾، ولكن الإنسان المختال والمتوهم الذي يعيش في حجاب وهم الانانية أو الغيرية محروم من لقاء الحق.

ولأن الله هو بسيط الحقيقة وليس فيه أية كثرة وتعدد، لذا فأوصافه الذاتية هي عين ذاته بناء على هذا فإن اسماءه الحسنىٰ كلها آية الذات الأحدية، أي أن كل اسم معه جميع الكمالات الذاتية والوصفية والفعلية، واختلاف الاسماء الإلهية بغض النظر عن المحيط والمحاط ، وبصرف النظر عن التقسيمات الأُخرىٰ، هو في ظهور وخفاء الكمالات فقط، أي أن كل اسم فيه جميع الكمالات الإلهية ومظهرها كلها، ولكن هناك اختلاف بين الاسماء في ظهور وخفاء تلك الكمالات. بناء على هذا فان مظهر كل اسم لديه كمالات الاسماء الأُخرىٰ، وان لم تظهر الكمالات المزبورة فيه فعلاً.

ان الجلال والجمال وهما من الاسماء الإلهية لهما مظاهر متنوعة، ولكن لأن جلال الحق كامن في جماله وجماله مستور في جلاله فان الشيء الذي هو مظهر الجلال الالهي فيه جمال الحق، والشيء الذي هو مظهر جمال الله يكون فيه الجلال الالهي. والمثال البارز لاستتار الجمال في كسوة الجلال يمكن استنباطه من آيات القصاص والدفاع، أي أحكام القصاص والاعدام، والاماتة وإراقة الدماء، والقهر، والانتقام، والغضب والسلطة، والاستيلاء وأمثالها، التي تعد من مظاهر الجلال وجنوده الخاصّين، ويقابلها الإحياء وصيانة الدم والرأفة والتشفي، والسرور وأمثالها التي تعد من مظاهر الجمال وجنوده الخاصّين، كما يقول الله صاحب الجلال والجمال: ﴿**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب**﴾[1] ، أي أن هذا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

الإعدام الظاهري ينطوي على إحياء في باطنه، ويمنع من القضاء الظالم للآخرين، وهذا الموت الفردي يؤمن الحياة الجمعية للمجتمع، وهذا الغضب الزائل تتبعه رحمة مستمرة و. . . وكما يقول تعالىٰ بشأن الدفاع المقدس والقتال عند هجوم الأعداء: ﴿**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**﴾[1] هذه الآية نزلت في سياق آيات القتال والدفاع. وهي سند ناطق لدفع توهم الذين كانوا يرون ان الموت في سبيل الله فناء ويتصورون أن الجهاد والدفاع هلاك، وخلاصته مضمونها هو أن محاربة المعتدين والثورة على القهر والاقدام في ساحة الحرب مع الباطل هي مظهر الجلال الالهي، ولكن يرافقها الصلح مع الحق والتسليم أمام القسط والعدل وتأمين حياته والآخرين، وهي كلها من مظاهر جمال الله. طبعاً جميع الأوامر السماوية هي حياة، والحياة لا تختص بالجهاد والدفاع، لكن الآية المتقدمة نزلت في قضية الحرب مع الباطل والايثار والتضحية في طريق الحق، حيث يقول: إن إجابة دعوة منادي الجهاد تضمن حياتكم، كما يقول بعد القيام والاقدام والجهاد والاجتهاد والحضور في ساحة محاربة الظلم ونيل مقام الشهادة الشامخ: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون**﴾[2] فالدفاع وهو مظهر جلال الله سيكون عاملاً ضامناً للحياة الفردية والجماعية وضامناً لحياة سليمة في الدنيا والآخرة، وهذا هو استتار الجمال في ظل الجلال واشتمال كسوة الجلال على نواة مركزية للجمال.

ويلزم التوجه إلى أن انسجام الغضب والرحمة وتضامن الجلال والجمال لا يختص بالمسائل المذكورة كالقصاص والدفاع، بل هو كامن في

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

كل الشريعة ومشهود في كل شؤونها، بحيث أن كل إرادة كامنة في الكراهة، وكل اشتياق مستتر في الاستياء، لذا يقول تعالىٰ: **﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسىٰ أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾**[1]، أي أن القتال الذي يعد ظاهراً شراً وعامل كراهة في داخله خير وسيكون أساس إرادتكم، وفي المسائل العائلية أيضاً يعد تحمل بعض المصائب شرّاً في الظاهر ولكن سوف يكون في داخله خير لا يحصىٰ وهو ترسيخ الأسرة وحراسة كيانها، كما قال: **﴿فعسىٰ أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾**[2]، الخلاصة هي أن التكليف الإلهي وان رافقه كلفة ومشقة فهو بدوره آية لجلال الله، ولا يكون باطنه إلا تشريفاً وهو آية جمال الله. لذا يتشرف كل مكلف، وهذه الكلفة والمشقة العابرة في امتثال الأوامر الالهية تجلب شرفاً راسخاً، من هنا نقرأ في القرآن الكريم بعد الأمر بالوضوء والغسل والتيمم «ان الله يريد ان يطهركم» أي ان هذا التكليف الظاهري يرافقه تطهير معنوي يعمل على ضمان جمال القلب: .. **﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهّركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾**[3]، فكما أن زكاة المال هي ظاهراً عامل نفاده ونقصانه، ولكن باطنها معبأ بالنمو والنضج، **﴿يمحق الله الربا ويُربي الصدقات﴾**[4]، **﴿وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾**[5] والشاهد على استتار الجمال في كسوة الجلال هو ان الجنة تقع في باطن مشقات ومصاعب السير والسلوك والصبر والاستقامة في الجهاد الأصغر والأوسط والأكبر: حفّت الجنة بالمكاره. كما أن الجلال

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٩.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٧٦.
(٥) سورة الروم، الآية: ٣٩.

واقع في باطن بعض الجمالات: حفّت النار بالشهوات، لأن الشهوات واللذات والنشاطات وأمثالها هي مظاهر الجمال، وإذا لم توازن وتجاوزت حد الحلال وأخذت جنبة حيوانية محضة فانه سيرافقها في باطنها غضب الله.

ان أهم مثال لاختفاء الجمال في وجه الجلال وأفضل شاهد على أن الجمال كامن في ظل الجلال وعلى استتار الرحمة في كسوة الغضب هو تبيين وضع جهنم أو أنواع العذاب الأُخرىٰ كما في سورة الرحمن التي نزلت للتذكير بالنعم الالهية الخاصة وتطلب من جميع المكلفين اعترافاً وتسد عليهم طريق أي نوع من التكذيب، أعلن فيها ان جهنم ونيرانها المحرقة نعم إلهية خاصة، ويؤخذ من الجميع إقرار بأن تكذيبها لا يجوز، ولا يمكن إنكار أصل وجودها وكونها نعمة إلهية، قال تعالىٰ: **﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن * فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾**[1]، وكما ان عذاب جهنم يرافقه انسجام الجلال والجمال، كذلك عذاب الاستئصال وتدمير الدنيا يرافقه انسجام الغضب والرحمة وجلب النقمة والنعمة معاً، كما يستفاد من الآيات: **﴿وانه هو ربّ الشعرىٰ * وانه أهلك عاداً الأولىٰ وثمودا فما ابقىٰ * وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغىٰ * والمؤتفكة أهوىٰ * فغشاها ما غشىٰ * فبأيّ آلاء ربك تتمارىٰ﴾**[2]؛ لأن اسقاط الطواغيت والنظام الظالم القمعي يعدّ من الآلاء والنعم الإلهية. ولا يرىٰ جواز أية مرية وشك في ذلك، ورغم أن إنكار نعم الله وكفرانها له جزاء كجزاء الأقوام المذكورة ولكن ظاهر الآيات المذكورة هو أن إسقاط نظام الظلم قائم على أساس الرأفة الإلهية بالمحرومين، أي ان تلك الرأفة والجمال ظهرتا في ظل الغضب والجلال واختلط رفع

---

(١) سورة الرحمن، الآيات: ٤٣ ـ ٤٥.

(٢) سورة النجم، الآيات: ٤٩ ـ ٥٥.

المحرومين مع وضع المستكبرين لكي ينتصر كوثر الصبر والحلم على تكاثر البطر والأشر.

هذا المزج بين الغضب والرأفة له ظهور في كل كائن بمقدار سعة وجود ذلك الكائن، أي هو في الكائنات المجردة التامة أقوىٰ من الكائنات المستكفية، وفي الكائن المستكفي أقوىٰ من الكائنات الناقصة، وفي ذات الله الذي هو فوق الجميع يبلغ الكمال المحض.

نشأة الكثرة ومنطقة المادة لأن ظهورها الجمعي قليل لا يشعر بانسجام واتحاد هذين الوصفين: الجمال والجلال، بل يظهر وكأن بعضها فقط مظهر غضب ليس فيها رأفة، وبعضها محور رأفة بلا غضب، لكن البرهان والعرفان حاكمان على الحس ويصلحان نقص الشعور بالتحليل المفهومي أو التجليل الشهودي؛ لأنه ليس ممكناً أن يكون شيء آية الله تعالىٰ ولا يظهر جميع أوصافه. طبعاً هناك تمايز بينها في كيفية كونها آيات وكيفية الإظهار.

إن الإنسان الكامل بسبب انه جامع لجميع الكمالات الامكانية؛ لأنه مظهر جميع الاسماء يظهر هذا الانسجام أفضل من الكائنات الأُخرىٰ، لذا رفض الرسول الأكرم ﷺ اقتراح اللعن في قضية معركة أحد رغم تحمل جميع المشقات وقال: لم أبعث لعّاناً بل بعثت داعياً ورحمة، اللهم أهدِ قومي فإنهم لا يعلمون.

ان هذا المزج بين الغضب والرأفة يسمىٰ هجراً جميلاً، وقد كان النبي مأموراً بذلك: **﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً﴾**[1] كما أن أساس الوظيفة أمام الأمر الالهي هو الصبر الجميل: **﴿فاصبر صبراً**

(١) سورة المزمل، الآية: ١٠.

جميلاً﴾[١] ومثال هذا المزج الميمون يمكن مشاهدته في قصة يعقوب المبتلى بهجران يوسف عليه السلام وعدم رأفة أبنائه، كما جاء في القرآن الكريم: **﴿بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان﴾**[٢] .

إن قابلية الإنسان الكامل فيها استطاعة مزج هاتين الصفتين الممتازتين، وحفظ توازنهما في المسائل العامة والبسيطة، لذا نبفس النسبة كان جلال غضب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يمتزج مع جمال رأفته في المسائل السياسية والعسكرية. وفي البحوث الثقافية كانا يمتزجان: **﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل﴾**[٣] ، كان يحافظ أيضاً على ارتباطها في المسائل العائلية البسيطة، كما أمر بذلك: **﴿فتعالين امتعكن واسرحكن سراحاً جميلاً﴾**[٤] ، ولأن خلاصة اخلاق الإنسان الكامل هو القرآن الكريم، وكلاهما تجليا من منبع رفيع واحد، مع اختلاف في أن أحدها أرسل والآخر أُنزل وأحدهما نزل في صحبة الآخر، أي ان القرآن نزل في معية الإنسان الكامل، لا أن الإنسان الكامل أرسل في معية القرآن: **﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾**[٥] لذا فالقرآن أيضاً جامع للجمال والجلال الالهيين وفيه انسجام الغضب والرأفة، كما ان الله عرف القرآن كدواء شافٍ مزيل للآلام، لكنه ينتج ألماً وعامل خسارة: **﴿وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾**[٦] . طبعاً إن تبيين جامعية القرآن بالنسبة إلى الشفاء والرحمة من

(١) سورة المعارج، الآية: ٥ .
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٨ .
(٣) سورة الحجر، الآية: ٨٥.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢٨ .
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧ .
(٦) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

جهة، والخسارة من جهة أُخرىٰ وكذلك بالنسبة إلى الهداية من جهة والاضلال من جهة أُخرىٰ المذكور من الآية الكريمة **﴿.. يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين﴾**[1]، يتضح بالتأمل في نفس الآيات المذكورة؛ لأن تعليق الحكم في كلتا الآيتين على وصف مشعر بعلية ذلك الوصف، أي أن وصف الظلم في الآية الأولىٰ وصفة الفسق في الآية الثانية دليل على أن الظالم والفاسق هما كالمريض المصاب في جهاز الهضم ولا يستطيع هضم الفاكهة الطيبة واللذيذة ويقوم برد فعل بدلاً من القبول، لذا يزداد مرضه، وإلا فإن أساس المرض لا يكون من القرآن. كما ان أساس الضلالة والخسارة أيضاً ليس من الأوصاف السلبية للقرآن وبعيد عن ساحة قدسه، ولكن هذا الإضلال العارضي والخسارة الثانوية التي هي مظهر غضب الله تكون منسجمة مع تلك الهداية الإبتدائية والمستمرة والذاتية والأصلية وأيضاً مع ذلك الشفاء المستمر.

الخلق ممزوج بالجمال في رؤية القرآن الكريم، الجمال النفسي والجمال النسبي، سواء في حدود الكائنات المادية أو في منطقة الكائنات المجردة والمعنوية، ولكن الجمال النفسي لكل كائن في حد ذاته سواء كان مادة أو مجرداً يحصل استنباطه من انضمام آيتين في القرآن، آية **﴿الله خالق كل شيء﴾**، التي تدل ان كل شيء غير الله هو مخلوق من قبل الله، سواء كان مجرداً أو مادياً، وسواء كان من الذوات أو من الصفات الثانية، وآية **﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾**، التي تدل على ان كل شيء خلقه الله، خلقه جميلاً، ولا يوجد أي نقص وعيب نفسي في وجود المخلوقات، سواء كانت النشأة مادة أو منطقة مجردة، وسواء كانت منطقة ذوات الأشياء أو النشأة وأوصافها.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦.

أما الجمال النسبي لبعض المخلوقات بالنسبة إلى بعض المخلوقات الأُخرىٰ فيحصل استظهاره من دراسة عدة آيات إحداها آية **﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾** وآية **﴿زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾**.

من هذه الآيات تتضح الزينة والجمال النسبي للمخلوقات المادية بالنسبة إلى بعضها البعض، ويفهم من آية **﴿حبَّب إليكم الايمان وزينة في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان. . . .﴾**[1]، أن الله جعل الايمان محبوب القلوب وزينة لأرواح الناس؛ ولأن الروح الإنسانية هي مجردة وليست مادية، فالايمان أيضاً هو أمر معنوي وليس مادياً؛ فان هذا الأمر المعنوي أي الايمان أصبح سبباً في جمال ذلك الأمر المجرد، أي الروح الإنسانية. وقد بُيّن في القرآن الكريم مفصلاً تمايز الجمال التكويني عن الاعتباري وامتياز الجمال الرحماني عن الزينة الشيطانية.

إن تقسيم الجمال إلى معنوي ومادي في القرآن الكريم، ورد أيضاً في أحاديث أصحاب الولاية ومفسري القرآن الأصيلين، فقد ورد في كلمات أمير المؤمنين علي عليه السلام: الجمال الظاهر حسن الصورة والجمال الباطن حسن السريرة[2]. حسن النية جمال السرائر[3].

ان الترغيب بالجمال والحث على العمل الجميل مشهود في القرآن وكلام العترة، فقد أشار الله تعالىٰ إلى الاستفاد من جمال الغنم ضمن عدّ المنافع الاقتصادية لتربية الغنم وقال: **﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾**[4]

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٧.
(٢) الغرر والدرر، ج١ ص٣١٣.
(٣) المصدر نفسه، ج٣ ص٣٨٢.
(٤) سورة النحل، الآية: ٦.

وورد في حديث الإمام علي عليه السلام أن الرجال المتقين خاشعون في العبادة ومتجملون رغم الفاقة والحاجة[1] . وقال في وصيته لكميل: معرفة العلم دين يدان به، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته[2] التجمل من أخلاق المؤمنين[3] ، وهذا التجمل الذي هو من أوصاف الرجال المؤمنين يشمل كلا قسمي الجمال، رغم ان له شمولاً أكثر بالنسبة إلى الجمال المعنوي، لذا قال الإمام علي عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام : هكذا: «. . فلتكن مسألتك فيما يبقىٰ لك جماله وينفي عنك وباله؛ فالمال لا يبقىٰ لك ولا تبقىٰ له[4] ، فجمال الإنسان يكون في المعارف والفضائل.

ونقظراً لأنه ليس هناك فرق بين المرأة والرجل في المسائل المذكورة؛ لأن محورها كلها هو الإنسان ولا تؤثر خصوصية الذكورة والأنوثة في حقيقة الإنسان والايمان وأمثالها يمكن من الحديث الشريف المروي عن الإمام علي عليه السلام حيث قال: عقول النساء في جمالهن وجمال الرجال في عقولهم، فهم معنىٰ أمريّ وليس معنى وصفيّاً، أي لا يكون المقصود من الحديث الشريف وصف صنفين من الناس، وان عقل المرأة محصور في جمالها، حيث يكون في هذا جنبة ذم، وان جمال الرجل معبأ في عقله حيث يكون في هذا جنبة مدح، بل قد يكون معنىٰ ذلك هو أمر أو وصف بنّاء وليس وصف قدح وذم، أي ان المرأة مكلفة، أو تستطيع إظهار عقلها وفكرها الإنساني في ظرافة العاطفة وجمال الكلام والسلوك وكيفية

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣.
(٢) الكلمات القصار ١٤٧.
(٣) الغرر والدرر، ج١ ص٣٠٧.
(٤) نهج البلاغة، الرسالة٣١.

المحاورة، المناظرة وكيفية التعامل والحكاية وأمثال ذلك، كما ان الرجل مكلف ويمكنه إظهار فنه في فكره الإنساني وتفكيره العقلاني: فمثلاً يجب ان تستطيع المرأة جعل قداسة زوجة إبراهيم عليه السلام وكيفية تعاملها مع الملائكة وكيفية سماع بشارة الأمومة وحالة التعجب والقيام بإبراز الإنفعال الظريف بياناً للآية **﴿فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم﴾**[1] والآية **﴿وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾** التي ورد شرحها في متن الكتاب، ولا تسهل أبداً هذه الطرائف الفنية التي تمثل عين الطرائف العقلية على الرجال الفنانين، كما أن المرأة المتعلمة والعارفة بمعارف الشهادة والايثار والتضحية تستطيع بوصف الأم الحنون تشويق ابنها للجهاد وإظهار عقل طريف في ظل فن ظريف في توديعه عند الذهاب أو اظهار فكر وزين عقلي في لباس شوق وانتظار جميل وأمثال ذلك عند استقبال ابنها الشجاع الذي عاد منتصراً من ميدان القتال، كما أن الرجال الفنانين يستطيعون مقابل ذلك أن يبتكروا فنوناً ظريفة في ظل عقل طريف.

الخلاصة أن المرأة يجب أن تظهر طرائف الحكمة في ظرائف الفن، ويجب ان يظهر الرجل ظرائف الفن في طرائف الحكمة، أي ان جلال المرأة كامن في جمالها، وجمال الرجل يتجلىٰ في جلاله، وهذا التوزيع للعمل ليس ذماً للمرأة ولا مدحاً للرجل، بل هو إرشاد وأمر عملي لكل منهما. وكل شخص مأمور بعمله الخاص، وفي حالة التمرد على ذلك يستحق الذم، ويظهر اختلاف المرأة والرجل في كيفية تقديم الأفكار الصحيحة. وإلا فالمرأة كالرجل لديها لياقة تعلم العلوم والمعارف ويجب تقديرها ومدحها؛ كالرجل الذي يكون لائقاً لتقديم الفنون الظريفة ويجب مدحه وتقديره.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢٩.

إن ملاحظة هذه المسألة مفيدة وهي أن الأحكام والأوصاف التي ذكرت للمرأة على قسمين:

القسم الأول: يعود إلى أساس الأنوثة الذي لا يقع أي اختلاف فيه خلال القرون والأعصار، مثل لزوم الحجاب والعفاف ومئات الأحكام العبادية وغير العبادية الخاصة بالمرأة والتي لا تتغير أبداً. ولا يوجد أي فرق بين أفراد النساء في تلك الأحكام.

القسم الثاني: لا يعود إلى أساس المرأة بل يشير إلى كيفية التربية ومحيطها حيث أنه إذا تربت في ظل تعليم صحيح وتربية مدروسة وفكرت النساء مثل الرجال وتعقلن وتدبرن مثل الرجال فلا يتمايزن عن الرجال من هذه الناحية. وإذا حصل أحياناً اختلاف فهو مثل التمايز المشهور بين الرجال أنفسهم. مثلاً إذا دخلت نساء مستعدات إلى الحوزات والجامعات العلمية وقمن مثل الطلاب والطلبة الجامعيين بتعلم العلوم والمعارف الإلهية وحصلن على معرفة كاملة في الدروس المشتركة بين طلبة الحوزة من حيث الرؤية الكونية ومعرفة الإنسان ومعرفة الدنيا ومعرفة الآخرة وسائر المسائل الإسلامية، وتكون طريقة تعليمهن وتبليغهن الديني مثل رجال الدين حيث ان هناك مجموعة هي بالفعل كذلك ببركة الثورة الإسلامية، فهل يمكن القول أيضاً: إن هناك روايات وردت في ذم النساء وهناك أحاديث وردت في اجتناب استشارتهن وان الادلة الواردة في نقص عقولهن هي مطلقة، وليس فيها أي انصراف بالنسبة إلى النساء العالمات والمحققات من هذا الصنف، وان موضوع جميع تلك الأدلة هو ذات المرأة من حيث كونها امرأة كما هو القسم الأول؟ مثلاً أقوال الإمام علي عليه السلام في بيان وهن عقول النساء حيث قال: يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال وعقول ربات

الحجـال[1] إيـاك ومشـاورة النسـاء فـان رأيهـن إلـى أفـن وعـزمهـن إلـى وهن. . . . . [2] ليس فيها أي انصراف عن النساء المحققات والعالمات وان عقولهن كعقول الأطفال في قسم العقل النظري لأنهن نساء وبسبب أنوثة بدنهن، وان إرادتهن وتصميمهن وعزمهن واهن وغير ثابت في قسم العقل العملي، أم أن هذه التعابير هي بلحاظ الغلبة الخارجية التي منشؤها إبعاد هذا الصنف الثمين عن التعليم وحرمانه من التربية الصحيحة، حيث انه لو توفرت ظروف صحيحة لتعلمهن في ميدان التعليم والتربية فمن المؤكد أن الغلبة سوف تكون على العكس أو على الأقل لا تكون هناك غلبة حتى تؤدي إلى الذم.

الخلاصة: إن وهن العزم سوف لا يكون من أحكام القسم الأول مثل مسألة الحجاب والعفاف وأمثالها.

إن ذكاء ونبوغ بعض النساء له سابقة بعيدة وسبقهن في قبول الموعظة بالنسبة إلى الرجال لها شواهد تاريخية، عندما ظهر الإسلام في الحجاز كان تشخيص حقانيته من حيث العقل النظري يتطلب ذكاء رفيعاً والقبول به من حيث العقل العملي يتطلب عزماً فولاذياً يتحمل كل أنواع الخطر، لذا فان الشخص الذي كان يسلم قبل الآخرين في تلك الظروف كان يتمتع بامتياز خاص، ويعدّ هذا السبق من فضائله، لأنه ليس فقط سبقاً زمانياً أو مكانياً حتى لا يكون معياراً لقيمة جوهرية، بل كان سبقاً في الدرجة والمكانة: مثلما يعد إسلام الإمام علي عليه السلام من مناقبه الرسمية. من هنا يمكن إدراك ذكـاء ونبـوغ النسـاء اللـواتـي أسلمـن قبـل أزواجهـن وشخصـن حقـانيتـه بـالاستـدلال وآمـنّ بـه فـي ظـل عـزم راسـخ، بينمـا كـان هنـاك رجـال كُثُر لـ

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.
(٢) نهج البلاغة، الرسالة٣١.

يستنكفوا فقط عن القبول به والتشكيك في حقانيته، بل كانوا يسعون كثيراً لإطفاء نوره.

يذكر مالك بن أنس (٩٥ ـ ١٧٩ هـ ق) في موطّئه أن هناك عدداً من النساء أسلمن في وقت كان أزواجهن كفاراً مثل بنت الوليد بن المغيرة التي كانت زوجة صفوان بن أُمية، فإنها اسلمت قبل زوجها، وكذلك أم حكيم بنت الحارث بن هشام التي كانت زوجة عكرمة بن أبي جهل أسلمت قبل زوجها[١].

ان المجتمع الإنساني يحتاج إلى علل وعوامل ليتأمن صفاء الضمير بين أفراده ولا تكفي فقط القوانين والمقررات السياسية والعسكرية والاقتصادية وغيرها. ومن ناحية أُخرىٰ، إن المجتمع البشري الكبير يتشكل من مجتمعات صغيرة عائلية، أي ان أعضاء العوائل المتعددة هي عامل تحقق مجتمع رسمي، وما دام لم يقع سبب الرأفة بين أعضاء الأسرة، فان صفاء الضمير وروح التعاون وعلاقات المحبة لا تقوم ابداً بين أفراده عند تشكل المجتمع الرسمي وأهم عامل يثير الرأفة والتضحية والايثار بين أفراد العائلة هو تجلي روح الأم بين أعضاء الأسرة؛ لأنه رغم ان الأب يتولىٰ الأعمال الإدارية لمجتمع صغير (أي العائلة) بعنوان ـ الرجال قوامون على النساء ـ ولكن أساس العائلة الذي شيد على الرأفة والوفاء والارتباط هو بعهدة الأم؛ لأن الأم تولد أبناء يرتبط كل منهم بالآخر، والأفراد الذي يولدون من امرأة واحدة ليسوا مثل فواكه شجرة واحدة حيث لا تظهر روح الايثار الإنساني في مستوىٰ النبات وليسوا مثل صغار حيوان انثىٰ يفتقدون التعاون الإنساني، ولا يتجلىٰ فيهم الارتباط البشري الخاص. بل إن الأبناء الذين يولدون من امرأة واحدة سواء كان ذلك بفاصلة زمنية أو بدون فاصلة، يرأف ويرحم بعضهم

---

(١) الموطّأ، كتاب النكاح ٣٧٠ ـ ٣٧١.

بعضاً وينمون اتصالهم الفطري في ظل التعاليم الدينية، وقد عد حفظ هذا الاتصال وعدم نسيانه من الواجبات المهمة في الدين، وإذا قطع شخص هذا الاتصال الفطري والديني سيحرم من الرحمة الإلهية الخاصة؛ لأن صلة الرحم هي من الأشياء التي أمر بها الله، وقد ورد اللعن لقاطعين الشيء الذي يجب وصله: **﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾**[1] ، **﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الإرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾**[2] . ولعل سر ذكر الافساد في الأرض إلى جانب قطع الشيء اللازم وصله، هو ان الأفراد الذين نموا في عوائل متدينة أصيلة وادركوا قانون صلة الرحم وحفظ اتصال الأعضاء وعملوا بذلك، عندما يدخلون المجتمع الرسمي، لا يقومون بالافساد في الأرض؛ لأنهم دخلوا المجتمع بروح اتصال وإيثار، ولكن الذين يترعرعون في عوائل غير متدينة، فلأن أساس الارتباط الفطري قد أهمل بين أعضائها من أثر عدم مراعاة قانون صلة الرحم ولزوم الايثار والتعاون وغيرها، لذا عندما يدخلون إلى المجتمع الرسمي تظهر ظواهر توحش وتنمّر أيضاً.
الخلاصة ان قانون صلة الرحم هو قاعدة مهمة تقوم بتربية المجتمع الصغير وتهيىء أرضية إزدهار المجتمعات الكبيرة، وصلة الرحم هي قاعدة سائدة على الأرحام والمحارم والأقرباء العائليين، وسبب كل هذه الارتباطات هو ظهور جميع الأعضاء من رحم واحد، وذلك الرحم الذي يولد الأعضاء المرتبطة موجود في المرأة، والنتيجة ان النواة الأساسية للعائلة تتعهدها المرأة، رغم ان الرجل مسؤول عن الأعمال التنفيذية وتأمين نفقات الحياة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٥.

وأمثال ذلك، من هنا نقرأ في القرآن الكريم ضمن توصية الإنسان بتكريم الوالدين، تذكيراً بجهود الأم: **﴿ووصيّنا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾**[1] **﴿حملته أمه وهناً عل وهن وفصاله في عامين﴾**[2] . . كما أن الإمام السجاد عليه السلام بين في رسالة الحقوق لزوم مراعاة حقوق الأرحام بمقدار الارتباط والقرابة بالنسبة إلى الرحم، وأكد أن أول حق في النظام العائلي هو للأم، ثم تحدث عن حق الأب وقال: . . . . وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة فأوجبها عليك، حق أمك ثم حق أبيك ثم حق ولدك ثم حق أخيك ثم الأقرب فالأقرب[3]

ويلاحظ أن دور المرأة ليس فقط إيجاد رابطة الرحم بين الأعضاء النسبيين للأسرة الواحدة، بل لا ينكر دورها في إيجاد الارتباط الرحمي بين الأقارب السببيين أيضاً؛ لأن الأقارب السببيين في نظر الإسلام هم كالأقرباء النسبيين يتمتعون برحم خاصة. وفي قانون المصاهرة هناك مقررات كثيرة. كما يستفاد من خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في مراسم عقد زواج أمير المؤمنين علي عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام أن المصاهرة تلحق بالنسب وان الصهر والعروس يعدان بمثابة أبناء أسرتين وأعضاء الأسرتين يحسبون بمثابة أفراد أسرة واحدة[4] ، خاصة الآباء والأمهات وهذا القانون الذي استفيد من خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك من خطبة عقد زواج الإمام الجواد عليه السلام بواسطة الإمام الرضا عليه السلام[5] **﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً**

---

(١) سورة الاحقاف، الآية: ١٥.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٣) تحف العقول، رسالة الحقوق للإمام السجّاد عليه السلام.

(٤) بحار الأنوار، طبعة بيروت، ج١٠٠ ص١٦٤ ـ ١٦٧.

(٥) المصدر السابق.

وصهراً﴾[1] . وهنا ندخل موضوعاً مهماً وهو اتضاح دور المرأة في إيجاد ارتباط بين الرجل بصفته أباً وبين الأفراد الذين يولدون في ما بعد كأبناء، أي ان المرأة تستقطب الرجل أولاً وتنمي فيه الرأفة والعاطفة وتسكنّه، ثم تشكل بمساعدة ذلك العنصر الهادىء والشخص الرؤوف المطمئن أسرة هادئة وأرحاماً رؤوفين. إذا أصبحت هذه المسألة بيّنة يتضح أن أصالة الأسرة بعهدة المرأة، وتكون المرأة قاعدة أساسية في تأسيس دائرة الرحم وتشكيل حكومة الرأفة؛ فهي أولاً تُرحّم الرجل الأجنبي؛ ثانياً تربط بتكثير النسل اسرتين معاً بأثر المصاهرة؛ ثالثاً تُحرم الأشخاص الأجانب من أثر الرضاع وتجعل الاتصال الرضاعي مثل اتصال المصاهرة.

وننتقل الآن إلى صلب الموضوع.

هل ان خلق المرأة والرجل هو من جوهرتين مستقلتين ومبدأين قابليين منفصلين، كي يكون لكل منهما آثار خاصة ولوازم خاصة مثل جوهرتين مستخرجتين من منجمين منفصلين، وجنس كل منهما هو غير جنس الآخر؟ أم انهما من جوهرة واحدة وليس بينهما أي امتياز من حيث الجوهرة الوجودية إلّا بالأوصاف الإكتسابية والأخلاقية التحصيلية وغيرها؟ أم أن الرجل خلق بالأصالة من جوهرة خاصة واحدة. ثم خلقت المرأة من زوائد المبدأ التابع للرجل بشكل متفرع عليه؟ أم بالعكس، أي أن المرأة خلقت بالأصالة من جوهرة معينة ثم نتج الرجل من زوائد المبدأ التابع للرجل بشكل طفيلي؟

الاحتمال الأول ليس له محل في التفسير والشواهد القرآنية وأمثال ذلك، كما أن الاحتمال الرابع أيضاً يفتقد أية شواهد قرآنية وروائية. فالعمدة هو الاحتمال الثاني والثالث: ان ما يستنبط من ظواهر الآيات الواردة في

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٤.

أساس الخلق وتؤيده بعض الأحاديث أيضاً هو الاحتمال الثاني. أما الاحتمال الثالث فهو ليس فقط لا يستظهر من ظواهر الآيات الواردة في الخلق بل أن بعض الأحاديث أيضاً تراه غير صائب. أما آيات الخلق مثل: **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾**[1] ، المقصود من النَفْس في هذه الآية الكريمة هي جوهرة وذات وأساس، والحقيقة العينية للشيء وليس المراد من ذلك معنىً، روح أو نفس وأمثال ذلك، فمثلاً إذا قيل ان فلاناً شيء في نفسه، أي في ذاته ووجوده الأصلي هكذا. وعندما يقال: جاءني فلان نفسه[2] ، أي أن فلاناً شخص جاء نفسه حيث ان معنى النفس يكون مرادفاً للعين أي أصل الذات، فلا يصح ربط بحوث علم النفس القديم أو الجديد بالآية أو اعتبار التحقيق حول الآية محل البحث متصلاً بالآيات الواردة في حدوث النفس ونفخها في الإنسان ورجوعها إلى الله، وبقية البحوث القرآنية المرتبطة بأحكام الروح الإنسانية. فالمراد من النفس هي الذات والواقعية العينية. بناء على هذا فان مفاد الآية المذكورة أولاً هو أن جميع الناس من أي صنف، سواء امرأة أو رجل (لأن كلمة ناس تشمل الجميع) خلقوا من ذات وجوهرة واحدة، والمبدأ القابلي لخلق جميع الأفراد هو شيء واحد. وثانياً ان أول امرأة هي زوجة أول رجل، خُلقت هي أيضاً من نفس الذات والجوهرة العينية، وليس من جوهرة أُخرىٰ، وليست فرعا على الرجل وزائدة عليه وطفيليّة وأمثال ذلك، بل إن الله خلق أول امرأة من عين الذات والأصل ثم خلق تعالىٰ جميع الرجال والنساء من ذلك الأصل. ثم يشار إلى كيفية تكثير النسل حيث لا

---

(١) سورة النساء، الآية: ١.

(٢) تفسير الميزان، ج٤ ص١٤٤.

يتسع لها المجال في هذه المقالة التي هي مقدمة لكتاب. وهذه المسائل المذكورة يمكن استفادتها من الآية ١٨٩ من سورة الأعراف: ﴿**هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها**﴾، ومن الآية ٦ من سورة الزمر: ﴿**خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها**﴾، فمفاد الآيات التي تذكر أصل الخلق هو وحدة المبدأ القابلي لخلق جميع الرجال والنساء، وكذلك أول رجل وأول امرأة اللذين ينتهي إليهما النسل الحاضر. وأما الأحاديث الواردة في المبدأ القابلي للخلق كالحديث الذي ذكره محمد بن بابوية القمي (الصدوق) بشكل مسند في علل الشرائع[1] وبشكل مرسل في من لا يحضره الفقيه: عن زرارة بن أعين أنه قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن خلق حواء وقيل له: إن إناساً عندنا يقولون: إن الله عز وجل خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصىٰ فقال: سبحان الله وتعالىٰ عن ذلك علواً كبيراً أيقول من يقول هذا إن الله تبارك وتعالىٰ لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجة من غير ضلعه؟! ويجعل للمتكلم من أهل التشنيع سبيلاً إلى الكلام أن يقول أن آدم كان ينكح بعضه بعضاً إذا كانت من ضلعه... ثم قال: ثم ابتدع له حواء.. فقال آدم عليه السلام عند ذلك: يا رب ما هذا الخلق الحسن الذي قد آنسني قربه والنظر إليه؟ فقال الله تبارك وتعالىٰ: يا آدم هذه أمتي حواء أفتحب ان تكون معك تؤنسك وتحدثك وتكون تبعاً لأمرك؟ فقال: نعم يا رب، ولك علي بذلك الحمد والشكر ما بقيت، فقال الله عز وجل: فاخطبها إلي فانها أمتي وقد تصلح لك أيضاً زوجة للشهوة والقىٰ عليه الشهوة.. فقال: يا رب فاني أخطبها إليك فما رضاك لذلك؟ فقال عز وجل: رضاي ان تعلمها معالم ديني...

ان هذا الحديث رغم انه مفصل ولم تذكر منه بعض الفقرات ويتطلب

(١) ج أول، باب ١٧، ح٣ ص٣٧٩ كتاب النكاح.

تحقيقاً أكثر من حيث السند لأن بعض آحاد السلسلة مشترك وبعضها مجهول، كما أن بعض مضامين ذلك تتطلب توضيحاً أكثر ولكن هناك مسائل مهمة ومفيدة تستفاد منه نشير إلى بعضها: **أولاً**: إن خلق حواء من الضلع الأيسر لآدم غير صحيح. **ثانياً**: ان خلق حواء هو كخلق آدم بديع ومستقل. **ثالثاً**: قرب ونظرة آدم إلى حواء كان عامل أنسه، والله جعل هذا الأصل أساساً لإقامة ارتباطهما معاً، وهذا الأنس الإنساني كان قبل ظهور غريزة الشهوة الجنسية؛ لأن مسألة الغريزة كانت موضوعاً طرح في ما بعد. **رابعاً**: إن الله لقن آدم الميل الجنسي وشهوة الزواج وكان ذلك بعد مسألة الأنس والمحبة التي أقيمت قبل ذلك. **خامساً**: إن أفضل مهر وصداق هو تعليم العلوم الإلهية وتعلم معالم الدين حيث جعل الله ذلك مهر حواء على آدم. **سادساً**: بعد الزواج قال آدم لحواء ان تأتي إليه وتدير وجهها له، فقالت له حواء ان يلتفت إليها فأمر الله آدم بالنهوض والذهاب إلى حواء وهذا هو سر خطبة الرجل للمرأة، وإلا لكانت المرأة نهضت لخطبة الرجل، طبعاً ليس المقصود من هذه الخطبة هي الخطبة قبل العقد التي وردت في هذا الحديث المفصل.

اتضح حتى الآن ان خلق المرأة والرجل هو من جوهرة واحدة، وجميع النساء والرجال لهم مبدأ قابلي واحد حيث ان المبدأ الفاعلي لهم جميعاً هو الله الواحد الأحد، وليست هناك أية مزيّة للرجل على المرأة في أصل الخلق، وإذا كانت هناك بعض الروايات تتعهد بإثبات هذه المزيّة فهي إما ضعيفة من حيث السند أو غير تامة من حيث الدلالة، وإذا كانت فرضاً تامة من كلا الجهتين لا يمكن إثباتها بدليل ظني غير قطعي؛ لأن المسألة محل البحث ليست أمراً تعبدياً محضاً مثل المسائل الفقهية الصرفة، بل إن ما هو معرض بحث هنا هو إثبات النكتة السابقة، وهي أن المرأة أساس في

تأسيس الأسرة على أساس الرأفة والميل والجذب، كما أن الرجل هو أساس في تشكيل الأسرة من حيث الإدارة وتأمين النفقة والالتزام بالأعمال التنفيذية والمسؤولية والدفاع عن دائرة تدبير الأسرة، الموضوع الثاني لا يتطلب إثباتاً لأن الشواهد القرآنية مثل: الرجال قوامون على النساء، وغيرها تشهد على هذا الأمر وتؤيده سيرة المسلمين أيضاً

المهم هو إثبات الموضوع الأول. ولأن التحليل العميق لكل موضوع مرهون بتبيين مبادئه التصورية، كما أنه مرهون بقبول مبادئه التصديقية. ومن أهم المبادىء التصورية لهذه المسألة هو التمايز بين الرأفة العاطفية والأنس العقلي من جهة والميل الغريزي والشهوة الحيوانية من جهة أُخرىٰ لكي يؤمنَّ أساس الأسرة على محور المحبة الإنسانية والعقلية وليس على محور الشهوة الجنسية، ويتضح دور المرأة كمظهر للجمال الإلهي في شكل الإنسان وليس كعامل رفع للشهوة بشكل انثى.

ويلزم ملاحظة أن الشوق والرغبة بين شيئين هو ارتباط وجودي خاص، وحقيقة الوجود لها أيضاً مراتب تشكيكية. من هذه الناحية يوجد شوق وجذب في جميع ذرات الكون، ولكن في كل مرتبة يوجد حكم خاص بها يظهر أحياناً بصورة جذب ودفع في أساس جواهر المعدن، وأحياناً يتجلىٰ بصورة أخذ وعطاء، وأمثال ذلك في النباتات الخضراء، وأحياناً يظهر كشهوة وغضب في الحيوانات غير الأليفة، ويظهر أحياناً بصورة ميل ونفور في الحيوانات المدجنة وبعض الأشخاص غير المتربّين. وعند ذلك يقطع مسافات طويلة حتى يصل بصورة تولي وتبري وحب في الله وبغض في الله. و. . إن المهم في هذه المسألة هو الانتباه إلى هذه النكتة وهي هل أن سر خلق المرأة والرجل وسر ميلهما إلى بعضهما ودافع تأسيس الأسرة وتربية إنسان كامل هو الميل الجنسي الذي ليس فيه هدف غير إطفاء نائرة

الشهوة، ويحصل في الحيوانات الوحشية أكثر من الإنسان، والذي تتشبث به الجاهلية الجديدة مثل الجاهلية القديمة؟ أم ان تعاطف المرأة والرجل وهدف تشكيل دائرة التراحم وتربية مظهر خليفة الله وجامع الجلال والجمال وكل اسماء الله هو الميل العقلي والرأفة القلبية والأنس الاسمائي حتى يستطيع تربية معلم الملائكة ويستخدم ملائكة كثيرين. ويحل سر كثير من أسرار الخلق و. . ؟ لأن الميل الجنسي موجود أيضاً في الحيوانات الذكور والإناث وليس مطروحاً مسألة الدافع الإلهي والعقلي في ما يتعلق بخلق الحيوان الانثىٰ، إلا السر العام للخلقة وكيفية خلق زوجين من كل جنس سواء من النبات والحيوان، وتحليل ذلك خارج عن إطار البحث.

بناء على هذا فان السر الأصيل لخلق المرأة هو شيء غير الميل الغريزي واطفاء ثائرة الشهوة أخبر به الله تعالىٰ؛ ففي القرآن الكريم في الآية ١٨٩ من سورة الأعراف والآية ٢١ من سورة الروم ورد بيان سكون المرأة والرجل واعطيت الاصالة في ايجاد هذا السكن إلى المرأة واعتبرت أساساً في هذا الأمر النفسي، ووصف الرجل بكونه منجذباً لرأفة المرأة ضمن اعتبار ان حقيقة كليهما جوهرة واحدة، وليس هناك أي إمتياز بينهما من حيث المبدأ القابلي للخلق. كما بيّن سابقاً في سورة الأعراف. قال تعالىٰ: **﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾**.

المقصود من نفس واحدة هي حقيقة واحدة وجوهرة واحدة، أي ان المبدأ القابلي لكم جميعاً أيها الناس هو حقيقة واحدة وفي هذا الأمر ليس هناك أي فرق بين المرأة والرجل كما انه ليس هناك أي امتياز بين الإنسان الأوّلي وغير الأوّلي، وهذا النوع من التعابير هو كالتعبير ببني آدم الذي يشمل جميع الناس حتى آدم عليه السلام أيضاً مثل آية الذرية: **﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا**

بلىٰ﴾[1] . حيث أن أخذ الميثاق هذا لا يختص بأبناء آدم بل يشمل آدم عليه السلام أيضاً.

ان كلمة نفس في الآية المذكورة لها تأنيث سماعي ومجازي وليس حقيقياً، وتأنيث كلمة واحدة حاصل بهذا اللحاظ ومعنى نفس واحدة هي حقيقة واحدة وأصل فارد.

المقصود من زوج في هذه الآية هي المرأة التي هي زوجة الرجل وأفضل تعبير للمرأة هي كلمة زوج وجمعها أزواج وليس زوجة التي جمعها زوجات، والتعبير عن المرأة بكلمة زوجة ليس فصيحاً بل ان الراغب اعتبرها في المفردات لغة رديئة، لذا لم تذكر المرأة في أي جزء من القرآن بعنوان زوجة ولم تذكر نساء الدنيا أو الآخرة بعنوان زوجات بل ذكرن فقط بعنوان زوج وأزواج؛ ولأن عنوان امرأة طرح مع تعبير زوج، يستفاد من الآية ان الرجل بعنوان زوج وضمير مذكر ليسكن يعود إلى الرجل أي أن الرجل بدون المرأة ليس لديه سكينة وهو يحتاج إلى أنيس.

وضمير إليها ـ المؤنث يعود إلى الزوج أي المرأة، ويصبح مفاد ذلك هكذا ان الميل الأنسي هو الرجل إلى المرأة ولا يأنس بدونها ويأنس معها ويسكن وتتضمن آية سورة الأعراف مسائل أُخرىٰ خارج إطار هذا البحث. ومرجع ضمير ـ إليها ـ ليس هو نفس واحدة بل كما ذكر أن مرجع الضمير هو الزوج الذي استعمل بمعنىٰ المرأة في سورة الروم قال تعالىٰ: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾**. المسائل التي تستنبط من هذه الآية الكريمة غير التي تستظهر من آية سورة الأعراف هي عبارة عن:

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

١ ـ ان جميع النساء هن مثل الرجال من حيث جوهرة الوجود وأصل المبدأ القابلي، وخلق أية امرأة ليس منفصلاً عن خلق الرجل، طبعاً مسألة الطنية لها حكم منفصل فطينة أولياء الله ممتازة عن غيرهم وهذا البحث لا يختص بالمرأة أو الرجل، وليس هناك أي فرق في هذا التماثل بين أول إنسان والناس اللاحقين كما أنه ليس هناك أمتياز من هذه الناحية بين الأولياء والآخرين.

٢ ـ جميع النساء هن من سنخ جوهرة الرجل من حيث الحقيقة، مثل التعبير الذي ذكر في شأن رسول الله ﷺ: **﴿لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾**[(١)] ـ **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم﴾**[(٢)]. طبعاً هناك فرق كثير بين الوجود النير للنبي ﷺ والآخرين، ولكن هذا لا يؤدي إلى أن يكون الوجود المبارك للرسول ﷺ نوعاً منفصلاً عن النوع المتعارف للإنسان، كما أن الوجود النير لفاطمة الزهراء عليها السلام له ميزات كثيرة لا توجد في غير الأنبياء والأئمة عليهم السلام وهذه الميزات المعنوية لا تمنع الوحدة النوعية لفاطمة الزهراء عليها السلام مع النساء الأخر.

٣ ـ ان منشأ ميل الرجل إلى المرأة وسكن الرجل في ظل الأنس إلى المرأة هو المودة والرحمة التي جعلها الله بينهما، وهذه المودة والرحمة الإلهية هي غير ميل غريزة الذكر والانثىٰ الموجودة في الحيوانات أيضاً، وفي القرآن لم يذكر الميل الشهوي للحيوانات كآية إلهية، ولا يلاحظ تأكيد على ذلك، وما ورد في حديث زرارة عن الإمام الصادق عليه السلام يؤيد أن الاصالة في ميل الرجل إلى المرأة هي المحبة الإلهية؛ لأن مسألة الشهوة الجنسية

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

أعطيت لآدم بعد الأنس الإنساني لآدم عليه السلام بحواء طبق الحديث السابق، وفي المرتبة السابقة حيث كان الكلام عن الرأفة القلبية لم يطرح كلام عن الغريزة الشهوية أصلاً، ومن هذه الناحية كانت المرأة محبوبة عند رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة[١]، وفي ضوء هذه الرؤية روىٰ الإمام الباقر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بُني بناء في الإسلام أحبّ إلى الله تعالىٰ من التزويج[٢]. وروىٰ الإمام الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: من تزوج أحرز نصف دينه....[٣]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: أكثر الخير في النساء[٤].

لو تشاهد مسألة انسجام المرأة والرجل ببصيرة ملكوتية فان حكمها هو الذي ذكر، وإذا نظر إليه بنظرة مُلكية فان حكمها هو الذي قاله الإنسان الكامل علي بن أبي طالب: حياء يرتفع وعورات تجتمع، أشبه شيء بالجنون الإصرار عليه هرم، الافاقة منه ندم.....[٥] طبعاً إن النكاح هو سنة الأنبياء خاصة خاتمهم صلى الله عليه وآله والشيء الذي هو أشبه بالجنون ويؤدي إلى ارتفاع الحياء وقاعدة للندم ليس سنة بل ان السكينة والمودة والرحمة التي هي جاذبية إلهية بين الرجل والمرأة وتكون أساس تشكيل دائرة الرحم وتأسيس الأرحام والمحارم وتأمين العلاقات العائلية الرؤوفة التي هي أرضية بناء نظام إنساني رفيع، لهذا لم يعتبر بعض فقهاء الإسلام عقد النكاح عقداً معاوضياً بين شخصين هما المرأة والرجل، بل يرونه معاهدة مشوبة بالعبادة، لهذا لا يرون لزوم عقد النكاح الذي هو من العقود اللازمة مثل عقد

---

(١) الخصال للصدوق. باب ثلاثة.
(٢) من لا يحضره الفقيه ج٣ ص٣٨٣.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر نفسه ص٣٨٥.
(٥) الغرر والدرر، ج٣ ص٤١٧.

البيع والإجارة و. . ويعدون شرط الخيار في ذلك باطلاً.

رغم اختلافهم في بطلان عقد النكاح بواسطة شرط الخيار، وسر المسألة هو أن لزوم العقود اللازمة قمسين القسم الأول اللزوم الحقي والقسم الثاني اللزوم الحكمي، القسم الأول فلأن اللزوم فيه هو حق طرفي المعاملة فهو قابل للفسخ بقيوده الخاصة، مضافاً إلى تجويز هذا الخيار من قبل شرع الإسلام مثل خيار المجلس وخيار الحيوان، مع الخيارات التنفيذية التي تكون سابقة لأصالتها بين العقلاء مثل خيار تعذر التسليم، خيار تبعض الصفقة وغيرها، فتعتبر قبالة للفسخ، وكذلك لها صلاحية الفسخ بشرط الخيار بدون ظهور أحد الأسباب المذكورة، وعدا كل هذه يمكن إقالة ذلك بتقابل الطرفين، ولأنه حق الطرفين فله صلاحية الإنحلال بتراضيهما. وأما القسم الثاني فلأن اللزوم في ذلك ليس حق الطرفين بل هو حكم الله، وليس حقاً صرفاً للمتعاملين، لذا لا يمكن إقالته إلا في حالة إجازة الشرع مثل الطلاق أو ظهور عيب يسبب الفسخ، الغرض ان رأي بعض الفقهاء حول بطلان شرط الخيار في عقد النكاح هو أنه توجد في ذلك شائبة عبادة، وليس مجرد عقد معاوضي[1]. ومضافاً إلى الاستدلال بالإجماع لأبطال شرط الخيار، يتمسك أيضاً ببعض الوجوه الاعتبارية مثل ان شرط الخيار سبب انحطاط المرأة وهتك حيثيتها.

أن رؤية الإسلام للمرأة وتنظيم حقوقها، وان حيثيتها لها جنبة حق الله وليس حق الناس، ولا يجوز هتك حرمتها لأحد، والجميع مكلفون بالحفاظ على مقام المرأة مشهودة في خلال الأحكام الدينية، فمثلاً إذا تجاوز أحد على حيثيتها وهتك ناموسها يجب أن يحد ولا يسقط حد الزاني لأي سبب، لا رضى الزوج ولا رضىٰ المرأة نفسها، لأن ناموسها له جنبة حق

(١) مسالك الأفهام، للشهيد الثاني.

الله، وليس هو كالمال إذا سُرق ورضي المسروق منه يسقط الحد، ولكن مدنية الغرب أو الشرق المادي تعتبر ناموس المرأة كالبضاعة لذا يبرأ المتهم إذا رضيت المرأة أو رضي الزوج ويغلق الملف، كما كان رائجاً في الجاهلية القديمة. ولكن بمجيء الإسلام لا مجال للجاهلية الجديدة ولا للجاهلية القديمة **﴿قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾**[1].

في الختام نذكر كلام إنسان كامل هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام رواه عن إنسان كامل آخر هي فاطمة الزهراء عليها السلام، ففي حديث ذكر فيه مسألة الكلام الجيد في مراسم تجهيز الأموات ثم قال: فان فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله لما قبض أبوها ساعدتها جميع بنات بني هاشم فقالت: دعوا التعداد وعليكم بالدعاء[2]. أي أن الزهراء عليها السلام قالت لبنات بني هاشم اللواتي كن يساعدنها في المأتم بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله حيث تركن الزينة وارتدين لباس الحزن، بأن يتركن هذه الحالة وينصرفن للدعاء. الهدف من نقل هذا الحديث هو أن الإمام علي عليه السلام معصوم وجميع أقواله هي حجة، ولكنه تمسك بكلام معصوم آخر لتثبيت مسألة، والإنسان المعصوم جميع سلوكه وكلامه وكتابته وقيامه حجة الله. وليس هناك فرق بين المرأة والرجل من هذه الناحية. وكما ان سنة الأئمة المعصومين عليهم السلام هي حجة كذلك سنة الزهراء عليها السلام هي حجة شرعية وسند فقهي، وإذا سلكت المرأة طريق تعلم العلوم والمعارف وتركت زينة الدنيا فهي كالرجل وإذا ترك الرجل طريق العلوم الإلهية وانشغل بزينة الدنيا فهو كالمرأة، وسر هذا التقسيم هو الغلبة الخارجية التي انتقلت إلى الأجيال الأُخرىٰ من أثر نقص التعليم والتربية في الأنظمة غير الإسلامية. من هنا يتضح أن الوصف الذاتي الذي لا يتغير

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٤٩.

(٢) الخصال، للصدوق ص٦١٨.

للمرأة ليس هو الإنشغال بالحلية والزينة لتكون غائبة ومحرومة في الاحتجاجات العقلية والمناظرات العلمية، والمخاصمات الدفاعية، فالآية المباركة: ﴿أو من ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾[1]، ليست في صدد تبيين الحقيقة النوعية للمرأة وبيان فصلها المقوم الذي لا يتغير بتغيير النظام التربوي.

والآن حيث اتضحت جلالة المرأة وعظمة خلقها، وظهر جمالها العاطفي في ظل جلال حصافتها، تتضح رسالتها وهي إظهار الجلال الإلهي في كسوة جمال الرأفة والعاطفة. كما ان رسالة الرجل هي إظهار الجمال المحبوب في ظل جلال العقلانية، ومن هذه الناحية سمي هذا الكتاب بالمرأة في مرآة الجلال والجمال، رغم أن الجلال والجمال هما من سنخ المفهوم وليس الماهية ولا يسهل تحديدهما الماهوي، ولكن كما ان الجمال الظاهر يدرك بالحواس الظاهرة كذلك الجمال الباطن يدرك بالحواس الباطنة، والحمد لله ربّ العالمين.

قم ـ شهر اسفند ١٣٦٩
الجوادي الآملي

(١) سورة الزخرف، الآية: ١٨.

المرأة في القرآن

نبدأ ببحث جديد بفضل الله، هو موضوع المرأة في القرآن الكريم.

ان التفسير الموضوعي يتولى بحث مواضيع خاصة حللها القرآن، ان الموضوع الذي يطرح من وجهة نظر القرآن، يطرح أيضاً من وجهة نظر العترة، لأن القرآن لا يفترق عن العترة، ولا تنفك العترة أيضاً عن القرآن، ونظراً لأن الإسلام يظهر بصورة قرآن وعترة، لذا فالبحث الذي يقدمه القرآن والعترة يقدمه الإسلام في الحقيقة. بناء على هذا يمكن القول: إن المرأة في في الإسلام هي بذلك المعنى الذي بينه القرآن والعترة.

مقدمة (١)

الفرق بين التفسير الموضوعي والتفسير الترتيبي:

قبل الدخول في البحث الأساسي يلزم توضيح مسألة، وهي الفرق بين التفسير الموضوعي والتفسير الترتيبي. في السير التعليمي يقع التفسير الموضوعي بعد التفسير الترتيبي، يجب ان يكون الإنسان أولاً في خدمة القرآن الكريم بنحو الترتيب، أي يدرس القرآن من أوله إلى آخره ويكون

لديه حضور ذهني وعلمي، بحيث لو طرحت آية من القرآن لا يكون بعيد الذهن عنها، وبعد التعرف على مضمون الآيات يأتي إلى التفسير الموضوعي برأسمال التفسير الترتيبي، فيختار موضوعاً من المواضيع ويبحث حوله، أي يقوم بجمع آيات من القرآن تحوي هذا الموضوع ويرتبها، ثم يقوم بجمع وترتيب الروايات الواردة في ذلك المجال، وفي المرحلة النهائية يقوم بترتيب ثالث لما تحصّل لديه من الآيات والروايات، حتى يستطيع تقديم ذلك بوصفه راي الإسلام والقرآن والعترة.

ان وزان التفسير الموضوعي والتفسير الترتيبي هو وزان شرح الحديث مع الفقه، فعندما يجمع بعض العلماء روايات في الجوامع الأولية والمجامع اللاحقة، يبحث بعض آخر هذه الروايات بطرح شرح الحديث ودراسة سنده وتحليل متن الحديث كعلم حديث ترتيبي، . ثم يختار الفقيه موضوعاً من المواضيع ـ عادة الفقه هو مواضيع مختارة ـ ويستفيد من هذه الأحاديث لتبيين وتعليم هذا الموضوع الفقهي، طبعاً قد تكون بعض هذه الأحاديث في باب، وبعضها في باب آخر ، والشخص الذي يتولىٰ الشرح الترتيبي للأحاديث، يبين الباب من أوله إلى آخره، لكنه لا يستطيع الافتاء اعتماداً على باب واحد بل يجمع الفقيه الروايات المتعلقة بذلك الموضوع من أبواب متنوعة، وكثيراً ما يدرس عدة أبواب حتى يستطيع ان يكون لديه ترتيب عام للروايات.

وبعد هذه المرحلة يزن النتيجة بالقرآن والعقل والاجماع، ويبيّن فتواه في ما يتعلق بذلك الموضوع الفقهي بناءً على هذا فهناك تفسير موضوعي وتفسير ترتيبي كما أنّ هناك شرح الحديث والفقه. فالفقه بمثابة التفسير الموضوعي للأحاديث والروايات، وشرح الحديث هو بمثابة التفسير الترتيبي.

تقدم التفسير الترتيبي على التفسير الموضوعي:

ان القول بان التفسير الترتيبي مقدم على التفسير الموضوعي، يعني أن من يريد بحث موضوع من وجهة نظر القرآن الكريم، لا يستطيع أبداً استنباط موضوعه من القرآن اعتماداً على (المعجم) أو (كشف المطالب)، ثم يسند ذلك إلى القرآن؛ لأن هناك كثيراً من المسائل المتعلقة بذلك الموضوع لم تبيّن بتلك اللغة، حتى يتمكن المعجم من تقديمها، علاوة على ذلك، لو أراد شخص ان يكتب تفسيراً موضوعياً. ودخلت آية في محل البحث، فعليه أن لا ينظر لهذه الآية بمعزل عن السياق السابق واللاحق، بل يجب أن يأخذ بنظر الاعتبار السياق والخصائص الموضوعية للآية حتى يقول: إن هذه الآية تبين الموضوع الفلاني إلى هذا الحد.

بناء على هذا يتضح أن التفسير الموضوعي لا يمكن بدون التفسير الترتيبي، ويمكن ذلك إذا كان الإنسان عارفاً بالموضوع ويستنبط من القرآن الكريم الموضوع بعد أن ينهي أولاً التفسير الترتيبي ويأخذ بنظر الاعتبار كل آية مع ملاحظة صدر وذيل تلك الآية، وكذلك تلاحظ جمع الآيات التي لها بنحو من الانحاء علاقة مع الموضوع محل البحث سواء بشكل إثبات وتأييد أو بشكل سلب وتكذيب.

مراحل التفسير الموضوعي:

لو أراد شخص بحث موضوع من وجهة نظر القرآن والعترة يجب على الأقل قطع ستة مراحل تحقيقية حتى يشخص رأي الإسلام حول ذلك الموضوع.

المرحلة الأولىٰ: بجمع الآيات الواردة في ذلك المجال. في هذه المرحلة يجب ان يكون لديه من الخبرة والاطلاع على القرآن الكريم ما

يمكنه من استخراج جميع الآيات التي لها دخل في الموضوع ـ نفياً وإثباتاً ـ ولا يكتفي في هذا الصدد بخصوص الآيات التي تتضمن ذلك الموضوع لفظاً، بل يجعل المحور في جمع الآيات هو المحتوىٰ وليس اللفظ.

المرحلة الثانية: ينسّق الآيات التي جمعت، أي يقوم بترتيب المطلقة مع المقيدة، والعامة مع الخاصة، والمجملة مع (المبينة)، والمتشابهة مع المحكمة، والأجزاء المناسبة إلى جانب بعضها البعض، كي يحصل النتائج الصحيحة من دراسة الآيات.

المرحلة الثالثة: يصل الدور إلى سيرة العترة الطاهرة، فيجمع الروايات الواردة في هذا المجال ـ نفياً وإثباتاً ـ سواء كانت الروايات أقوالاً للمعصومين عليهم السلام أو أفعالاً صادرة منهم.

المرحلة الرابعة: يرتب بين هذه الروايات المجموعة أي يقرن المطلقة بالمقيدة، والعامة مع الخاصة والمحكمات الروائية مع المتشابهات، والناسخة مع المنسوخة والمجملة مع المبينة ويجب أن يقوم في كل موضوع بنفس العمل الذي يعمل في الاستنباط الفقهي، لكي يستطيع تحصيل النتائج الصحيحة من بحث الروايات.

المرحلة الخامسة: يستخرج النتائج المتعددة التي حصلت من الآيات بصورة قاعدة مهمة، ويقدم كذلك الثمرات المتنوعة الحاصلة من الروايات بصورة قاعدة جامعة.

المرحلة السادسة: يقوم في هذه المرحلة بترتيب نهائي بين النتائج الحاصلة من القرآن والثمرات المستنبطة من الروايات لكي يستنبط موضوعاً منسجماً مع القرآن والعترة.

إذا قطع هذه المراحل التحقيقية وأراد أن يتكلم حول الموضوع، فإن

الأدب الديني والاحتياط العلمي يقتضيان أن يقول: إن مقتضىٰ هذه الآية هو هذا، أو ان مقتضىٰ هذه الرواية هو هكذا، لا أن يقول: الإسلام يقول هكذا. وإذا أراد نقل رأي الإسلام لا يسنده إلى نفسه. وينقل حصيلة تحقيق المحققين الذين قطعوا هذه المراحل الاستنباطية الست، ويقول ان محققينا كان هذا رأيهم، وان: نظر الإسلام في هذا المجال هو هذا.

دور العقل والاجماع في تبيين المعارف الإسلامية:

طبعاً ان المحقق لا يغفل عن (العقل) و (الاجماع) في جميع المراحل المذكورة، رغم ان هاتين المسألتين تعودان إلى مقام الإثبات، لأن حجية الاجماع تعود إلى حجية السنة والعترة، لأنه يلزم في الاجماع حيثيتان:

١ ـ ان يكون كاشفاً عن رأي المعصوم عليه السلام أو يكون المعصوم نفسه ـ سلام الله عليه ـ داخلاً بين المجمعين.

٢ ـ بعد أن يكشف الاجماع عن رأي المعصوم، فان العقل يحكم بأن الكاشف عن رأي المعصوم هو حجة، أو إذا كان داخلاً في المجمعين فان العقل يقول: إن رأي المعصوم يعطي قيمة لأراء الآخرين ويجعلها حجة.

فنتيجة الاجماع تعود إلى السنة من ناحية ـ بلحاظ المكشوف ـ وتعود إلى العقل من ناحية أخرىٰ.

وأما (العقل) فرغم أنه قوة قوية في مقام الاستدلال، ولكن إذا تولىٰ العقل مسألة أو قضية، وكانت تلك المسألة واردة في بيان القرآن والعترة أما بصراحة، أو بنحو الالتزام، أو بنحو الملازمة لهذا فرغم أن مصادر الاستدلال هي الكتاب والسنة والاجماع والعقل، ولكن حجية العقل والاجماع تعودان إلى حجية الكتاب والسنة؛ لأن العقل معتبر في مقام الإثبات وليس لديه رأي يخصه، وإذا قدم رأياً من عنده في بعض الحالات

مثل (المستقلات العقلية)، فان ذلك يمكن العثور عليه أيضاً أما في متن الشرع، أو أن الشرع أمضاها، فإذا لم ترد عين القضية في متن الشرع فانه أمضاها على أساس الملازمة. بناء على هذا يمكن إسناد موضوع إلى القرآن الكريم عندما تكون قد لوحظت جميع هذه المصادر القوية والفنية.

مقدمة (٢):

تعليم المواضيع عن طريق القرآن:

بالنظر لأن موضوع الكلام هو (المرأة في القرآن)، أي المرأة في نظر القرآن والعترة وبعبارة أُخرىٰ: (المرأة في الإسلام). لذا فالقرآن الكريم يعلم هذا الموضوع أيضاً للناس مثل سائر المواضيع استناداً لقوله تعالىٰ: **﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾**[1].

وقد تكلم أشخاص كثيرون حول معرفة هذا النوع من الإنسان وكتبوا مؤلفات، ولكن هل ان القرآن الكريم يتكلم في هذا الموضوع كالآخرين أيضاً، أم ان كلام القرآن نوع آخر؟

القرآن يقول: إن النبي ـ عليه آلاف التحية والثناء ـ هو معلم الناس، يعلم الناس الحكمة ويعلمهم الكتاب الإلهي ويزكي نفوسهم و. . . وأساساً إن كل معلم يسير في طريق يدل الآخرين أيضاً لكي يتعرفوا على الطريق ويسلكوه أيضاً. ولكن الطريق الذي سار فيه الرسول ﷺ والأنبياء المرسلون عليهم السلام ليس طريقاً يتمكن الآخرون من معرفته والذهاب فيه، بل يدلون الآخرين على ذلك المقدار الذي يستطيعونه، حتى يتعرفوا عليه ويقطعوه، لذا فتعليم الأنبياء غير تعليم الآخرين.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

أنواع التعاليم القرآنية:

ان تقسيم التعليم يكون بلحاظ تقسيم العلم، ولأن العلم على ثلاثة أقسام، فالتعليم كذلك.

وجميع هذه الأنواع الثلاثة موجودة في القرآن ولكن مع تفاوت في جميع هذه الأنواع الثلاثة.

القسم الأول: هو العلم الحسي، الذي يذكر بصفة العلوم التجريبية، وتسمىٰ الشُعب المتنوعة للعلوم التجريبية بالعلم الحسي، سواء ما يدرك بالحس المسلح، أو بالحس غير المسلح مثل الطبيعيات والطب.

القسم الثاني: هو العلم العقلي، وهي مجموعة المعارف التي لا تدرك بالحس ـ لا الحس المسلح ولا غير المسلح ـ ولكن سندها هو الحس، لذا يأتي دور العلم العقلي بعد العلم الحسي.

القسم الثالث: هو العلم القلبي والشهودي، وهو أعلى من العلم الحسي والعلم العقلي.

أسلوب تعليم معلمي العلوم الثلاثة:

لكل علم من هذه الأنواع الثلاثة سالكون: وعلماء متخصصون، وكل مجموعة في أي فرع تعمل، تشرح مسيرها للآخرين، وتبيّن الطريق الذي انتهجته للأجيال اللاحقة، بل ان سند المعلمين أساساً هو سوابقهم الدراسية.

ان الشخص الذي يتولىٰ تبيين العلم الحسي والتجريبي يتكلم استناداً على تجاربه الماضية، وإرشاداته تقوم أيضاً على أساس الطريق التي سلكها، والشخص الذي يتولىٰ تبيين الحكمة والفلسفة يقدم الطرق العقلية التي قطعها للسائرين في هذا الطريق، وسند كلامه هي البراهين العقلية التي

تعلمها، وإذا أصبح شخص صاحب بصر في العلم الشهودي والحضوري فانه يعمل نفس العمل الذي يعمله صاحب النظر. أصحاب النظر يرتبون أنظارهم وأنظار الآخرين ويصبحون أصحاب رأي، ويستفيدون من أنظارهم وأنظار الآخرين في مقام التعليم. والعرفاء الشاهدون أصحاب البصر يستفيدون من بصيراتهم وبصيرات الآخرين في مقام التعليم ويقدمون ذلك الطريق إلى السائرين في طريق الشهود والحضور. غاية ما في الأمر ان الشاهد العارفي إذا جلس على كرسي التدريس، يستفيد غالباً من طريق (النظر) أي يجعل المسائل البرهانية أرضية بصفتها (عرفان نظري)، حتى يصل بعض الناس من (النظر) إلى (البصر)؛ لأن ما هو قابل للنقل والانتقال هي (المعاني والمفاهيم)، وليس الشهودات العينية حيث ان التحقق الخارجي هو عين ذاتها.

أحياناً قد يستطيع أولياء الله إيصال فيض للآخرين، لكن ذلك قليل جداً، إن الحكمة والفلسفة تمثل بالنسبة للعرفان نفس دور المنطق للفلسفة، أي أن المعيار هو العمل، هذه هي علوم بشرية ويقوم معلموا البشر في هذه الكراسي الثلاثة بتدريسها. ورأسمال تدريس وتعليم هذه العلوم الثلاثة هو الذي تقدم بيانه.

كيفية تعليم الرسول الأكرم ﷺ:

ذكر الله تعالىٰ، رسوله الأكرم ـ عليه آلاف التحية والثناء ـ بوصفه معلماً. قال سبحانه: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾.

هل مقصود الآية هذا المعنى وهو ان رسول الله. يعلم الآخرين المعارف القرآنية بمستوىٰ طبيب، حيث يستفيد من رأسماله التجريبي، أم بمعنى يعلم الآخرين المعارف القرآنية كحكيم، يستخدم رأسماله الفكري

والبرهاني؟ أم أنه يعلم الآخرين المعارف الإلهية كعارف شاهد ينقل للآخرين نتائج مشهوداته؟.

قال الله تعالىٰ وهو أول معلم ومعلم بالذات، في شأن كيفية التعليم:

﴿علّم الإنسان ما لم يعلم﴾[1].

ان هذا التعليم، ليس من سنخ العلوم الثالثة حيث يُتعلم شيء بالحس أو العقل أو القلب ثم بعد ذلك يُعلم للآخرين، بل هو علم محض، وتعليمه ينشأ من العلم الربوبي المحض، وهذا فوق بحثنا، أما الوجود المبارك لذلك النبي الذي لم يذهب إلى مدرسة، فهو أيضاً لم يستعن بطريق العلم الحسي أو العقلي بالتأكيد، أي أنه لم يصبح عالماً بالتجربة، ولم يستعن بالبراهين من المدرسة.

أما عن العلم والتعليم الثالث، فان كل سيرة وسنة وسريرة الوجود المبارك للنبي الأكرم ـ عليه آلاف التحية والثناء ـ هو حضور وشهود، كان متعلماً لم يذهب إلاّ لمدرسة (الله)، ومدرسة الله تبدأ من القلب وليس من الحس. ليس العلم الذي يقال فيه:

(من فقدَ حسّاً فقد فقدَ علماً).

بل العلم الذي يقول: أغلق الحواس، حتى تفهم. على عكس علوم المدرسة التي تقول استعمل الحواس حتى تفهم. لذا فان قسماً مهماً من نبوة النبي ﷺ بدأ من الرؤيا في أول الأمر، أي أن بداية النبوة كانت في تلك الحال التي اغلقت فيها العين والأذن وسائر مجاري الإدراك الحسي، حيث كان رسول الله ﷺ يرىٰ في المنام رؤى جيدة وكل رؤيا كان يراها رسول الله ـ عليه آلاف التحية والثناء ـ كانت تتضح مثل بياض الصبح. هذا العلم،

---

(١) سورة العلق، الآية: ٥.

هو علم شهودي، بناء على هذا فان علم النبي هو علم شهودي وقلبي. في مجال التعليم أيضاً يعلم الآخرين ذلك بثلاثة طرق: عن طريق (التجربة) بصفة (الجدال الأحسن) وليس بصفة (سند التعليم) بالشكل الذي كأنه تعلمه عن طريق التجربة الحسية، وكذلك علم الحكماء بصفة (برهان) ليس بالشكل الذي كأنه تعلمه من المدرسة، وعلم التلاميذ الشاهدين والعارفين كذلك بصفة (إظهار).

وأما الطريق الخاص بالنبي الأكرم ﷺ فهو ليس بالطريق الذي يصله الإنسان بتهذيب النفس والتزكية فضلاً عن البراهين العقلية والعلوم الحسية.

﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[1] .

إنها هبة خاصة لا تتوفر بالكسب والتهذيب والتزكية وأمثالها، إنها ربط خاص بين إنسان كامل والله، حيث ان **﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾**، وذلك أيضاً فوق بحثنا، أي أن الإنسان المتعارف ليس داخلاً في هذا المجال.

فحين يتكلم القرآن الكريم معنا، يتكلم بثلاثة طرق؛ لأنه يتكلم معنا بلساننا، حيث قال:

﴿ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾[2] .

وثبت ان الوجود المبارك للنبي الأكرم رسالته شاملة للعالم، فجميع المجتمعات البشرية هم قومه، انه يتكلم بلسان الجميع يتكلم بلسان أصحاب العلوم الحسية ويتكلم عن التجارب يتكلم بلسان أصحاب العلوم

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

العقلية الصرفة، ويتحدث عن البرهان، ويتكلم بلسان الشاهدين العارفين أيضاً، ويتكلم عن الوجدان.

هذه هي كيفية تعليم الوجود المبارك للنبي الأكرم ـ عليه آلاف التحية والثناء ـ وعندما يطرح القرآن موضوع المرأة يدخل أيضاً في هذه الطرق الثلاثة، أي يتكلم باستعمال الطريق التجريبي، والطريق العقلي وطريق العرفان والشهود، ويعلمنا عظمة المرأة بكل هذه الطرق المختلفة.



تبيين الموضوع

المقـدمة (٣):

يجب تبيين مـوضـوع البحـث ومحـور المسـائـل جيـداً قبـل أي نـوع مـن إقامة البرهان؛ لأن محور البحث يجب أن يشخص بنحو السلب أو الإيجاب قبـل الاستـدلال علـى ذلـك، مـا هـو المقصـود مـن تعييـن حقـوق المـرأة فـي القرآن؟ يجب أولاً أن يشخص ما المقصود بـ (المرأة) التي هي محل بحث؟ ثـم تشخص مصادر البحث أيضاً. وكـذلك تعين المسائل والمحـاور التـي يبحث عما يتعلق بها.

ان المقصود من المرأة هي الصنف الذي يقابله الرجل، وليس المرأة في مقابل الزوج، العناوين الأُخرىٰ التي يرافق كل منها حقوق خاصة، لها بحث منفصل لا تدخل في المحور الأساسي لهذا البحث، فمثلاً للمرأة عدة عناوين فقهية وحقوقية، حيث أن كلاً من تلك العناوين موضوع لمجموعة من المسائل الفقهية والحقوقية؛ لأن المرأة قد تكون أختاً أو بنتاً أو زوجة، وأحياناً أمّاً أو جدة أو عمة أو خالة وأحياناً بنت عم وبنت عمة، وبنت خال

وبنت خالة، وكل منها لها مسائل فقهية وحقوقية في باب الإرث وأمثاله. وليس لأي من العناوين المذكورة دخل في هذا البحث، إذ ان المقصود من الرجل هذا الصنف المقابل للمرأة، وليس المقصود من الرجل هو الزوج، لأن الرجل بصفة مذكر له عناوين كثيرة، وكل من تلك العناوين تتبعها أرضية مسائل فقهية وحقوقية كثيرة، إذ أنَّ الرجل يكون أحياناً ابناً أو أخاً أو أباً وأحياناً جداً، أو عماً أو خالاً وأحياناً ابن عم أو ابن عمة أو ابن خال أو ابن خالة، وكل من هذه العناوين ليس دخيلاً في هذا البحث المحوري، وتلك لها دور في المسائل الحقوقية والإرث وأمثال ذلك.

في تقييم تساوي حقوق المرأة والرجل من حيث المسائل القيمية يجب عدم إدخال أي من هذه العناوين لا بعنوان تأييد ولا بعنوان نقض، يجب عدم القول: إن المرأة تختلف عن الرجل لأن سهم الأخت أقل من سهم الأخ من حيث المسائل الإرثية. في ذلك الموضوع المحوري ليس الآن دور هذه العناوين الفرعية. بعد تحليل الموضوع المحوري يأتي عند ذلك دور هذه العناوين الفرعية حيث تطرح مسائل فقهية وحقوقية في كل عنوان من تلك العناوين الفرعية.

الفرق بين الأسس والمصادر:

إن مصادر البحث غير أسس البحث، فالأسس عبارة عن تلك القواعد والأصول التي يتشكل منها البرهان، ويطلق على هذه المقدمات والأسس عنوان أسس البحث، أما من أين يجب استنباط هذه المقدمات والمبادىء فهذا ما يسمىٰ بمصادر البحث.

مصادر هذا البحث، هي القرآن والعترة وكذلك العرفان والبرهان، أي ان الإنسان يستند أحياناً إلى آية من الآيات أو رواية من الروايات، والمصدر

هنا هو النقل، ويستدل أحياناً بالبرهان العقلي والمصدر هنا هو العقل وليس النقل، وأحياناً يستند إلى الكشف والشهود، والمصدر هنا هو العرفان وليس البرهان. ولهذا فإن البرهان والعرفان هما خادمان للقرآن، والقرآن الكريم هو الذي يحلل برهان المبرهنين ويبين شهود العارفين، من هنا فان هناك انسجاماً لا يقبل التفكيك بين البحوث العرفانية والبرهانية من ناحية والبحوث القرآنية من ناحية أُخرىٰ، لهذا قد يستعان من الأدلة العقلية في البحوث القرآنية، أو يستعان بالشواهد العرفانية، حيث أن من الممكن الاستفادة خلال البحوث البرهانية أو العرفانية من آية من آيات القرآن، أو رواية من أحاديث العترة الطاهرة عليهم السلام. أما المصادر البحثية فهي منفصلة عن بعضها البعض.

ملاحظة:

إن حجية البرهان العقلي متساوية بالنسبة للجميع؛ لأن قدرته الإثباتية واضحة للجميع إلى حد ما، ولكن حجية الشهود والكشف ثابتة للشاهد وليس للآخرين بعد التطابق مع الميزان الإلهي وهو القرآن والعترة، إلاّ أن يقطع الآخرون أيضاً تلك المراحل.

اتضح ان محور البحث هذا هو المرأة في مقابل الرجل، وليس المرأة في مقابل الزوج وان المصادر البحثية هي البرهان والعرفان والقرآن، وعليه فان البحث سينحصر في ثلاثة فصول، أي نظر القرآن والروايات، نظر العرفان، ونظر البرهان.

ويلزم الإشارة في هذه المقدمة إلى انه كما يوجد في القرآن تعبد وبرهان عقلي أيضاً، وإنه يقدم طريق الشهود، كذلك الروايات تقطع هذه الطرق الثلاثة؛ لأن بعضها هو تعبد صرف وقسم آخر منها احتجاجات

عقلية، وقسمها الثالث هو إظهار طريق الشهود.

وعندما تتضح هذه المقدمات التي تتولىٰ تبيين محل البحث وتحليل العلاقات بين تلك المصادر عند ذلك يمكن الدخول في أصل البحث وهو: ما هي حقوق المرأة والرجل بنظر القرآن والعترة الطاهرة - أي بنظر الإسلام -؟ وما هو الاختلاف بين المرأة والرجل؟.

المرأة بنظر القرآن

القرآن هادي الإنسان:

مسألة ان المرأة تتمتع بأية مكانة عظيمة في القرآن، تقوم على أي موقع للإنسان في القرآن. لأن القرآن لم يأت فقط لهداية (الرجل)، بل جاء لهداية (الإنسان). لذا عندما يشرح هدف الرسالة، ويبين غرض نزول الوحي يقول:

﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس﴾(١) .

ان كلمة ناس المطروحة في القرآن بعنوان (هداية الإنسان) لا تلحظ صنفاً خاصاً أو مجموعة خاصة، بل تشمل المرأة والرجل بشكل متساوٍ.

في القرآن الكريم هناك تعبير (ناس) تارة وتعبير (إنسان) تارة أُخرىٰ قال تعالىٰ:

﴿الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علّمه البيان﴾(٢) .

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥ .

(٢) سورة الرحمن، الآيات: ١ ـ ٤ .

في الآية الأولىٰ، كلام عن تعليم القرآن، ثم كلام عن خلق الإنسان، ثم كلام عن تعليم البيان. ومع ان النظم الطبيعي هو ان الإنسان يُخلق أولاً، ثم يتعلم البيان، ثم يفهم القرآن. **﴿الرحمن * علّم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان﴾** الرحمن، هو المعلم، ورحمته واسعة.

﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾[1].

أي ان استاذاً عاماً يدرس. إذا قيل: إنّ مهندساً يدرس، فذلك يعني أنه يدرس هندسة، طبيب يدرس، فيعني أنه يدرس الطب، وإذا قيل أن أديباً يدرس، فيعني أن دراسته أدبية، وإذا قيل أن الرحمن يدرس، فيعني انه يدرس الرحمة التي لا نهاية لها، وإذا بيّن معنى الرحمة ومصاديقها في القرآن يتضح ما هو الدرس الذي يعطيه مدرس الرحمة للناس، وكيف أن النبي الأكرم - ﷺ - هو رحمة للعالمين. انه نفسه درس معلم. هو الرحمن، إذا لم يستعن أحد برحمة الله، فهو ليس بإنسان، وإذا لم يكن الشخص إنساناً فهو بهيمة، وإذا أصبح بهيمة، فكلامه مبهم، وإذا كان كلامه مبهماً. فقوله ليس بياناً.

بناء على هذا فان هذه الدرجات الأربع هي في طول بعضها البعض، فالله معلم بعنوان ووصف الرحمانية في البداية، وعندما يتربىٰ التلميذ في مدرسة الرحمة هذه، يصبح إنساناً، وعندما يصبح إنساناً، فكلامه واضح وقوله بيان. لذا فهذه الأمور الأربعة تنظم (بعضها قبل بعض وبعضها بعد بعض).

الخلاصة ان الله تعالىٰ. حين ذكر أن القرآن **﴿هدىً للناس﴾** و **﴿الرحمن* علم القرآن﴾**، وتلاميذه هم الناس، عند ذلك ليس الكلام عن

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

الامرأة والرجل، أما التعابير مثل ﴿فمن تبعني فانه مني﴾[1] وأمثالها، التي وردت في القرآن، فالكلام هو أن كل من يتبع الوحي يأخذ عوناً، بناء على هذا فالكلام أيضاً ليس عن المرأة والرجل. كان هذا نموذجاً يقوم على أن القرآن هو﴿هدى للناس﴾ وهو برنامج تدريسي للناس، وليس المراد من (الناس) صنفاً خاصاً.

القرآن معلم أرواح الناس:

ان القرآن هو لتعليم وتزكية الروح الإنسانية، والروح من ناحية إنها موجود مجرد، فهي لا مذكر ولا مؤنث، ففي القرآن كلام عن تزكية الروح وليس كلاماً عن المرأة والرجل حتى يقال انهما متساويان.

ان العالم الغربي يقول: ان الإنسان نوعان أو صنفان، امرأة ورجل، ولكنهما متساويان في المسائل التعليمية والتربوية، أي أن المرأة تساوي الرجل، والرجل هو نظير المرأة، وهذا بنحو سالبة بانتفاء المحمول، أي أن هناك امرأة وهناك رجل، ولكنهما لا يختلفان، ولكن عندما يقول الإسلام: ان الهدف من نزول الوحي هو التعليم والتربية، وتزكية النفوس وتهذيب القلوب، ولا فرق بين المرأة والرجل، فهذا بنحو السالبة بانتفاء الموضوع وليس بانتفاء المحمول، أي أن محور التعليم والتربية هو أرواح الناس، والروح لا هي مذكر ولا مؤنث، وليس في الأمر امرأة ورجل أصلاً، لا أنه هناك امرأة ورجل ولكنهما متساويان - حتى تصبح قضية موجبة - أو ان بينهما فرقاً - حتى تصبح قضية سالبة - لأن صدقها هو بانتفاء المحمول لا بانتفاء الموضوع، ان ما يقال: ان الفرق بين الموجبة والسالبة هو في أن السالبة صادقة بانتفاء الموضوع أحياناً، يصدق هنا.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦.

الخلاصة هي **أولاً**: ان الأنوثة والذكورة تتعلق بالجسم، لا بالروح، **وثانياً**: ان التعليم والتربية والتهذيب والتزكية هي للنفس. **ثالثاً**: أن النفس هي غير البدن، والبدن هو غير النفس، وفي صف درس القرآن تجلى الروح أساساً، لا البدن، والروح أيضاً، ليست امرأة ولا رجل، فرق كثير بين الموجبة المحصلة أو السالبة التي موضوعها موجود، ولكن محمولها منتفٍ، وبين السالبة التي صدقها، بانتفاء الموضوع. ان قول الله:

﴿ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها﴾[1].

هل الروح هي مذكر أم مؤنث؟ أو قوله تعالىٰ:

﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾[2].

إن الروح من ناحية أنها موجود مجرد، ليس لها هيكل ليكون أما هكذا أو هكذا. أو قوله تعالىٰ: **﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾**[3].

أيها الإنسان إنك سالك إلى الله، هل البدن يسافر، حتى نقول: إن هؤلاء السالكين على صنفين: بعضهم نساء وبعضهم رجال؟ إن الروح هي التي تسافر، والروح ليست مؤنثاً ولا مذكراً. إن هذه من المعارف الرفيعة التي يمكن ان تقال:

﴿ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾[4].

أي هي من المعارف التي جاء بها الأنبياء فقط في القرآن الكريم يقول

---

(١) سورة الشمس، الآيتين: ٧ ـ ٨.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٩.
(٣) سورة الانشقاق، الآية: ٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥١.

تعالىٰ: ان بعض الأشياء نعلمكم إياها ليس بعنوان تأسيس، بل بعنوان إمضاءٍ وتأييد، ولكن هناك مجموعة مسائل ومعارف نأتي بها وهي ليست فقط بعيدة عن متناول البشرية في الماضي القريب أو البعيد، بل إن البشرية لا تستطيع الوصول إليها في المستقبل القريب أو البعيد أيضاً **﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾** وليس (ما لا تعلمون). القرآن يعلم البشر شيئاً لا يقدر البشر أن يفهمه من عنده، وهذه الآية هي طرية كل يوم، انها تحدثنا كل يوم وتقول: إن لديّ بياناً جديداً وطرياً ليس في متناول البشر، وهذا التعبير الرفيع قاله تعالىٰ في شأن النبي ﷺ أيضاً:

﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾[1] .

فهذه ليست (علّمك ما لم تعلم) أو (ما لا تعلم). مع كل ما لدىٰ النبي ﷺ من نبوغ وقابلية خاصة، فان الله تعالىٰ يقول انه علم النبي شيئاً لم يكن بمقدوره أن يعلمه، مسألة الغيب، ومسألة البرزخ، ومسألة القيامة، ومواقف القيامة، ومسألة الجنة، ومسألة جهنم، والاسماء الحسنىٰ الإلهية، ومئات المسائل الغيبية الأُخرىٰ، هذه ليست في متناول شخص، بناء على هذا فإن هذا الكلام يبقىٰ جديداً كل يوم **﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾** .

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٣ .



حقيقة الإنسان ليست مذكراً ولا مؤنثاً

في كل بحث يجب عدم الالتزام بأن الجواب هو بنحو الايجاب حتماً؛ لأن من الممكن ان تكون ثمرة بحث ما سلبية فقط، فمثلاً أحياناً يدخل الإنسان في بحث حقوق المرأة على أمل أن تكون النتيجة هي تساوي هذين الصنفين أو تفاضلهما، ولكن يتضح في ما بعد أن ثمرة ذلك سلبية، يجب عدم التوقع أبداً أن ثمرة الاستنباط تكون أحد أمرين إما التساوي أو التفاضل، بل قد تكون نتيجة البحث هي أن المرأة والرجل غير متساويين ولا متمايزين؛ لأنه ليس هناك موضوع للتساوي أو الاختلاف، بعبارة أُخرىٰ قد يبحث الإنسان أحياناً في هل أن ألف وباء متساويان مثلاً أم متمايزان، هنا يعلن في النتيجة أحد الأمرين ويقول: إن ألف وباء وهما أمران وكلاهما مساوٍ للآخر، أو انهما متمايزان مثلاً.

في هذا المحور الخاص، القضية هي منفصلة حقيقية ـ لا تخرج عن حالين ـ ولكن الإنسان يبحث أحياناً للحصول على التساوي أو الاختلاف ولكن حين يدقق يرىٰ أن لا ألف في الموضوع ولا باء، عند ذلك يجب ان يقول: ان الموضوع ليس لبحث التساوي أو الاختلاف؛ لأن التساوي

والاختلاف هما عدم وملكة ـ وليسا سلباً وإيجاباً حتى يكون رفع كليهما مستلزماً لرفع النقيضين ـ أي أن موضوعاً خاصاً عندما يوجد في الخارج، ثم ننسبه إلى موضوع آخر لا يخرج من حالين، إما هو مساوٍ له أو غير مساوٍ ولكن إذا لم يكن هناك تعدد وكثرة لا يكون أيضاً تساوٍ أو اختلاف؛ لأنه يلزم في إثبات أحد الأمرين المذكورين أن يكون شيئان موجودين حتى يكونا إما متساويين أو مختلفين.

ان القرآن الكريم حين يطرح مسألة المرأة والرجل يقول: انه لا ينظر لهذين الاثنين من جهة الذكورة والأنوثة، بل من جهة الإنسانية، وروح الإنسان هي تشكل حقيقته لا بدنه. إنسانية الإنسان تحققها روحه لا جسمه، ولا مجموع الجسم والروح.

أصالة الروح وفرعية البدن:

لو كان للجسم دور في إنسانية الإنسان ـ بصفة تمام الذات أو جزء الذات ـ لكان هناك كلام عن المذكر والمؤنث، وكان يجب البحث هل أن هذين الصنفين متساويان أم متفاوتان؟ ولكن إذا كانت حقيقة كل شخص تشكلها روحه ـ وجسمه ليس أكثر من أداة، وهذه الأداة هي أحياناً مذكر وأحياناً مؤنث ـ والروح ليست مذكراً ولا مؤنثاً، فان البحث عن تساوي المرأة والرجل أو تفاوت هذين الصنفين في المسائل المتعلقة بحقيقة الإنسان ينتهي، أي يكون سالبة بانتفاء الموضوع، وليس بانتفاء المحمول، ولأن التساوي والتفاوت هما عدم وملكة، وليسا سلباً وإيجاباً، لم يرد حينئذٍ كلام عن التساوي ولا كلام عن التفاوت.

ان القرآن الكريم اعتبر أن حقيقة كل إنسان روحه، والبدن أداتها، وهذا لا يتنافىٰ مع أن يكون للإنسان بدن في نشأة الدنيا والبرزخ والقيامة،

وكما أن لديه بدناً في الدنيا، والبدن هو فرع ـ وليس أصلاً ولا جزءاً من الأصل ـ كذلك أيضاً في البرزخ والقيامة. حيث ان الله تعالىٰ ينسب البدن الذي هو فرع إلى الطبيعة والتراب والطين ويسند الروح التي هي أصل، إليه ويقول:

﴿قل الروح من أمر ربي﴾[1].

إن روح الإنسان منزهة عن الذكورة والأنوثة.

عندما كان منكر والمعاد يقولون: ان الإنسان يفنى بالموت وليست هناك حياة بعد الموت:

﴿وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد﴾[2].

قال تعالىٰ:

﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾[3].

ملك الموت مأمور بالتوفي، ولو فقد من الإنسان شيء في الموت فانه لا يكون استيفاء وتوفياً، فجميع حقيقة الإنسان هي روحه التي تقبض وان تحلل البدن. البدن طبعاً يرافق الإنسان في جميع المراحل اللاحقة، ويكون في كل مرحلة مناسباً لتلك المرحلة.

إذا أردنا ان نرىٰ هل ان هذين الصنفين المرأة والرجل متساويان أم متمايزان، أم ان ليس هناك صنفان أساساً، فان طريق تحقيقه هو ان نرىٰ ما هو أساس القيمة والفضيلة؟ ومن هو الذي يصبح ثميناً وفاضلاً؟ هناك فصل يتولىٰ بيان المسائل القيمية، وفصل آخر يتولى بيان أصحاب القيم

(١) سورة الاسراء، الآية: ٨٥.
(٢) سورة السجدة، الآية: ١٠.
(٣) سورة السجدة، الآية ١١.

والفضيلة.

عدم تأثير الذكورة والأنوثة في القيم وأصحاب القيم:

الفصل الذي يحدد القيمة وضدها تمثله الآيات التي تعتبر العلم قيمة، والجهل ضد القيمة، الايمان قيمة، والكفر ضد القيمة، الذلة والعزة، السعادة والشقاوة، الفضيلة والرذيلة، الحق والباطل، الصدق والكذب، التقوىٰ والفجور، الاطاعة والعصيان، الانقياد والتمرد، الغيبة وعدم الغيبة، الأمانة والخيانة، تعتبرها عنوان مسائل قيمية أو ضد القيم، وهذه الأوصاف ليست مذكرة ولا مؤنثة، والفصل الذي يتولى بيان موصوف هذه القيم، يقول ان موصوف هذه الأوصاف ليس بدناً أبداً، أي أن البدن ليس مسلماً أو كافراً، عالماً أو جاهلاً، تقياً أو فاجراً، صادقاً أو كاذباً، محقاً أو مبطلاً، فاضلاً أو رذيلاً.

ان العقل النظري الذي وصفه هو الفكر والعلم، ليس مذكراً ولا مؤنثاً، والقلب الذي عمله الكشف والشهود، ليس مذكراً ولا مؤنثاً، والروح التي وصفها الفجور والتقوىٰ، ليست مؤنثة ولا مذكرة، كما ان الفجور والتقوىٰ ليسا مذكرين ولا مؤنثين.

إذا كانت المسائل التي تعود إلى العلم ـ سواء العلم الحصولي أو العلم الحضوري ـ ليس فيها ذكورة وأنوثة فإن العالم الذي يتصف بالعلم الحصولي أو الشهودي ليس مذكراً ولا مؤنثاً، إذ لم يكن هناك في المسائل العلمية كلام على الذكورة والأنوثة لا من حيث الصفة ولا من حيث الموصوف، لا يمكن بحث أن المرأة والرجل متساويان في المسائل العلمية أو متمايزان؟

وكذلك في المسائل الأخلاقية التي تعود إلى (العقل العملي) مثل

الإرادة، الاخلاص الايمان، التصديق، التهذيب الصبر، التوكل. . . والمسائل التي من هذا القبيل، ليست مذكرة، ولا مؤنثة والعقل العملي الموصوف بهذه المسائل الأخلاقية هو أيضاً لا مذكر ولا مؤنث، أي ان الصبر إذا لم يكن فيه ذكورة أو أنوثة، فالصابر ليس مذكراً ولا مؤنثاً. يجب عدم التفكير. بأننا نقول صابر صابرة. عالم وعالمة التأنيث اللفظي يجب عدم إدخاله في المسائل التحليلية، لأن العالم أو المؤمن، أي صاحب قيمة هي الروح، والروح ليست مذكراً ولا مؤنثاً، وإذا طرح شخص الذكورة والأنوثة في هذه الابحاث ابتلي بالمغالطة ـ من باب أخذ ما بالعرض مكان ما بالذات ـ سواء كان بصورة تأييد وإبرام أو بنحو تخريب ونقض.

الروح صاحبة قيم:

إذا كان الكلام في محور القيمة عن المسائل البدنية، وكان موصوف هذه المحمولات والأحكام البدن أيضاً، فحينئذٍ يمكن البحث عن اختلاف أو مساواة المرأة والرجل.

في القرآن الكريم طرحت محمولات القضايا ـ سواء القيمة أو ضد القيمة ـ وكذلك الموضوعات، وفي بيان موضوع هذه المحمولات، يتكلم أحياناً عن الروح، وأحياناً عن النفس، الفؤاد، أو القلب، وأحياناً يتكلم أيضاً عن الصدر و. . وكل هذه تعبر عن تلك اللطيفة الإلهية التي هي موجود مجرد، غاية الأمر ان القرآن الكريم يذكر روح الإنسان بما يناسب الشأن؛ لأن الروح ليست بسيطة محضة بل لها شؤون متنوعة، فأحياناً يذكر الروح بالقلب أو الفؤاد بسبب التناسب مع وصف خاص، وأحياناً بالنفس وأحياناً بالصدر أيضاً و. . هذه موصوف محمولات قيمية.

الخلاصة ان الفصل الذي يبين أصحاب القيم والفصل الذي يبين

معيار القيم يقول: ان الموصوف والصفة منزهتان من الذكورة والأنوثة، فالصفة منزهة والموصوف مبرأ، فلا يطرح الكلام قطعاً عن التساوي أو التفاوت. وعندما يقول الإسلام ان المرأة والرجل لا يختلفان، أي هي سالبة بانتفاء الموضوع، وعندما لا نعثر في المسائل العلمية وهي معيار من معايير القيمة وكذلك في المسائل العملية التي هي من معايير القيمة، أي كلام عن المذكر والمؤنث، نتيقن أن موصوفها ليس مذكراً أو مؤنثاً ـ هذا هو من باب التبعية ـ كما انه إذا لم نعثر في الموصوف الذي هو روح على أي مؤشر عن المذكر والمؤنث، فإن وصفه أيضاً منزه من الذكورة والأنوثة ـ هذا أيضاً عن طريق التلازم ـ كما ان التحليل النفسي لكل من الصفة والموصوف يوصلنا أيضاً إلى هذه النتيجة، أي عندما اثبتنا أن الموصوف والصفة منزهتان عن الذكورة والأنوثة تحصل نتيجتان: إحداهما بالمطابقة والأُخرىٰ بالالتزام خلق الروح، بعد إتمام البدن:

قال تعالىٰ:

﴿ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾(١) .

عندما يتكلم الله في شأن الروح يقول: إنه بعد أن تمت نشأة الطبيعة وانتهت التحولات المادية، خلقت خلقاً **﴿آخر ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾**، أي خلقته شيئاً آخر ليس من قبيل الماضي مثل اللحم والجلد والعظم، بل هو شيء آخر منفصل عن نشأة الطبيعة، ذلك الخلق الآخر يكون بعد اكتمال الجنين في صورة مذكر أم مؤنث، ولكن من بعد ذلك لا يدور الكلام على الذكورة والأنوثة، عند خلق المضغة عظاماً، عند كسو العظام لحماً

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

﴿فكسونا العظام لحماً﴾، وعند التصوير: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾[1].

كان الكلام عن الذكورة والأنوثة.

عدم مادية الرجوع إلى الله:

فما هو معيار القيمة منزه عن الذكورة والأنوثة. وعند الكلام عن الرجوع إلى الله، يذكر بالنفس المطمئنة. الرجوع إلى الله ليس منسوباً إلى البدن، يتعلق بالروح، لأنه لو كان البدن يرجع وكان الرجوع جسمياً ومادياً لأصبح المرجع ـ معاذ الله ـ أمراً مادياً، لأنه إذا اقترب البدن، فهو قرب مادي، والقرب المادي هو للشيء المادي، أما الذات التي:

«أنت الداني في علوه والعالي في دنوه»[2].

فإنه منزه عن القرب والبعد المادي، أنه قريب لكل شخص يدعوه في كل الظروف:

﴿وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾[3].

انه منزه عن القرب والبعد المادي، فإذا اقترب شخص منه في الصلاة لأن:

«الصلاة قربان كل تقي»[4].

أو يتقرب إلى الله في العبادات الأُخرىٰ، فله قرب معنوي، وهذا القرب المعنوي ليس مذكراً ولا مؤنثاً فما هو مقرب إلى الله، ليس مذكراً ولا

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦.
(٢) الصحيفة السجادية، دعاء يوم عرفة.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.
(٤) بحار الأنوار، ج١٠، ص٩٩.

مؤنثاً.

عندما نقرأ في القرآن الكريم إن النفس ترجع إلى الله. يتضح أنها مجردة، أو حين يأتي القلب إلى الله:

﴿إذ جاء ربّه بقلب سليم﴾[1].

﴿إلا من أتىٰ الله بقلب سليم﴾[2].

ان الذي له ذهاب إلى الله، أو الشيء الذي له رجوع إلى الله، ليس له ذهاب مادي، وليس له مجيء مادي، فالذي يذهب ويقترب منزه عن المادة أيضاً.

ختلاف المدرسة الإلهية والمدرسة الالحادية:

الفرق بين المدرسة الإلهية والمدرسة الالحادية هو أن أولئك يقولون: ن المرأة والرجل لا يختلفان، أي ان حقيقة الإنسان هي البدن، وهذا البدن منع بنحوين، وهذان النحوان متساويان.

والمدرسة الإلهية تقول: إن كل حقيقة الإنسان هي روحه رغم ان بدن لازم وضروريّ، وبما ان الروح ليست مذكراً ومؤنثاً فاختلافهما سالبة نتفاء الموضوع وليس بانتفاء المحمول.

رذائل، ليست مذكرة ولا مؤنثة:

كما أن الأمراض التي هي مسائل خلاف القيم تنسب إلى القلب، تلك أمراض المضادة للقيم، ليست مذكرة ولا مؤنثة. مثلاً قال تعالىٰ: لنساء نبي ﷺ في سورة الأحزاب:

---

1) سورة الصافات، الآية: ٨٤.

1) سورة الشعراء، الآية: ٨٩.

﴿. . فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً﴾[1] .

يستفاد من هذه الآية الكريمة ان الرجل الذي يطمع لسماع صوت المرأة غير المحرم، هو مريض، هذا المرض ليس مذكراً ولا مؤنثاً، وذلك القلب المبتلىٰ بهذا المرض لا هو مذكر ولا مؤنث. كما قال تعالىٰ في مسألة كتمان الشهادة في محكمة العدل في النظام الإسلامي:

﴿. . ومن يكتمها فإنه آثم قلبه . . . . .﴾[2] .

إذا كتم شخص الشهادة اللازمة في محكمة العدل ولم يؤدها فان قلبه عاصٍ، العصيان والذنب مضاد للقيم، والقلب المبتلىٰ بالذنب، كل منهما ليس مذكراً ولا مؤنثاً، كما ان الرؤىٰ والمعارف والمسائل الإسلامية والقلبية التي تعلم ليست مذكرة ولا مؤنثة، قال تعالىٰ بشأن القلب الذي يرىٰ:

﴿. . ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه﴾[3] .

وقال بشأن القلب الأعمىٰ بالنسبة إلى المعارف:

﴿. . . فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[4] .

ذلك الجاهل هو القلب، ذلك العالم هو القلب أيضاً، الشيء الذي هو مادي ليس وعاء للفكر والشيء الذي هو مجرد لا يقبل وصفاً مادياً، بناء على هذا لا هو مذكر ولا مؤنث.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٣.
(٣) سورة التغابن، الآية: ١١.
(٤) سورة الحج، الآية: ٤٦.

الملائكة مظهر للروح:

ان القرآن الكريم حين يخطىء كلام الوثنيين في مسألة أنوثة الملائكة، ليس بهدف ان يثبت ذكورتهم، بل من أجل ان يقول: إنهم منزهون عن الذكورة والأنوثة. وإذا عرفهم بصفة عباد مكرمون:

﴿. . بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾[1].

فانه يذكر هذه الأوصاف نفسها أيضاً للأولياء، أي ان موصوف هذه الصفة ليس مؤنثاً ولا مذكراً، ذلك لأن موصوفه ليس بإنسان ولا هو ملك. حقيقة الروح تلك إذا حصلت بهذه الصورة تصبح إنساناً، وإذا ظهرت بتلك لصورة تصبح ملكاً، فهي كائن مجرد غاية الأمر أن هذه الكائنات المجردة تختلف درجاتها وشؤونها الوجودية، بعضها في حد ملائكة، وبعض لملائكة أفضل وأكمل، مثل الناس الكاملين و. . .

لروح، تلميذ القرآن:

عندما جعل الله سبحانه، القرآن الكريم منهاجاً دراسياً، وعرف نفسه علماً، فالعلم هو الله، والمنهاج الدراسي هو القرآن **﴿الرحمن* علّم قرآن﴾** والتلميذ الذي يتعلم القرآن هو الروح وليس البدن، الإنسان يترك ذا البدن في عالم الرؤيا وتحل له كثير من المسائل. هناك لا مذكر ولا ؤنث، طبعاً في عالم الرؤيا لأنه عالم برزخي يرافقه بدن برزخي، ولكن ذي يفهم هي الروح التي لا هي مذكر ولا مؤنث.

بجة البحث:

إن السلامة المعنوية فضيلة والمرض المعنوي رذيلة، وموصوفهما هو

---

١) سورة الأنبياء، الآيتين: ٢٦ ـ ٢٧.

القلب والروح، وهما ليسا بمذكر أو مؤنث.

ثم، كما ان بعض الموصوفات مذكرة وبعض الموصوفات مؤنثة، أي ان أبدانهما هكذا، فالذين لهم بدن مذكر يختلفون عن بعضهم، والذين لهم بدن مؤنث يختلفون كذلك أيضاً. أحياناً يختلف هذان الصنفان بلحاظ البدن وليس بلحاظ الروح. هذه هي خصائص مقطعية لا أنها تكون موصوفاً أو صفة في أصل البحث.

هذا هو طرح البحث ومصادر البحث محور البحث وموضوع البحث، وذلك أيضاً استدلال القرآن. بناء على هذا فالآيات التي تقول: المذكر أو المؤنث ـ أي سواء كان البدن من هذا الصنف أو من ذلك الصنف ـ ليس له مدخلية، هي إعلان لعدم تدخل البدن وليس اعلاناً لعدم الاختلاف، كما لو قيل للإنسان المصلي: يجب أن ترتدي لباساً للصلاة، ويجب أن يكون ذلك اللباس طاهراً وحلالاً (سواء أبيض أو أسود) أي ان الأبيض والأسود ليس دخيلاً، ولكنهما موجودان ومتساويان، ما هو دخيل هو الجامع بينهما. (أي ان الأبيض والأسود ليس له دور) بل أصل الستر هو المعتبر. فمسألة الذكورة والأنوثة لا توجد أساساً في محور الروح حتى نبحث هل لها تدخل أم لا.

الحياة الطيبة:

جاء في القرآن الكريم:

﴿من عمل صالحاً من ذكر أو انثىٰ وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾[1].

أي ان هناك شيئين فقط لهما دور في الوصول إلى الحياة الطيبة، أحدهما: حسن فعلي يسمىٰ (العمل الصالح) والآخر: حسن فاعلي يسمىٰ

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(إيمان الروح)، سواء كان البدن مؤنثاً أو مذكراً. فعبارة ﴿وهو مؤمن﴾ تتعلق بالحسن الفاعلي، أي أن الروح يجب أن تكون مؤمنة و ﴿عمل صالحاً﴾ تتعلق بالحسن الفعلي، أي أن العمل يجب أن يكون صحيحاً. العمل الصحيح يصدر من العامل الصحيح، وعندما يضم هذان الحسنان إلى بعضهما يثمران حياة طيبة.

خلاصة الكلام:

١ ـ بناء القرآن الكريم، أي الإسلام هو ان يتكلم حول المرأة والرجل بصورة قضية (سالبة بانتفاء الموضوع) وليس بعنوان (موجبة محصلة) ولا بعنوان (سالبة بانتفاء المحمول).

٢ ـ الله تعالىٰ أسند في القرآن الكريم التعليم والتربية إلى الروح، والروح ليست مذكراً ولا مؤنثاً.

٣ ـ القرآن الكريم يعلمنا المسائل بثلاثة طرق: أي: طريق العلم الحسي، العلم العقلي والعلم القلبي والشهودي، ويذكر نماذج من النساء والرجال الذين قطعوا هذه الطرق.

عدم تأثير الذكورة والأنوثة في الخطابات الإلهية

هذه المسألة بينت بشكل مفصل، وثبت أن المسائل القيمية ليس لها وصف ذكورة أو أنوثة. وقد بين القرآن الكريم هذا المعنى لفظاً ومعنى بشكل دقيق، وحكم بأن المسائل القيمية هي ما وراء الذكورة والأنوثة، وحكم أيضاً بأن موصوف هذه الأوصاف هي روح الإنسان، والروح لا هي مذكر ولا مؤنث.

الدلالة المعنوية للقرآن

القرآن من حيث المحتوىٰ يقول إن الكمالات الإنسانية تكمن في معرفة المبدأ، ومعرفة المعاد ومعرفة الوحي والرسالة، أي ان الكمال هو في الرؤية الكونية الإلهية، وبمعنىٰ ان للعالم بداية باسم (الله واسمائه الحسنىٰ) وله نهاية باسم (المعاد) والقيامة وجهنم والجنة و. . وبين هذه البداية والنهاية صراط مستقيم، وان مسألة الوحي والنبوة هي هذا الصراط المستقيم.

ولأنه ـ في كل العالم ـ ليس هناك سوىٰ المبدأ والمعاد والعلاقة بين

المبدأ والمعاد، لذا فأصول الدين ليست غير هذه الأصول الثلاثة: الأول، معرفة المبدأ؛ الثاني، معرفة المعاد، الثالث، معرفة النبي، وقيل ان الجملة المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام:

(رحم الله امرءاً عرف من أين وفي أين وإلى أين)[1].

تتعلق بهذه الأصول الدينية الثلاثة، ولا يشترط الذكورة والأنوثة في فهم هذه الأصول الثلاثة، أي لا الذكورة هي شرط ولا الأنوثة مانع، والأنبياء الذين دعوا الناس إلى هذه الأصول الثلاثة لم يرسلوا دعوة خاصة للرجال. ولم يحرموا النساء من المشاركة في هذه المراسم.

عندما يقول القرآن على لسان النبي الأكرم:

﴿أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾[2].

فان هذه الدعوة تشمل جميع الناس. وإذا كان أحد الأنبياء قد كتب دعوة إلى أحد الرجال بصفته رئيس أحد البلدان فان هناك نبياً آخر قد كتب دعوة إلى إحدىٰ النساء بصفتها رئيسة أحد البلدان، فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد دعا رجالاً رؤساء إلى الإسلام، فان سليمان عليه السلام دعا أيضاً امرأة رئيسة إلى الإسلام، فالدعوات عامة وكذلك المدعوين، ولا يوجد في هذا أي اختصاص.

لغة القرآن، لغة ثقافة الحوار:

رغم ان الله تعالىٰ قال في شأن جزاء الأعمال:

﴿كل أمرىءٍ بما كسب رهين﴾[3].

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار.
(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.
(٣) سورة الطور، الآية: ٢١.

ولكن (أمرىء) هذه ليست في مقابل (امرأة)، بل ان طريقة الحوار هي ان يذكر الإنسان بصفة إنسان وليس بصفة رجل في مقابل المرأة.

عندما تتواجد المرأة والرجل في ساحة الثورة، يقال ان أهل إيران ثاروا، أو إذا كان لدىٰ امرأة ورجل سؤال عن موضوع يقال: ان (الناس) يقولون هكذا هؤلاء الناس أي (جماهير الناس) لا خصوص الرجل أو المرأة.

بناء على هذا. في الآية التي تقول:

﴿كل أمرىءٌ بما كسبت رهين﴾ ليس المقصود هو الرجل في مقابل المرأة، حيث ان هذا المعنىٰ بينه تعالىٰ في آية أُخرىٰ بتعبير (نفسٍ) وقال:

﴿كل نفسٍ بما كسبت رهينة﴾[1].

وأحياناً يعبر بـ (الإنسان) ويقول:

﴿ليس للإنسان إلا ما سعىٰ * وأن سعيه سوف يرىٰ * ثم يجزاه الجزاء الأوفىٰ﴾[2]. بناء على هذا، فان مسألة الجزاء ومسألة المعاد لا تختص بمجموعة خاصة، ولأن المعاد هو عودة إلى المبدأ فكل إنسان مسؤول تجاه عمله، وهنا لا مدخلية للذكورة أو الأنوثة، وكذلك في معرفة المبدأ والتقرب إليه. هذه تعابير معنوية في القرآن الكريم.

الدلالة اللفظية في القرآن:

أحياناً تذكر في القرآن هذه المعارف المعنوية مع بيان ألفاظ خاصة، لأجل أن يفهمنا أن لغة الحوار أعم من المذكر والمؤنث وإذا بين أحياناً

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

(٢) سورة النجم، الآيات: ٣٩ ـ ٤١.

مسألة بلغة الناس فليس المقصود هو الرجل في مقابل المرأة يطرح آيات مثل آيات سورة آل عمران التي تتعلق بهجرة المهاجرين في صدر الإسلام، لأنه عندما هاجر علي بن أبي طالب عليه السلام كانت معه الفواطم، وهاجرت بعض النساء معه أيضاً.

قال تعالىٰ في ذيل بحث الهجرة هذا:

﴿اني لا أضيع عمل منكم من ذكر أو انثىٰ﴾[1] .

فالمرأة إذا هاجرت تكون مأجورة والرجل أيضاً إذا هاجر فهو مأجور. في هذه الآية ضمن إنه حكم بتساوي المرأة والرجل في فضيلة الهجرة، ولكنه اختار لفظاً بنحو يفهمنا أن سائر الألفاظ إذا كانت مذكرة، فليس المقصود بها الرجل في مقابل المرأة، لأنه قال في هذه الآية:

﴿إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكرٍ أو أنثىٰ﴾ فكلمة ﴿من ذكر أو أنثىٰ﴾ هذه، بيان للمقصود من كلمتي ﴿عامل﴾ و ﴿منكم﴾ إذ لو كان المراد بهما خصوص العامل الذكر في مقابل العاملة لا يمكن القول، (عامل من ذكر أو أنثىٰ). وإذا كان (منكم) في مقابل (منكن). عند ذلك لا يمكن القول (من ذكر أو انثىٰ)، فيتضح انه يجب عدم تفسير (عامل) بأنه في مقابل (عاملة) وكذلك (منكم) في مقابل ؛(منكن). وهذا شاهد جيد على هذا الادعاء وهو انه إذا جاءت التعابير القرآنية بصورة مذكر فهي على أساس لغة الحوار وليس على أساس الأدبيات الكتابية. وقال تعالىٰ في سورة النحل المباركة:

﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾[2] .

حيث بين في هذه الآية ثلاثة ألفاظ، جاءت كلها بصورة مذكر، ولكن

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.

في أثناء الآية، قال تعالىٰ: ﴿من ذكر أو أنثىٰ﴾ وهذا لا ينسجم مع القسم السابق في الآية ولا مع القسم اللاحق له، لأنه جاء في أول الآية ﴿من عمل صالحاً﴾ حيث بين كلا اللفظين (من) و (عمل) بصورة مذكر، طبعاً يمكن ان يقال في شأن (من) أنها تشمل المرأة والرجل، أما اللفظ الثاني وهو (عمل) فهو خاص بالمذكر. ثم قال تعالىٰ:

﴿... من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فلنحيينه﴾.

هنا أيضاً لفظ (مؤمن)، وضمير (هو) والضمير المفعولي في فلنحيينه جاء مذكراً، وفي الحقيقة ذكر في الآية أربعة ألفاظ مذكرة لفظاً مذكراً قبل ﴿من ذكر أو أنثىٰ﴾ وثلاثة ألفاظ مذكرة بعد ذلك.

بناء على هذا، يجب البحث عن أن ﴿من ذكر أو أنثىٰ﴾ هذه، بيان لماذا؟ لو كانت بيان (عَمَلَ) فـ(عَمِلَ) تشمل المذكر فقط وضمير المذكر اللاحق الذي يقول ﴿فلنحيينه﴾ يعود إلى خصوص المذكر، فقوله تعالىٰ: ﴿من ذكر أو أنثىٰ﴾ في وسط الآية، لا ينسجم مع المذكر السابق ولا مع المذكر الذي يأتي بعد ذلك.

فالجواب الصحيح هو أن الله تعالىٰ يريد أن يفهمنا هنا، أنه عبر بصورة مذكر على أساس لغة الحوار لا ان العمل يكون خاصاً بالرجل وبناء على هذا يجب عدم الوقوع في مشقة تفسير انه لماذا قال رسول الله ﷺ:

«طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1].

ولم يقل (مسلمة) وفي بعض الروايات أضيفت كلمة (مسلمة) أيضاً، أو ان بعض المحدثين روىٰ (مسلمة أيضاً). ان القرآن الكريم في نفس الوقت

---

(١) بحار الأنوار، ج١، ص١٧١.

الذي يعرفنا بعظمة ذلك المعنىٰ، يرشدنا أيضاً إلى خاصية لغة الحوار، ويقول: إن الكلام إذا كان عن المذكر، فهو ليس من أجل ان هذا الوصف هو وصف المذكرات بل من أجل انه يعبر هكذا في مقام اللفظ، الخلاصة ان تلك الشواهد المعنوية، وهذه الشواهد اللفظية، تثبت أن ما يعود إلى العلم وإلى العمل في المعارف والكمالات ليس الكلام فيه عن الذكورة والأنوثة.

حالات من التساوي في الاستفادات المادية والمعنوية:

أحياناً يمكن ان يحكم القرآن الكريم بالتساوي، ولكن ذلك النوع من الحالات هو من باب القضية الموجبة الصادق بصدق الموضوع والمحمول، وبإيجاب الموضوع والمحمول، كما في قوله ﴿**سواء العاكف فيه والباد**﴾[1]، هنا حقيقة ﴿**العاكف**﴾ قسم و ﴿**الباد**﴾ قسم آخر.

ان أهل المدينة قسم وان أهل (البدو) والبادية قسم آخر، هنا يمكن القول ﴿**سواء العاكف فيه والباد**﴾ لأن هذا يعود إلى الجسم، لأن السكن في المدينة أو البادية لا يعود إلى روح الإنسان، التقسيم إلى قارة أو أقليم جغرافي أو الخصائص المدنية أو القروية، هذه تتعلق بجسم الإنسان وليس بروح الإنسان، فروح الإنسان ليست مدنية ولا قروية، لا هي عرب ولا عجم، أو الفارسية ولا تركية، لا عبرية ولا عربية، لأنها جاءت من عالم ليس فيه حديث عن العبرية والعربية، أو الفارسية والسريانية، أو الرومية والتركية وأمثال ذلك، قطعاً في الروح لا يكون الكلام على العاكف والباد ولكن جسم الإنسان يقطن أحياناً في المدينة وأحياناً في القرية، لذا قال الله سبحانه: ان الشخص الذي جاء من البادية له استفادة من الحرم، والشخص الساكن في المدينة ويقطن في نفس مكة، له أيضاً استفادة ﴿**سواء العاكف فيه والباد**﴾.

في قسم آخر حكم أيضاً بالتساوي وهذا الحكم بالتساوي إذا كان

---

(١) سورة الحج، الآية: ٢٥.

متعلقاً بالمسائل المادية، فان الأبدان متساوية وإذا كان متعلقاً بالمسائل المعنوية، فالأرواح متساوية، فمثلاً قال بشأن الرزق:

﴿وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام﴾[1] .

ثم قال:

﴿سواء للسائلين﴾ .

ان المقصود من السؤال هنا هو السؤال العملي والاستيعابي. كل من لديه قابلية كسب وقدرة على الاستفادة من المصادر الأرضية يمكنه الاستفادة بدون امتياز **﴿سواء للسائلين﴾** .

وفي ما يتعلق بالمعارف أيضاً كل من سأل أخذ الجواب أيضاً. ورغم انه تعالىٰ قال في هذه الآية: **﴿قدّر فيها أقواتها في أربعة أيام﴾** لكنه قال في سورة عبس:

﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾[2] .

هذا الطعام قسمّوه إلى مصداقين وطبقوه على مصداقين، احدهما هو الطعام المصطلح، والآخر هو طعام الروح، حيث روى المرحوم الكليني في ذيل هذه الآية عن الإمام الصادق عليه السلام وقال آية **﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾** أي:

(فلينظر إلى علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه)[3] .

فالطعام قسمان، والله تعالىٰ قال: **﴿سواء للسائلين﴾**، أي كل من سأل طعام بدن في كل الظروف يستلم في مقابل السؤال. وطعام الروح كذلك

(١) سورة فصلت، الآية: ١٠.

(٢) سورة عبس، الآية: ٢٤.

(٣) أصول الكافي، ج١، ص٥٠.

فكل من سأل في كل الظروف يحصل عليه، فليس هناك اختلاف بين الطالبين في مسألة الجسم، ولا هناك اختلاف بين الطالبين في مسألة الروح، الأرواح متساوية في طلب العلوم والفضائل، كذلك الأبدان متساوية في طلب الأرزاق الظاهرية، في مثل هذه الحالات هناك محل للتساوي ولكن ليس هناك أي اختلاف بين الأرواح، لا ان الأرواح بعضها مذكر وبعضها مؤنث والمذكر والمؤنث متساويان ـ كما مر سابقاً من كونها سالبة بانتفاء الموضوع ـ وهذه الآيات المذكورة التي كان قسم منها في سورة النحل المباركة وقسم آخر في سورة آل عمران ـ تتعلق بهذا الموضوع وأن ليس في الأمر أنوثة وذكورة.

أحياناً يمكن ان يفهم ان القرآن يثمن الذكور أكثر، ويرىٰ الغلبة للذكور، وعندما يمدح امرأة بمقام فضيلة يعدها في زمرة الرجال، لا أن يفتح للمرأة حساباً منفصلاً، والشاهد على هذا هو انه قال في شأن مريم عليها السلام:

﴿وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾[1].

ولم يقل: «وكانت من القانتات». لقد وصفت مريم عليها السلام بأنها تصدق بالكلمات الإلهية، وتؤمن بالكتب الإلهية ومن أهل القنوت والخضوع، مع هذا فان الله سبحانه يعطي الرجال استقلالاً ويذكر مريم تحت غطاء اسم الرجال ويقول **﴿وكانت من القانتين﴾** لا (من القانتات).

جواب هذا التوهم هو ان لغة الحوار غير لغة الأدبيات الدراسية والكتابية. طبعاً القرآن الكريم يشخص في سورة الأحزاب ان المرأة والرجل متساويان في هذه الفضائل ويعدّ كثيراً من الفضائل الأخلاقية. ويعطي لكل

(١) سورة التحريم، الآية: ١٢.

من هذين الصنفين استقلالاً، ورغم انه قال في سورة آل عمران:

﴿الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾[1].

ويبين الجميع بصورة مذكر، لكنه يقول في سورة الإحزاب:

﴿ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات...﴾.

ثم يقول:

﴿والذّاكرين الله كثيراً والذّاكرات أعدّ اللهُ لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾[2].

ان الله تعالىٰ يعبر بطريقة تفهمنا المعنى وتفهمنا انه يتكلم بثقافة الحوار وليس بالثقافة الكلاسيكية. ومع إنه صرح وقال:

﴿ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾.

ولكنه حين يخبر، لا يقول: (أعدّ الله لهم ولهنّ) بل يقول: (أعدّ لهم)، أي لا تفكروا بانه كلما ورد كلام عن (كُم) و (هُم) فالمقصود هو الرجل (إلاّ بقرينة التقابل). وعليه فالشخص العارف بثقافة القرآن لا يخطر في ذهنه انه لماذا ورد في تلك الرواية (طلب العلم فريضة على كل مسلم) حتى يكون في فكر الجواب ما دام مستأنساً بالقرآن ويفهم ان الله يذكر بصراحة الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات بشكل مشروح في آية واحدة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

بناء على هذا، فان قوله في شأن مريم عليها السلام: ﴿**صدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين**﴾، لا لأجل انه ليس لدينا قانتات، لأنه قال صريحاً في سورة الأحزاب: ﴿**والقانتين والقانتات**﴾ بل لأجل حفظ ثقافة الحوار، وعلامته انه هكذا في جهة العكس أيضاً، ففي جهة العكس أيضاً يعد المرأة الخاطئة في زمرة الرجال الخاطئين على أساس طريقة الحوار ويقول في سورة يوسف:

﴿**واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين**﴾(1).

لا (من الخاطئات). وهذا لا لأنه ليس لدينا خاطئات، بل لأجل انه يتكلم على أساس لغة الحوار.

نتيجة الكلام:

أولاً: بيّن القرآن الكريم أنه يخاطب أرواح الناس، والأرواح ليست مذكرة ولا مؤنثة.

وثانياً: ان موضع الذكورة والأنوثة هو بدن الإنسان، والبدن، ليس له علاقة بالفضائل والمعارف.

وثالثاً: إذا لم تكن هناك قرينة خاصة في الكلام ولا تقتضي القوانين الأدبية، فان آيات القرآن وكلام الله يجب حمله على أساس لغة الحوار.

ورابعاً: أولئك الذين يدعون لمساواة المرأة والرجل عندما يريدون التكلم عن جماهير الناس ـ مجموع النساء والرجال ـ هل يقولون: ان الرجال والنساء ثاروا، الرجال والنساء اعترضوا، النساء والرجال صوتوا؟ أم يقولون: الناس ثاروا، الناس أدلوا بأصواتهم و..؟ هذه هي طريقة الحوار

(1) سورة يوسف، الآية: ٢٩.

والعرف العالمي. بناء على هذا يجب عدم القول: ان القرآن يهتم بالذكور دون الإناث.

حالات التصريح بالذكورة والأنوثة في القرآن:

الحالات التي يذكر فيها القرآن الكريم بصراحة اسم المرأة والرجل، علّتها انه يريد تخطئة الأفكار الجاهلية قبل الإسلام، فلأن أولئك كانوا يفرقون بين المرأة والرجل وكانوا يرون العبادات والفضائل منحصرة بالرجال، لذا جاء في القرآن الكريم بتحليل عقلي أن الذي يجب ان يكمل هي الروح والروح لا هي مذكر ولا مؤنث.

لم تكن تعطى للمرأة قبل الإسلام أية قيمة، وكانوا ينظرون دائماً إلى المرأة بعين الغضب، كما انه ليس لها أية قيمة في الأماكن المتقدمة، صناعياً، إلا من أجل إرضاء شهوة الرجال، وكلاهما احتقار لمقام المرأة الرفيع، ولكن الله تعالىٰ ذكر في القرآن انه يتولىٰ تربية قلوب وأرواح الناس، وأرواح وقلوب الناس لا هي مذكر ولا مؤنث، لذا ينفي القرآن موضوع المرأة والرجل لكي لا يبقىٰ محلاً لبيان التساوي أو الاختلاف بين هذين الاثنين، لذا عندما يبحث في كل القرآن وكذلك في كل كلام العترة الطاهرة عليهم السلام لا يلاحظ حالة اعتبر فيها القرآن كمالاً من الكمالات المعنوية مشروطاً بالذكورة أو عدها ممنوعة عن الأنوثة.

في البحوث القادمة (فصل العرفان) سوف يتضح انه في جميع الأسفار الأربعة كلا المرأة والرجل سالكان هذا الطريق، وإذا كان هناك اختلاف فهو في الأعمال التنفيذية، والأعمال التنفيذية هي وظيفة لا كمال. وفي العبادة أيضاً ليست هناك أية عبادة تفوت المرأة، حتى في مسألة (دعي الصلاة أيام

اقرائك)[1] قالوا: إذا توضأت وجلست في مصلاها نحو القبلة وذكرت فان لها ثواب الصلاة، لذا ليس هناك أي كمال شرطه الذكورة ومانعه الأنوثة.

طبعاً في المسائل الفقهية التي تتولىٰ تقسيم العمل وتشرح المسائل التنفيذية، هناك يذكرون أي الأعمال شرطها الذكورة. والأنوثة مانعة، ولكن هذا يتعلق بالأعمال التنفيذية. أما في البحوث التفسيرية، الكلامية، الفلسفية والعرفانية، فليس هناك أي بحث عن الذكورة أو الأنوثة، بل هي تتعلق بإنسانية الإنسان.

بناء على هذا، إذا كان الكلام هو عن تهذيب الروح، فالروح ليست مذكراً ولا مؤنثاً، فالكلام هو عن عدم الذكورة والأنوثة، ولذا لا يأتي بحث التساوي ويبين بسهولة وذلك الجزء من القرآن الذي تشعر كلماته بالذكورة عدة طائفة من الآيات:

بناء على هذا تقسم آيات القرآن الكريم إلى عدة طوائف:

الطائفة الأولىٰ: هي الآيات التي لا تختص بصنف خاص مثل الآيات التي طرح فيها الناس أو الإنسان، أو ذكرت بلفظ (مَنْ).

الطائفة الثانية: هي الآيات التي تتكلم على الرجل، مثل الآيات التي استعمل فيها ضمير جمع المذكر السالم، والآيات التي استفيد المذكر فيها من لفظ (ناس)، وأمثال ذلك، كأن يقول: (يعلمكم، يعلمهم).

ولكن هذا هو على أساس لغة الحوار. فحين يريدون التكلم يقولون: ان الناس يقولون كذا، الناس يتوقعون، الناس في الساحة الناس يصوتون. هؤلاء الـ (ناس) ليسوا في مقابل النساء، بل الناس يعني (جماهير الناس).

(١) فروع الكافي، ج٣، ص٨٥.

فيجب عدم الاستنتاج إن القرآن له قاموس مذكري من كيفية التعبير الرائجة في قاموس الحوار والأدب.

الطائفة الثالثة: هي الآيات التي استعمل فيها لفظ الرجل والمرأة، وهي تصرح بانه في هذه الناحية ليس في الأمر امرأة ورجل أو لا يختلفان، مثل قوله تعالىٰ:

﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾[1] .

إن القرآن نزل لأجل تهذيب الروح. حين العبادة والتقرب حكم ذلك العامل، سواء كان بدنه امرأة، أو رجلاً، حكمه لا يختلف، طبعاً حين العمل والتنفيذيات، البدن دخيل، ويقسم البدن بشكل امرأة ورجل، ولكن الذي يؤمن في مقام المعرفة، ويؤمن في مقام الإرادة واخلاص النية، في محل المعرفة والعزيمة، في محل الجزم والعزم، ليس هو مذكراً ولا مؤنثاً.

بناء على هذا اتضح ان هذه الأصناف ليس لها دور في المناهج التعليمية ومناهج التزكية في القرآن الكريم، ولذا يقول تعالىٰ بأن بدنكم هذا (البشر الأولي) من التراب.

﴿إني خالق بشراً من طين﴾[2] .

أحياناً يقول من التراب، وأحياناً يقول: من **﴿حمأ مسنون﴾**، وأحياناً من **﴿من صلصال﴾**، وأحياناً **﴿طين﴾** وأمثال ذلك، وأحياناً يقول بأن امرأة ورجلاً دخيلان في ظهوركم (البشر الثانوي)، بناء على هذا، بماذا تفخرون؟ وإذا أردتم ان تتفاخروا، فان فخركم هو في اللاّفخر. عامل الفخر هي التقوىٰ فقط التي ترافق عدم الفخر وعدم التفاخر، هذه الآية المعروفة في

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٢) سورة ص، الآية: ٧١.

سورة الحجرات تتولىٰ قسم البدن وقسم الروح أيضاً، ان قوله تعالىٰ **﴿يا أيها الناس﴾** أي الناس الذين جاء القرآن لهدايتهم.

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ﴾[1].

أي انكم إذا أردتم الفخر بالبدن فان الرجل خلق من امرأة ورجل والمرأة أيضاً ولدت من امرأة ورجل، لا ان خلق بدن الرجل أفضل من خلق بدن المرأة ولا بالعكس. حيث انه إذا أراد شخص أو صنف أو عرق التفاخر على عرق آخر، يقال له أيضاً ان كل فريق منكم هو من امرأة ورجل.

من حيث مسألة العرق واللغة أيضاً قال: بانها عامل للتعارف والهوية الطبيعية، فالإنسان لا يستطيع ان يحمل معه هوية بلده إلى أي مكان يذهب، الوجوه. الهياكل، اللغات واللهجات هي هوية طبيعية للإنسان وهي تعود إلى البدن أيضاً، وإلا فالروح لا شرقية ولا غربية، لا عرب ولا عجم و..

﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾[2].

والهوية ليست عامل فخر أيضاً، فإذا أراد شخص ان يتفاخر لا محل لذلك، لأن الجميع هم من ذكر وأنثىٰ، والشعوب والقبائل تتعلق بالبدن، والأرواح لها حساب منفصل «الأرواح جنود مجندة»[3]. لها وادٍ آخر ليس فيه كلام عن الهوية وأمثالها، ثم إذا أراد شخص ان يرتفع يجب أن يرتفع بدون تفاخر، وذلك:

﴿ان أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[4].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) بحار الأنوار، ج٦١، ص٣١.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

والآيات من هذا القبيل كثيرة سوف يشار إلى بعضها.

ذكر شواهد قرآنية(١):

الملائكة لا مذكرة ولا مؤنثة:

المقدمة الأولىٰ: ذكر في القرآن الكريم كمالات للملائكة، وذكرت هـذه الكمـالات أيضـاً للنـاس العلمـاء والـواعيـن ـ سـواء كمـالات علميـة أو كمالات عملية. **المقدمة الثانية**: إذا ثبت ان الملائكة ليست جسماً ومنزهة عن الذكورة والأنوثة يتضح الوجه المشترك للملائكة والإنسان، وانه روح الإنسان، لا جسمه ولا مجموع الجسم والروح.

بهاتين المقدمتين، يتضح كما بين سابقاً ان في المسائل القيمية ليس هنـاك كـلام عـن الـذكـورة والأنـوثـة، بـل ان هـذين الصنفين متسـاويـان، لـذا فأساس القضية سالب بانتفاء الموضوع، ولكن يرىٰ الماديون أن هذه القضية سالبة بانتفاء المحمول. لأنهم يتصورون حقيقة الإنسان هي البدن، والبدن أما مذكر أو مؤنث ثم يقولون: ان المرأة والرجل لا يختلفان في المسائل القيميـة، ولكـن الإسـلام يـرىٰ روح الإنسـان تمـام الحقيقـة وفـي نفـس الـوقـت الـذي يعـدّ البـدن ضـروريـاً، يعـرّفـه كـأداة، لا بصفـة تمـام الـذات، ولا جـزء الذات، وهي يقول: إن المرأة والرجل لا يختلفان، يعني في المسائل القيمية ليـس هنـاك كـلام عـن الـذكـورة والأنـوثـة أسـاسـاً، لا أنهمـا صنفـان ولا يختلفان.

لأجل تأييد هذه المسألة نرىٰ ان القرآن الكريم عندما يذكر المسائل العلمية يعرف الملائكة والعلماء بنحو واحد ويقول:

﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله

إلا هو العزيز الحكيم﴾[1] .

في هذه الآية يسند الشهادة بوحدانية الله إلى الله سبحانه أولاً وبعد ان ينهي الجملة الأولىٰ يذكر الملائكة والعلماء في محل واحد، والملائكة لا مذكر ولا مؤنث، وفي هذه المسائل العلمية يثمن الله سبحانه شهادة الملائكة بحيث ذكر شهادتهم بعد شهادته بوحدانيته، ثم ذكر العلماء إلى جانب الملائكة، من هنا يتضح ان المقصود من **﴿أولوا العلم﴾** هذه، ليس الرجال العلماء، كما انه لا يخص النساء العالمات.

فالعالم هو الروح. والروح لا مذكر ولا مؤنث، الروح هي التي تستطيع ان تكون كالملائكة شاهدة بوحدانية الله لا الجسم ولا مجموع الجسم والروح والوجه المشترك للملائكة والعلماء هو مقام تجرد الروح.

وقال حول (الكمال العملي) أيضاً في تأييد الرسول ﷺ :

﴿فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ .

في هذه الآية إذا كان هناك توقف على صالح المؤمنين، أو لم يكن فان معنىً جامعاً يستفاد من هذه الآية، وهو ان رسول الله ﷺ تحت ولاية الله، والصالحون من المؤمنين أولياؤه، الملائكة أيضاً ظهيره، وهذا عمل صالح يصدر من مؤمن صالح. في مثل هذه الحالات يذكر المؤمنين الصالحين قبل الملائكة أحياناً، وأحياناً يذكر الملائكة قبل العلماء، فحين الكلام عن علم التوحيد ذكرت الملائكة قبل العلماء **﴿والملائكة وأولوا العلم﴾** ولكن حين يوجد، العمل الصالح بالإضافة إلى العلم، أو تذكر مساندة الرسالة، وبعبارة أُخرىٰ حين يوجد المقام العملي بالإضافة إلى المقام العلمي، هناك تذكر

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.

الملائكة بعد المؤمنين، لأن هذه المجموعة من المؤمنين هي معلّمة الملائكة، والمعلم له مقام أفضل، لذا يذكر المتعلم بعد المعلم، قال تعالىٰ: **﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾**[1] . هنا أيضاً جهة جامعة بين الملائكة والناس الصالحين، وتلك الجهة الجامعة بين المؤمنين الصالحين (ومثالها الكامل هم العترة عليهم السلام) والملائكة، هي الروح المجردة، لا الروح بالإضافة إلى الجسم ولا خصوص الجسم، وهذان نموذجان أحدهما في مسألة (الكمال العلمي) والآخر (الكمال العملي)، ان الملائكة والناس متساويان، والمقصود من الناس أيضاً، تلك الكمالات الروحية والمجردات العقلية.

الملائكة منزهة عن الذكورة والأنوثة:

يطرح القرآن الكريم أحياناً كلاماً عن أنوثة الملائكة، ولكن هذا كلام بلغة الآخرين، في سورة النساء يقول:

﴿ان يدعون من دونه إلا إناثاً وان يدعون إلا شيطاناً مريداً﴾[2] .

هذا ليس بمعنى ان الملائكة مؤنثة، ان قوله تعالىٰ: إنهم يعبدون إناثاً، أي ان الوثنيين يتصورون الملائكة إناثاً، أولاً. وثانياً، انهم ـ يرون الملائكة واسطة في الفيض بشكل مستقل، ثالثاً، من أثر تصور الاستقلال قاموا بعبادة الملائكة، رابعاً، هذه هي دسيسة ووسوسة شيطان، لذا ذكر حصرين إلى جانب بعضهما البعض وقال **﴿ان يدعون من دونه إلا إناثاً وان يدعون إلا شيطاناً مريداً﴾** ويدل هذان الحصران على انهما في طول بعضهما لا في العرض؛ لأنه لا يمكن القبول بحصرين في عرض بعضهما البعض قال: إن

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٧.

هؤلاء يعبدون ويدعون إناثاً فقط. بعد ذلك قال: إن هؤلاء يريدون ويدعون الشيطان فقط أي ان توهم أنوثة الملائكة مثل توهم شفاعة الملائكة، وتوهم تأثير عبادة الملائكة، كل هذه الثلاثة هي من شيطنة الشيطان **﴿وان يدعون إلا شيطاناً﴾**، وهذا الشيطان هو مريد أيضاً، أي هو متمرد ومارد، ولأنه متمرد على الحق لذا تكون وساوسه باطلة أيضاً. فعندما ذكرت الملائكة بصفة إناث في القرآن الكريم، أوضح إلى جانبه فوراً توهم وسوسة الشيطان، وعندما ذكر الملائكة بصفة إناث في آية أُخرىٰ أيضاً، وذلك بصفة فرض حين قال:

﴿ألكم الذكر وله الأنثىٰ﴾(١).

﴿أمْ اتّخذَ ممّا يخلق بنات وأصفاكم بالبنين﴾(٢).

إن هذا ليس بمعنىٰ ان الملائكة إناث وأعطيتم الإناث إلى الله، وتحبون الذكور لأنفسكم بل هو على أساس الفرض والتسليم. فحين قال **﴿ألكم الذكر وله الأنثىٰ﴾** هذا لا يعني صحة انوثة الملائكة، بل هو بصفة فرض وتقدير؛ لأن القرآن الكريم أبطل صريحاً مسألة أنوثة الملائكة في آيات كثيرة:

﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون﴾(٣).

وفي آية أُخرىٰ:

﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً اشهدوا خلقهم ستكتب

---

(١) سورة النجم، الآية: ٢١.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ١٦.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٥٠.

شهادتهم ويسألون﴾[1] .

فهو يشجب كلتا المسألتين، أي ان الله تعالى يقول: انه لم يخلق الملائكة إناثاً، كما ان أولئك لم يكونوا شاهدين خلق الملائكة **﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً﴾** والذين **﴿جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾** هم يظنون ذلك. ثم يقول تعالىٰ: إن جعلهم هذا هو ظن نشأ من أثر إنكار المعاد والربوبية.

﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليُسمّون الملائكة تسمية الأنثىٰ﴾[2] .

بعض الأوصاف العلمية للملائكة:

من بين الأوصاف العلمية للملائكة هي انه كما ان الملائكة شاهدون بوحدانية الله، كذلك هم شاهدون برسالة النبي الأكرم ﷺ، لذا نقرأ في القرآن الكريم:

﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون﴾[3] .

وهذه الصفة العالية ـ أي الشهادة برسالة خاتم الأنبياء ـ ثابتة للناس أيضاً. قال تعالىٰ في نهاية سورة الرعد:

﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفىٰ بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾[4] . وجملة **﴿من عنده علم الكتاب﴾** طبقت على أمير المؤمنين عليه السلام.

بناء على هذا، فان الإنسان يشهد بالشيء الذي يشهد به الملائكة.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ١٩.
(٢) سورة النجم، الآية: ٢٧.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٦.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

وجميع المكلفين، نساء ورجالاً يشهدون بوحدانية الله تعالىٰ ورسالة الرسول الأكرم ﷺ في جميع الصلوات وآذان وإقامة الصلوات. هذه الشهادة بالرسالة ـ في مدخل الصلاة ـ باسم (الآذان والإقامة) وفي (التشهد) هي الطريق العلمي للملائكة.

التـولي والتبـري:

من الأوصاف العلمية اللملائكة: (التولي والتبري). وقد مر في ذيل الآية ٤ من سورة التحريم جزء من تولي الملائكة، وفي هذا القسم نذكر بعضاً من ذلك. قال تعالىٰ:

﴿ان الله وملائكته يصلون على النبي﴾.

ثم قال:

﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾[1].

الله سبحانه يصلي على النبي، وكذلك الملائكة يصلون على النبي ﷺ وكذلك المؤمنون نساءً ورجالاً مكلفون بالصلاة على النبي، في الصلاة وغير الصلاة.

بناء على هذا فان الصلاة والتسليم وهما عمل الملائكة، موضع أمر الناس أيضاً. ان شهادة الملائكة بوحدانية الله والرسالة هو أمر علمي والصلاة أمر عملي، فالناس يشاركون الملائكة في أمر علمي وأمر عملي أيضاً.

وكما ان التبري إلى جانب التولي يعد من فرائضنا الدينية، وكما ان الصلاة والصوم واجبان، فإن تولي أولياء الله والتبري من أعداء الله واجبان على جميع المكلفين، وكما أن الملائكة لهم تولٍ كذلك لهم تبري، وفي

(١) سورة الاحزاب، الآية: ٥٦.

مسألة تبري الملائكة قال القرآن الكريم:

﴿ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾[1] .

وكلمة (ناس) في الآية لا تختص بالرجل، لعنة الناس على الكافرين، كذلك لعنة الملائكة على الكافرين.

الملائكة سفراء الله:

ان مجموع الأوصاف العلمية التي يعود بعضها إلى الشهادة بالوحدانية وبعضها إلى الشهادة بالرسالة، والأوصاف العملية التي يعود بعضها إلى التولي وبعضها إلى التبري أصبحت عاملاً لأن يطرح الملائكة بصفة سفراء كرام الله، قال تعالىٰ:

﴿بأيدي سفرة * كرامٍ بررة﴾[2] .

أي أن كتاب دعوتي هذا وصلكم بواسطة سفرة كرام، أي انه تعالىٰ لم يرسل سفيراً صغيراً، بل سفيراً مكرماً، وقال: فيها كتب قيمة، صحف مطهرة وقيمة **﴿بأيدي سفرة* كرام بررة﴾**، أرسل بواسطة الملك المكرم، رسالة كرامة، ولذا أصبح الإنسان كريماً:

﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾[3] .

كرامة الملائكة:

التعبير في القرآن الكريم عن الملائكة هو انهم عباد مكرمون:

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦١.

(٢) سورة عبس، الآيتين: ١٥ ـ ١٦.

(٣) سورة الاسراء، الآية: ٧٠.

بالقول وهم بأمره يعملون﴾[1] نفس التعبير عن العباد الصالحين في سورة الفرقان، موجودة بشأن الملائكة في هذا الجزء من القرآن، في سورة الفرقان يذكر العباد الصالحين بصفة عباد الرحمن:

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾[2] .

كلمة (عباد الرحمن) هذه من أبرز الأوصاف التي اختارها الله للناس الشرفاء، ونفس هذا اللقب الشريف اطلقه على الملائكة وقال:

﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾ .

عباد الرحمن ليسوا رجالاً ولا إناثاً، الملائكة هم عباد الرحمن كما ان سائر الناس الصالحين هم عباد الرحمن. لذا قال تعالىٰ:

﴿ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثىٰ * وما لهم به من علم ان يتبعون إلا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾[3] .

إن كلام الذين يقولون بأنوثة الملائكة ليس علمياً، بل قائم على الظن، والمظنة لا تفيد في الرؤية الكونية والمسائل الأساسية ولا تحل محل العلم. يمكن ان يكون دليل الحجية في المسائل العملية والفرعية مظنة، تحل المظنة مكان العلم، وتعمل المظنة عمل اليقين، ولكن لا تستطيع المظنة ان تفعل شيئاً في الرؤية الكونية والمسائل الأساسية.

خلاصة البحث:

أ ـ ان الله تعالىٰ مدح الناس بالكرامة التي هي صفة الملائكة ودعاهم

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتين: ٢٦ ـ ٢٧.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.
(٣) سورة النجم، الآيتين: ٢٧ ـ ٢٨.

إلى تلك الكرامة، وهذا دليل على ان ما بينه الله في القرآن بشأن الملائكة قرره أيضاً للناس الصالحين ـ سواء كانت كمالات علمية أو كمالات عملية ـ.

ب ـ الملائكة لا هم مذكر ولا مؤنث، فالذي يسلك طريق المَلَك لا هو مذكر ولا مؤنث، والإنسان هو الذي يسير في طريق الملائكة والإنسان لا هو رجل ولا امرأة؛ لأن إنسانية الإنسان هي بروحه. والروح منزهة عن الذكورة ومبرئة من الأنوثة.

ج ـ الذين كان لديهم توهم أنوثة الملائكة، قال تعالىٰ ان توهمهم ناشىء من عدم الإيمان، لأنه لم يخلق الله الملائكة إناثاً ولم يكن أولئك شاهدين خلق الملائكة.

د ـ سنلاحظ ان الله تعالىٰ يقسم بخلق المرأة والرجل، ويعطي للمخلوقات والخلق قيمة وفي هذه الناحية ليس هناك أي فرق بين المرأة والرجل.

ذكر شواهد قرآنية(٢):

خلق الإنسان وخلافته:

يحلل الله تعالىٰ مسألة الإنسان إلى أصل هي الروح، وإلى فرع هو الجسم ويسند هذا الفرع إلى الطين والتراب والطبيعة والمادة.

﴿إني خالق بشراً من طين﴾[1]

ويسند ذلك الأصل إليه ويقول:

﴿ونفخت فيه من روحي﴾[2].

---

(١) سورة ص، الآية: ٧١.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢٩.

وفي سورة المؤمنون حين تصل مسألة الجنين إلى النهاية ويقطع الطفل المراحل الجنينية يقول تعالىٰ:

﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾[1] .

أعطيناه الروح، أي الروح تأتي عندما تكون مسألة المرأة والرجل قد انتهت، أي بعد:

﴿فكسونا العظام لحماً﴾[2] .

عندما قام المصور بالتصوير وانتهت مسألة الذكورة والأنوثة، قال: **﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾**، وذلك الخلق الآخر ليس مكوناً من ذكور وإناث.

في سورة القيامة نقرأ آية تشير بشكل كامل إلى أن ارتباط الذكورة والأنوثة يعود إلى الطبيعة والمادة لا إلى الروح. قال تعالىٰ:

﴿ألم يك نطفة من منّي يمنىٰ * ثم كان علقة فخلق فسوّىٰ * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثىٰ﴾[3] هذه الآية تشير إلى ان الوالدين لا يقومان إلا بالإمناء، وما يسمىٰ بالخلق هو من الله.

في هذه الآية يقول تعالىٰ بأن المذكر والمؤنث يعود إلى **﴿منّي يُمنىٰ﴾** لا إلى **﴿نفخت فيه من روحي﴾** كيفية الصورة مختلفة، مسألة المذكر والمؤنث هي من العلقة وما بعد ذلك، ومسألة الذكور والإناث مطروحة في نظام البدن. وبعد ان تنتهي مسألة الذكور والإناث، يأتي عند ذلك دور الروح، وسواء فسرت الروح على أساس، ما يعين ان (الأرواح جنود مجندة) حيث يقول البعض ان الأوراح هي قبل الأبدان، أو على أساس ان

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة القيامة، الآيات: ٣٧ ـ ٣٩.

الروح المجردة تحدث متزامنة مع كمال البدن، أو على أساس ثالث. فعلىٰ أيّ حال فإن الروح هي بعد حدوث الذكورة والأنوثة، أي أنه بعد أن يعبر البدن مرحلة المذكر والمؤنث، عند ذلك تحدث الروح، وهذا يجب تبيينه في الفصل الثاني والثالث بالاستعانة بالفصل الأول.

ولأن الله تعالىٰ يعتبر عمل الوالدين الإمناء وعمله الخلق، لذا يثمن عمله ويُقسم في جملة واحدة وسياق واحد بخلق المرأة والرجل ويعطي هذه الخلقة حرمة ويقول:

﴿والليل إذا يغشىٰ * والنهار إذا تجلىٰ * وما خلق الذكر والأنثىٰ﴾[1].

عندما يقسم بالليل ويقسم بالنهار في حالتيهما المتنوعتين، يقسم أيضاً بخلق المرأة والرجل لأن كلمة (ما) في **﴿وما خلق الذكر والأنثىٰ﴾** هي مصدرية، الخلق هو موضع القسم، وليس المخلوق، والله لا يُقسم بالمرأة والرجل، بل يقسم بخلق المرأة والرجل وهو فعله، ولولم يكن الاثنان محترمين، لما أقسم بخلقهما.

الزوج والزوجة في القرآن:

كلمة زوج وزوجة متقابلتان في التعابير العرفية، ولكن القرآن الكريم كما يرى الرجل زوجاً يرىٰ المرأة كذلك. يعد المرأة زوجاً، فكلمة زوجة أو زوجات لم تستعمل في القرآن، بل يستعمل أزواج. المرأة زوج كما ان الرجل زوج ويعبر بأن الله خلق آدم. وخلق زوجه من تلك النفس.

﴿وخلق منها زوجها﴾[2].

(١) سورة الليل، الآيات: ١ ـ ٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

ولأن الزوج هو الشيء الذي يصبح الواحد بواسطته اثنين. فحين يرد كلام عن المرأة والرجل، يقول:

﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثىٰ﴾.

أو يذكر نساء الجنة بصفة (أزواج) مطهرة. لا (زوجات). وكما ان الرجل هو زوج المرأة، فالمرأة أيضاً هي زوج الرجل، أحياناً يرد الكلام عن الزوج والزوجة لرفع الالتباس والتكلم على أساس المعايير الأدبية والدراسية، وإلا فتعبير القرآن الكريم بشأن المرأة والرجل متساوٍ.

الإنسان ومقام الخلافة:

المسألة الأُخرىٰ المطروحة في هذا البحث هي ان أرفع مقام يفرض للإنسان هو مقام الخلافة، أي خلافة الله. إذا وصل في الخلافة إلى مقام رفيع، فهناك إلى جانب ذلك مسألة الولاية والرسالة والنبوة، وأمثالها. وإذا دخل إلى المراحل الوسطىٰ أو النازلة فهو الإيمان وأمثاله، ويمكن ان لا ترافقه الرسالة أو النبوة.

والسؤال المطروح هو: هل ان الخلافة الإلهية هي للرجل والذكورة شرط والأنوثة مانع؟ أم ان الخلافة ليست للرجل، ولكن الرجال استطاعوا النجاح في تحصيل الخلافة ولم تنجح النساء؟ أم أنها غير مشروطة بالذكورة ولا ممنوعة بالأنوثة، والذين نجحوا في أن يصبحوا خليفة الله، إنسانيتهم أدت إلى ذلك لا ذكورتهم، الرجل لم يصبح خليفة، بل الذي أصبح خليفة الله، إنسان له بدن رجل.

توضيح المسألة انه جاء في القرآن الكريم كلام عن خلافة آدم:

﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾[1].

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

ثم قال الملائكة:

﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾[1].

فأوضح الله تعالىٰ لهم بأنه معلمهم وخليفته عن طريق تعليم الاسماء لآدم. وقد توضح في بحوث الخلافة ان آدم، ليس (قضية شخصية) وشخصاً معيناً خليفة الله، بل ان مقام الإنسانية هو خليفة الله. لذا جميع الأنبياء، خاصة خاتمهم ﷺ هم خلفاء الله، هذه ليست (قضية في واقعة) بل هي تشير إلى مقام الإنسانية، فكيف يكون آدم خليفة الله، مع انه ليس من الأنبياء أولي العزم، ولا يكون الأنبياء الآخرون خاصة أولوا العزم وبالأخص خاتمهم - ﷺ - خليفة الله؟ بل المقصود هو الإنسان الكامل، فالفرض ليس شخص آدم، بل شخصيته الإنسانية.

وفي هذه المسألة (ان خليفة الله هو مقام الانسانية لا الذكورة) شاهد آخر على أن سر كون مقام الإنسانية خليفة الله، هو بسبب تعليم الاسماء. قال تعالىٰ:

﴿وعلّم آدم الاسماء كلها﴾[2].

إن محور التعليم والتعلم كما مر في البحوث السابقة هي روح الإنسان، لا البدن ولا مجموع الروح والبدن. ان الذي يصبح عالماً هي الروح، والروح ليست مذكراً ولا مؤنثاً. بناء على هذا فان العالم بالاسماء الإلهية هي الروح وليس الجسم، والنتيجة: ان معلم الملائكة هي روح الإنسان وليس البدن. وثمرة البحث هي ان خليفة الله هي روح الإنسان وليس

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣١.

الجسم.

مقام الإنسانية، مسجود الملائكة:

من البحث السابق يستنتج ان مسجود الملائكة هي روح الإنسان وليس الجسم، حيث ان الملائكة خاضعة لروح الإنسان والشياطين أعداء لروح الإنسان.

فالشيطان ليس سيئاً مع الرجال لأنه كان سيئاً مع آدم. وإنما هو مسيء للإنسانية وعدو للناس (سواء كانوا رجالاً أو نساءً)، لذا نجد الله تعالى يخاطب المجتمع البشري بأن عدوكم المبين هو الشيطان بناء على هذا، فان مسجود الملائكة هو مقام الإنسانية، ولأن معلم الملائكة هو مقام الإنسانية، فالعالم بالاسماء هو مقام الإنسانية، ومقام الإنسانية العالم بالاسماء، منزه عن الذكورة والأنوثة، فارفع مقام وهو مقام الخلافة، هو لإنسانية الإنسان ولا يختص بالمرأة أو الرجل، وما ورد في سورة الأعراف يؤيد هذه المسألة أحياناً، جاء في أوائل سورة الأعراف:

﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾[1].

أي انه تعالىٰ ذكر خلاصة الناس وهو مقام الإنسانية بعنوان آدم وقال للملائكة ان يكونوا خاضعين لمقام المعلم، ورغم ان البعض يظنون انه يمكن الاستفادة من هذه الآية وجود أناس كانوا قبل آدم، ولكن آيات سورة آل عمران وأمثالها توضح جيداً أن هؤلاء الناس هم نسل آدم عليه السلام وآدم من (تراب)، رغم انه طبقاً لبعض الروايات قد وجد بشر كثيرون جاؤوا قبل آدم، ولكنهم رحلوا والنسل الفعلي للبشر ينتهي إلى آدم، حيث قال تعالىٰ:

﴿إن مثل عيسىٰ عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١١.

فيكون﴾[1] .

يقول تعالىٰ بانه لماذا الغلوّ بشأن عيسىٰ، تعتبرونه (ابن الله) وتقولون بشأن الله ﴿ثالث ثلاثة﴾؟ قضية عيسىٰ مثل قضية آدم. لو كان آدم ابنا لأبوين لما أصبحت قضية عيسىٰ شبيهة بقضية آدم وحواء أبداً.

الخلاصة انه يستنبط من آية سورة الأعراف أن خلاصة الإنسانية ظهرت بصورة آدم، وهذه الخلاصة صارت خليفة الله ومسجود ومعلم الملائكة. إنسان وكلما زاد سهم من خلاصة الإنسانية حصل على حظ وافر من الخلافة ونصيب أكثر من التعليم وحصة أهم من المسجود، لذا يكثر تعرض الشياطين له إلا أن ييأسوا.

استفهام الملائكة واعتراض الشيطان:

عندما أراد الله تعالىٰ خلق الخليفة كان الملائكة والشيطان غافلين عن هذا الأمر، لذا فكلاهما سأل الله تعالىٰ، ولكن لياقة الملائكة كانت تقتضي ان يطرحوا هذا السؤال بصفة استفهام، وشيطنة الشيطان دفعته إلى طرح هذا السؤال بصفة اعتراض، كلاهما سأل، ولكن أحدهما مستفهماً والآخر متعنتاً ـ جاء في الجوامع الروائية في مسألة آداب التعلم:

(سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً، فإن الجاهل المتعلم شبيه بالعالم وان العالم المتعسف شبيه بالجاهل المتعنت)[2] أي ان السؤال مفتاح العلم وكثير من الفضائل مترتبة على السؤال، كما ورد أن العلم مخزون في كنز ومفتاحه السؤال وبأن جماعة كثيرة تؤجر بسؤالكم. فالذي يجيب يحصل على أجر وكذلك المستمع يحصل على أجر، أي ان السامع يحصل على أجر

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.
(٢) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، الحكمة٣٢٠.

والسائل أيضاً مأجور، ولكن كما هو مشخص ان مراد مضمون الرواية هو انه يجب السؤال لأجل الفهم، لا لأجل العناد ـ لذا حين قال تعالىٰ:

﴿اني جاعل في الأرض خليفة﴾[1].

قال الملائكة:

﴿أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء﴾.

وذكروا سرّ أولويتهم هكذا:

﴿ونحن نسبحّ بحمدك ونقدس لك﴾.

تلك الجهة رجحان خلافة الملائكة وهذه الجهة مرجوحية خلافة الإنسان، إحداهما سلبية والأُخرىٰ إثباتية. ولكن الملائكة بدأوا جميع هذه الاحتجاجات في سؤالهم الأول، بالتسبيح وقالوا: ﴿سبحانك﴾، أي انك منزه عن كل نقص وعيب، ومبرأ من كل نقد واعتراض، ونحن الذين لا نعلم، وأنهم بعد الفهم سبحوا أيضاً وقالوا:

﴿سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا﴾[2].

أما اعتراض الشيطان عند الأمر بالسجدة فكان هكذا:

﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[3].

ولأن سؤال الشيطان كان ممزوجاً بالنقد والاعتراض، لذا عبر القرآن الكريم عن شيطنة الشيطان. بهذا التعبير:

﴿أبىٰ واستكبر وكان من الكافرين﴾.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٢.

أقسام الإباء والامتناع:

الإباء على نوعين: ١ ـ إباء اشفاقي، وهذا النوع من الإباء ليس مذموماً، فالشخص العاجز عن تحمل تكليف يأبىٰ، ولكن إباءه، هو إباء إشفاقي وليس له مذمة، كما في قوله تعالىٰ:

﴿إنّا عرضنا الأمانة على السمٰوات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها﴾[1].

هنا ليس في الأمر ذم، لأنهما لم تكونا قادرتين فأبين.

٢ ـ إباء استبكاري: يكون الإباء استكبارياً عندما توجد قدرة على الفعل، ولكن في نفس الوقت يتمرد، لذا تعبير القرآن عن إباء الشيطان، ممزوج بالاستكبار **﴿أبىٰ واستكبر وكان من الكافرين﴾**.

من هنا يتضح أن محور نقد الشيطان ومحور سؤال الملائكة هو في رؤيتهم البدن، وإلا لا الملائكة أدركت روح الإنسان، ولا الشيطان كان عالماً بروحه. الملائكة رأت الجنبة، المادية والبدن، لذا سألوا:

﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾.

كما ان الشيطان رأىٰ البدن وقال:

﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾.

آدم، معلم الاسماء:

وقد رفع الله، في مقام الجواب، الحاجب، بحيث أطلع الملائكة وعلمهم، وعلم الشيطان أيضاً مع هذا الفرق وهو أن تعليم الشيطان رافقه

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

طرد، وتعليم الملائكة امتزج بالتقرب، قال تعالىٰ للملائكة:

﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾[1] .

ثم بين الأمر للملائكة هكذا وقال:

﴿وعلّم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة﴾[2] .

قال للملائكة: إن خليفته ليس مصداق ﴿من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾، بل خلفيته العارف بحقائق العالم ومتعلم الاسماء، والذي يسفك الدماء، على أساس ﴿اثّاقلتم إلى الأرض﴾[3] ، ويقبل بمسألة سفك دماء البدن أو يقبل بالفساد، فالإنسان من ناحية ان لديه روحاً عالمة طبق ﴿وعلم آدم الاسماء﴾ هو خليفته، حيث انه تعالىٰ ذكر أن آدم ليس مسجوداً من ناحية أنه خلق من طين، وخرج من تراب، بل من ناحية أنه يمر من الأفلاك.

عدم شأنية الملائكة للتعلم:

عندما طرح الله مسألة تعليم الاسماء عرف الإنسان الكامل معلماً للملائكة، وجعل الملائكة تلاميذ الإنسان، وليس تلاميذ الله، ولو كان للملائكة شأنية كسب العلم من الله بدون واسطة، لم يكن عند الله تعالىٰ إمساك وبخل عن قبولهم. فيتضح ان الملائكة ليس لهم شأن في أن يكونوا تلاميذ الله بلا واسطة بدليل انه:

﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾[4] .

كما ليس لهم لياقة لأن يصبحوا عالمين بحقائق جميع الاسماء، بل هم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣١.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٨.
(٤) سورة الصافات، الآية: ١٦٤.

يعرفون فقط في حد الأنباء عن حقائقها، ولو كان غير هذا لقال الله تعالىٰ لآدم: يا آدم علمهم باسماء هؤلاء.

ولأنه لم يقل لآدم: كن معلمهم، بل قال:

﴿أنبئهم بأسمائهم﴾[1].

أي أنبئهم بالاسماء، لا تعليم الأسماء يتضح أولاً: ان الملائكة هم دون ان يجعلوا تلاميذ الله بلا واسطة، وثانياً: هم دون ان يكونوا تلاميذ ومتعلمين لجميع الاسماء، بل يجب ان يكونوا مستمعين صرفاً ويسمعون النبأ فقط، وليس كل المسائل.

عندما تكلم الله تعالىٰ عن هذه الساحة أفهم الملائكة ان خليفته هو معلم ومُنْبيء وعالم الاسماء، وقال للشيطان إن خليفته، ليس الذي خرج من التراب، بل الشخص الذي له إحاطة، بالتراب أيضاً، وذلك.

أولاً: معنىٰ الخلافة هو ان يكون شخص خليفة (المستخلف عنه).

ثانياً: في معنىٰ الخلافة أخذت غيبة المستخلف عنه، لأن المستخلف عنه إذا كان له حضور، فلا محل للخلافة.

ثالثاً: معنى الخلافة هو ان يأتي شخص الخليفة من خلف المستخلف، لا من الأمام واليمين واليسار لذا يجب ان يكون للمستخلف عنه خلف، أي يكون محدوداً حتى يكون هناك محل للخليفة.

رابعاً: ولأن الله تعالىٰ هو المحيط الكل، وليس له خلف وغيبة حتى يملأ شخص ذلك الخلف والغيبة، في النتيجة يجب ان يكون خليفة الله محيطاً أيضاً، حتى يستطيع تحمل لياقة خلافة الله، وهو لا يمكن ان يكون إلا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٣.

الإنسان الكامل؛ لأنه مظهر تشبيه وتنزيه وجامع كل الاسماء الحسنىٰ، وليس الملائكة الذين هم جامعون الاسماء التنزيهية فقط، ولا الحيوانات وغير الحيوانات التي لديها الاسماء التشبيهية فقط. فالإنسان هو الذي يتوفر فيه الجلال والجمال والتشبيه والتنزيه والإنسان يستطيع ان يدل على المحيط، لذا فهو خليفة محيط.

يتضح من هذا البيان ان من هو خليفة الله له مقام أرفع من نشأة البدن، وذلك المقام لائق للخلافة، وما فوق نشأة البدن. ليس محلاً للذكورة والأنوثة، وعلى أساس هذا التحليل فان خليفة الله ليس امرأة ولا رجلاً، بل هو إنسان، ومسجود الملائكة ليس امرأة ولا رجلاً، بل هي إنسانية الإنسان.

عدم اختصاص الخلافة بآدم:

الموضوع الآخر هو: أنه في مسألة الخلافة رغم ان الخطاب أحياناً لآدم وأحياناً الضمير بصورة مفرد أو مذكر وأمثال ذلك، ولكن هذا ليس بمعنى ان الخلافة أو السجود لآدم وأمثال ذلك، خاص بآدم عليه السلام أو مختص بالرجل، والأدلة الدالة على هذا الموضوع عبارة عن:

١ ـ محور تعليم القرآن الكريم هو التعليم، والتعليم عام أيضاً.

٢ ـ في قضية آدم عليه السلام هذه يذكر مسألة عداوة الشيطان لآدم وحواء في إحدىٰ السور بضمير مفرد وفي سورة أُخرىٰ بضمير تثنية، ويتضح من هذا الأسلوب في البيان أن إتيان الضمير مفرداً في أحد المواضع، هو لأجل الإشعار بأن الممثل هو شخص واحد، لا من أجل أن العمل مع شخص واحد. وحين يقول الله تعالىٰ لآدم: إن الشيطان عدوّ له، فذلك من أجل ان آدم يتكلم بصفة ممثل للناس، وهم يتكلمون مع آدم بصفته ممثلاً، لا بمعنىٰ أن الشيطان هو عدو لآدم فقط، وليس له شغل مع حواء، ولهذا يذكر عداوة

الشيطان في سورة أُخرىٰ بضمير تثنية ويقول:

﴿لكما عدو مبين﴾[1] .

هذا أولاً، وثانياً؛ عندما يكون الكلام عن الوسوسة وتأثر آدم، يذكر تعالىٰ هذا المعنىٰ بضمير مفرد في محل من القرآن، وبضمير تثنية في محل آخر فيقول:

﴿وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين﴾[2] .

يقول صدر المتألهين في تفسير هذه الآية: العدو، أي الشيطان أقسم لآدم وحواء عليهما السلام أنني اتصرف معكما بنصح، ثم أغواهما، والحال بالنسبة لنا أقسم ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾[3] ماذا سيفعل؟ الله أعلم. الشيطان أقسم بشأن آدم وحواء انه سيتصرف معهما بطريق النصيحة ﴿وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين﴾ أما بشأن بني آدم فأقسم ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾. هناك قال تعالىٰ: ﴿وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين﴾. ثم قال تعالىٰ: ﴿فدلاهما بغرور﴾، ثم ذكر هذه المسألة بضمير مفرد في آية وقال:

﴿يا آدم هل أدلك على شجرة الخلدِ ومُلك لا يبلىٰ﴾[4] .

وفي آية أُخرىٰ بين بضمير تثنية، وقال:

﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا ان تكونا ملكين أو تكونا من

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٢.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢١.
(٣) سورة ص، الآية: ٨٢.
(٤) سورة طه، الآية: ١٢٠.

الخالدين﴾[1] .

هنا يفسر الشيطان كلام الله بالرأي، فالذي يدّعي **﴿أنا خير منه﴾** إذا سمع كلام الله أيضاً يفسره بالرأي في ان الله نهاكما وقال:

﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾[2] .

هو لأنه إذا اكلتما من هذه الشجرة تصبحان ملكين وتخلدان إلى الأبد، وأن الله نهاكما من أجل ان لا تكونا خالدين ، **﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾**، وهذا المعنىٰ ذكر بضمير مفرد في محل آخر في القرآن بصفة خطاب لآدم **﴿يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلىٰ﴾** .

الدلالة، التدلية:

ثم يقول تعالىٰ في هذه المسألة:

﴿فدلّاهما بغرور﴾[3] .

التدلية، أي التعليق، هو إخلاء أسفل القدم بالشكل الذي يزل الإنسان. لذا عبر بـ **﴿فأزلّهما الشيطان﴾**[4] ، والإنسان يزل عندما يكون قد تعرض للتدلية، ذهب بحجة الدلالة وقام بالتدلية. في جميع الحالات ذكر ضمير التثنية، ولكن هنا ذكر ضمير المفرد وهذا يختم أيضاً ذلك الظن الباطل في أن يتخيل شخص ان الشيطان نفذ عن طريق المرأة، بل خدعهما كليهما في آن واحد. وإذا كان هناك محل لمثل هذا التوهم، وكان هناك

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٥.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٦.

إمكان لقول الباطل يجب أن يقدم الإنسان هذا الباطل وهو أن الشيطان خدع المرأة عن طريق الرجل، لا أنه خدع الرجل عن طريق المرأة، رغم ان هذا هو أيضاً خيال باطل كما أن ذلك هو ظن باطل؛ لأن الشيطان نفذ إليهما مباشرة، ولم يخدع الرجل عن طريق المرأة ـ كما يعتقد البعض ولا خدع المرأة عن طريق الرجل، كما قد يستفيد شخص ساذج التفكير مثل هذه الاستفادة من الآية ﴿هل أدلك على شجرة الخلد﴾.

بناء على هذا، فإن مجيء الضمير مفرداً هو بسبب ان آدم كان بصفة مخاطب أوّلي وبصفة ممثل، بصفة انه مستمع وترجمان وناطق، ولذا في كل هذه المسألة ليست هناك أية خصوصية لآدم.

ثالثاً: مسألة ﴿إهبطا﴾[1] لكليهما و ﴿اهبطوا﴾[2] للجميع، هذا الموضوع له اشعار بأن ما تعود إليه الخلافة هي الإنسانية وما هو موضع عداوة الشيطان هي إنسانية الإنسان أيضاً، عندما يأخذ الشيطان إنسانية الإنسان منه، ويجعله في زمرة أوليائه عند ذلك تتبدل العداوة إلى ولاية، حيث ان هناك بعض الناس تحت ولاية الشيطان، ويذكرهم القرآن بصفة ﴿أولياء الشيطان﴾[3].

ذكر شواهد قرآنية(٣):

تمهيد خلافة الإنسان:

يرىٰ القرآن الكريم ان الكمالات العلمية والعملية تشير إلى مقام الإنسانية، وذلك المقام منزه عن الذكورة والأنوثة، فكثير من الرجال قد يسقطون ويصبحون مصداق:

---

(١) سورة طه، الآية: ١٢٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٦.

﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾[1] .

وكثير من النساء قد يصبحن مشمولات لقوله تعالىٰ:

﴿يا أيتها النفس المطمئنة * أرجعي إلى ربّك راضية مرضية﴾[2] .

ما يطرح في هذا البحث هو تفصيل للبحث السابق، وهو لماذا يصل الإنسان إلى هذا المقام الرفيع؟

في القرآن الكريم كثير من الفضائل العلمية مطروحة. وهي باسم إنسانية الإنسان، وبعض الفضائل لا يصل إليها الملائكة أيضاً، فإذا ثبت هذان الموضوعان، عند ذلك سيتضح سر سجود الملائكة لساحة إنسانية الإنسان.

المقامات العلمية للإنسان:

الموضوع الأول، وهو أن المقامات العلمية تتعلق بإنسانية الإنسان، ولا تختص بالمرأة أو الرجل، بعض الآيات التي يستدل بها في هذا المجال هي آية سورة الأعراف التي تقول:

﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلىٰ﴾[3] .

نشأة أخذ الميثاق وساحة أخذ الميثاق نزلت بصفة بني آدم، ورغم أن الألفاظ التي استعملت في هذه الآية هي ألفاظ مذكر، ولكن واضح ان عنوان الآية هو بنو آدم، وكلمة بنين ليست في مقابل بنات بل هي عنوان أبناء آدم،

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٢) سورة الفجر، الآيتين: ٢٧ ـ ٢٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

لا أولاد آدم، الآية تقول: إن جميع الناس قالوا: ﴿بلىٰ﴾ في أخذ الميثاق أي شاهدوا عبوديتهم، وادركوا ربوبية الله سبحانه وتعالىٰ بالعلم الشهودي، لا إنهم فهموا بالعلم الحصولي، هذا المقام الرفيع يتعلق بإنسانية الإنسان بدون تدخل المذكر والمؤنث. هذا مثال.

مثال آخر هو آية سورة الروم المعروفة بآية الفطرة:

﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾[1].

في هذه الآية ذكر الناس، لا المذكر والمؤنث، إذ يقول تعالىٰ: إن الناس خلقوا على الفطرة التوحيدية. هذه القضية لا تختص بالماضي أو الحاضر، بل المستقبل أيضاً محكوم بهذا الحكم؛ لأنه قال **﴿لا تبديل لخلق الله﴾** بعنوان «لاء نفي الجنس».

مثال ثالث هي آية سورة الشمس التي تقول:

﴿ونفس وما سوّاها * فألهمها فجورها وتقواها﴾[2].

الإنسان ملهم بالفجور والتقوىٰ، وفي حين ولادته لا يعرف شيئاً عن العلوم الحصولية.

﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾[3].

عندما يأتي الإنسان إلى الدنيا ليس لديه سهم عن العلوم الخارجية، فيتعلمها بالدرس والبحث، ولكنه يعرف ويستفيد من العلم الداخلي. العلوم المتعلقة بالتهذيب والتزكية، وهي رأسمال أساسي ولا يوجد في أية مدرسة،

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٢) سورة الشمس، الآيتين: ٧ ـ ٨.
(٣) سورة النحل، الآية: ٧٨.

تلك العلوم خلقها الله مع الإنسان وأعطاها له بعنوان رأسمال أول، وأما العلوم الحصولية فقد قال للإنسان أن يتعلمها عن طريق الكسب والعمل، والسمع والبصر، والفؤاد، أما العلم الذي لا يوجد في مدرسة البشر فقد اعطاه للإنسان بعنوان رأسمال. في هذه الآية لم يرد كلام عن المذكر والمؤنث أيضاً، بل كلام عن **﴿ونفس وما سواها﴾**؛ لأن كل روح تخلق على الفطرة التوحيدية، وهي ملهمة بالفجور والتقوىٰ، وقد التزمت في ساحة أخذ الميثاق، لذا في سورة الحشر، كل روح مكلفة بالمراقبة والمحاسبة، وليس هناك كلام عن المرأة والرجل.

﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾[1].

في هذه الآية ليس الكلام في أن يكون الرجل مراقباً، أو يكون أهل محاسبة، بل كل نفس يجب ان تكون رقيبة، أو حسيبة لنفسها، وطريق التهذيب (وهو طريق المراقبة وطريق المحاسبة) يتعلق بالنفس الإنسانية. لا بالمذكر ولا بالمؤنث.

الإنسان حامل الأمانة:

الأمثلة العلمية التي ذكرت تشير إلى أن الإنسان يستطيع ان يقوم بالعمل الذي تعجز عنه الجبال والأرض والسماوات. والآية الأخيرة في سورة الأحزاب تفهم هذا المعنىٰ.

﴿إنا عرضنا الأمانة على السموٰات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها﴾[2].

وأما قوله: **﴿وحملها الإنسان﴾** الإنسان، لا يختص بالمذكر

(١) سورة الحشر، الآية: ١٨.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

والمؤنث، ولأن الإنسان الذي تشرحه المعارف العلمية في تلك الآيات، دخل إلى هذا المقام المنيع، لذا في نهاية سورة الأحزاب وصل إلى هذا المقام الرسمي، واستطاع بتلك الرساميل القيام بالعمل الذي تعجز عن القيام به السماوات استفاد من ذلك الرأسمال وحمل ثقل القرآن والولاية، والمعرفة والدين وأمثالها، ولم يكن ليحمل هذه الأمانة الثقيلة ولا يحملها ويكون مصداق **﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها﴾**[1]، بل يحمل بإرادته، لذا لم يقل حمّل عليها، ولم يحمل، بل قال: **﴿وحملها الإنسان﴾**.

وعليه فان هذا الإنسان الحامل لثقل الأمانة هو أوزن وأثقل من كل كائن مادي، وفي هذا القسم ليس هناك كلام عن المذكر والمؤنث أيضاً.

ثم نصل إلى مرحلة أعلى من هذه، وهي أن الإنسان إذ سار حاملاً رأسمال أخذ الميثاق حسب آية سورة الأعراف وحاملاً رأسمال الفطرة، حسب آية سورة الروم، ولديه رأسمال الإلهام حسب سورة والشمس، وبإداء وظيفة المحاسبة والمراقبة الرسمية حسب سورة الحشر، عند ذلك سوف يحصل على قدرة ترفع هذا الثقل ويعبر السماوات والأرض، وإذا رفع هذا الإنسان الحمل الإلهي عند ذلك لا يكون في الأرض، ولا في السماء. وحين يخرج من حدود هذا النظام الدنيوي، عند ذلك لا يكون الكلام على الرجل ولا المرأة، الكلام فقط عن إنسانية الإنسان، ويتضح من قوله: إن الجبال عاجزة عن حمل هذه الأمانة، أو قوله إن السماوات عاجزة عن حملها، وأن الإنسان هو الذي يحملها، ان الإنسان يعبر هذا السقف المقرنس، ويصل إلى درجة ليست في متناول السماء والأرض أيضاً.

تكلم الله مع الإنسان:

الآن يجب رؤية هل ان الإنسان يستطيع ان يصل إلى درجة ليست في

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٥.

متناول الملائكة؟ في الجواب يجب القول: إذا استعمل هذه الرساميل وأوصل هذا الحمل إلى المقصد بصورة صحيحة، يصل إلى درجة ليست في متناول الملائكة أيضاً.

أخيراً أحد الحواميم السبعة لهذه الآية الكريمة موجود وهو:

﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء﴾[1]. أي أن الإنسان يستطيع بأحد هذه الطرق الثلاثة ان يكون مستمعاً لله ويدرك الكلام الإلهي ـ بصورة قضية منفصلة مانعة الخلو، وهي قابلة للجمع أيضاً ـ.

الأول: عن طريق الوحي بدون واسطة، وفي ذلك المقام لا توجد فاصلة وواسطة بين الإنسان الكامل والله تعالىٰ، لا الفلك تفصل ولا الملك واسطة **﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾**.

الثاني: **﴿أو من وراء حجاب﴾** شبيه بما جاء في شأن موسىٰ الكليم عليه السلام الذي سمع من وراء حجاب الشجر **﴿إني أنا الله﴾**[2].

الثالث: **﴿أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء﴾**، بناء على هذا، فإن الإنسان يصل إلى درجة يتلقىٰ فيها الوحي من الله بدون واسطة، وفي ذلك القسم لا تصل الملائكة.

جاء بشأن معراج النبي صلى الله عليه وآله ان بعض آيات القرآن الكريم تلقاها بصورة مشافهة، وقيل: إن الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة هما من هذا القبيل، أي آية **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن**

---

(١) سورة الشورىٰ، الآية: ٥١.

(٢) سورة القصص، الآية: ٣٠.

بالله﴾[1] وآية ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾[2].

حيث تلقىٰ النبي ﷺ هاتين الآيتين من الله تعالىٰ شفاهاً بلا واسطة، وبعض غرر آيات القرآن الكريم هي من هذا القبيل، لم يكن المَلَك دخيلاً في تلقيها، إذ أن جبرائيل عليه السلام قال في مسألة المعراج طبق روايةٍ (لو دنوت أنملة لاحترقت)[3]. بناء على هذا فان الإنسان الكامل يدخل في مرحلة لا يستطيع الملك ان يحلق فيها.

مثال آخر ورد في هذا الصدد جمل أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء كميل حيث قال: بأن بعض اسرارنا الباطنية لا يفهمها الملائكة. ورغم ان الله تعالىٰ أمر الملائكة بتسجيل أعمالنا، ولكن تلك الخاطرات الدقيقة. رقيقة إلى درجة ان الملائكة لا يستطيعون خرق حجابها النوري وفهم ذلك السر المخفي (والشاهد لما خفي عنهم وبرحمتك أخفيته وبفضلك سترته)[4].

الله تعالىٰ يتولىٰ مباشرة بعض أعمالنا. فهو يقول:

﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾[5].

ويقول تعالىٰ:

﴿والله يكتب ما يبيتون﴾[6].

وذلك أحياناً من أجل أن لا يعطيه بيد الملائكة، حتى يبقىٰ سراً بين العبد والمولىٰ، ذلك الحاجب يكون قائماً لكي لا يراق ماء وجه العبد أمام

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٣) بحار الأنوار، ج١٨، ص٣٨٢.
(٤) دعاء كميل.
(٥) سورة يس، الآية: ١٢.
(٦) سورة النساء، الآية: ٨١.

أي ملك، والله تعالىٰ هو حسيب ذلك القسم من السيئات.

بناء على هذا فلكل واحد من الملائكة حدّ معين: ﴿**وما منّا إلا له مقام معلوم**﴾[1]. وان ما يذكر في بعض الأسئلة انه إذا كانت الملائكة مأمورة بتسجيل عقائدنا ونياتنا وخاطراتنا، وأقوالنا وأعمالنا، فهم إذن يتمتعون بنشأة علمية واسعة وعميقة. هذه المسألة صحيحة، ولكن في بحوث الرؤية الكونية يجب عدم جعل الأفراد العالين معياراً، الكلام ليس في الأشخاص، الكلام في مقام الإنسانية، فعندما يدور الأمر بين مقام الإنسانية ومقام الملائكة عند ذلك يتضح أن مقام الإنسانية يمكن ان يرقىٰ إلى درجة بحيث تكون الملائكة غير مطلعة على بعض زوايا عمله، لذا يمدح الله تعالىٰ الملائكة بكثير من الأوصاف ويقول: إنهم رقباء، عتيدون، معيدون. كرماء، حفيظون، لا يفوتهم شيء، لا يضيفون شيئاً ولا يضيعون شيئاً. منزهون عن الإفراط، ومبرؤون من التفريط، ولكن في نفس الوقت لا يسمح بأن تفهم الملائكة بعض الأشياء أيضاً.

ملائكة الله وتعليم الاسماء:

بناء على هذا يتضح من هذه البحوث إشكال الأمر في مقام تعليم الاسماء، إشكال الأمر ليس في أن الملائكة ليسوا عالمين، متعلمين ومعلمين؛ لأن جميع هذه عندهم. بل إشكال الأمر هو ان بعض الحقائق رفيعة إلى درجة ان الملائكة لا يستطيعون تعلمها أولاً ويجب ان يسمعوا خبرها فقط ويفهموها بشكل خبري وثانياً: لا يستطيعون تلقي هذا الخبر من الله بدون واسطة. بل يجب أن يتلقون بواسطة، لذا في مسألة خلافة آدم عليه السلام طرح الكلام على علم الملائكة وتعلمهم وتعليم الله لهم، ولذا

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٦٤.

قالوا: ﴿لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا﴾[1] . فعلم الملائكة وتعلم الملائكة والتعليم الإلهي ثابت. وهذا طبعاً ليس بمعنى أن تكون هذه (قضية موجبة حقيّقية كلية)، أي ان تفهم الملائكة جميع العلوم، بل الملائكة قالوا: ﴿لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا﴾، لذا لم يقل الله تعالىٰ إنه سيعلمهم كل ما علّمه لآدم، وهذا طبعاً ليس بمعنى نقص وبخل في المبدأ الفاعلي (معاذ الله) بل ان الملائكة لم يكن لديهم قابلية القبول. ولو كان الملائكة أهلاً للوصول إلى حقائق الاسماء، كما وصل آدم لكان الله تعالىٰ علّمهم أيضاً، ولو كان الملائكة يستطيعون تلقي خبر حقائق الاسماء هذا من الله سبحانه بلا واسطة، لقال الله تعالىٰ: «أنبئكم أو انبئكم». ولم يقل لآدم عليه السلام ﴿يا آدم أنبئهم باسمائهم﴾[2] .

بناء على هذا يتضح من ان الكلام بشأن آدم عن التعليم، حيث قال: ﴿وعلّم آدم الاسماء كلها﴾[3] وبشأن الملائكة ليس الكلام عن التعليم، بل عن الأنباء أن الإنسان الكامل يصبح عالماً بتلك الحقائق الرفيعة، أولاً، وثانياً، يتلقىٰ من الله تعالىٰ بدون واسطة، ولكن الملائكة يتلقون تلك الحقائق بشكل خبر وذلك أيضاً بواسطة.

بناء على هذا، يتضح لماذا تكون الملائكة خاضعة وساجدة في ساحة الإنسان الكامل لانها وهي (مدبرات العالم) بإذن الله تتواضع في ساحة معلمها الحقيقي. الإنسان ووسوسة الشيطان:

السؤال الآخر الذي يطرح هو ان الإنسان الكامل إذا كان قد تعلم جميع الاسماء، فلماذا لم يكن في أمان من الخدعة والوسوسة، ولماذا لم يتعلم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٣١.

هذه المسألة، وظل لا يعرف شيطنة الشيطان؟ جواب هذا السؤال هو: أن هذا لازم أعم، أي أن الشخص إذا لم يكن في أمان من وسوسة وأثرت فيه الخدعة، فهذا الأمر هو أحياناً من أثر الجهل بالمسألة، وأحياناً من أثر نسيان المسألة، وما يبين في قضية آدم عليه السلام هو بعنوان (فنسي عهده).

﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾[1].

هو نسيان ذلك العهد، وإلا فان الله تعالىٰ قال بصراحة:

﴿فقلنا يا آدم إنّ هذا عدوّ لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقىٰ﴾[2].

وسوسة الشيطان هي جزء المرحلة النازلة لتلك الاسماء ويجب عدم البحث عن انه هل هذا داخل بألف ولام في الجمع المحلّىٰ أم لا؟ لأنه نزلت في هذا المجال آية أُخرىٰ منفصلة إذ قال تعالىٰ:

﴿يا آدم إن هذا عدوّ لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقىٰ﴾.

ولكن يأتي كلام عن النسيان. غاية الأمر ان البحث بشأن هل ان النشأة هي نشأة تكليف أم لا؟ وهل الأمر والنهي الواقع في الآية المذكورة مولوي أم لا؟ وإذا كان مولوياً، هل هو تحريمي، أم تنزيهي؟ وإذا كان مولوياً، فهل هو وجوب، أم استحباب؟ وإذا لم يكن مولوياً فان كونه ارشادياً له حكم رأساً كما انه إذا كان تمثيلاً، حكمه أنه منفصل رأساً، فهو بحث مستقل، لكن هذا المعنىٰ وهو ان آدم عليه السلام ابتلي بالوسوسة، لا من أجل أنه كان لا يعرف بخطر الوسوسة، أو لم يكن لديه علم بشيطنة الشيطان، أو كان جاهلاً بعداوة الشيطان، بل الكلام هو عن النسيان.

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٥.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٧.

الفيض الإلهي والمراتب الإنسانية:

السؤال الآخر هو هل ان تعليم الاسماء خاص بالناس الأسوة والنموذجيين، أم يتعلق بأي إنسان؟ ولأن (أسماء) جمع محلىٰ بألف ولام يتضمن جميع الحقائق والمعارف، إذا استطاع شخص الوقوف صحيحاً على الميثاق الذي عقده، ويكون ملتزماً على أساس الإلهام الذي تلقاه، ويكون ثابتاً على أساس الفطرة التي فطر عليها، ويكون معصوماً تماماً على أثر المراقبة والمحاسبة، مثل هذا الشخص يصل إلى جميع الاسماء، وإذا لم يحصل على أي من الأمور المذكورة في أية مرحلة يكون مصداق الآية الكريمة التي تقول:

﴿فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾[1].

مثل هذا الشخص لا يحقق أية استفادة، وإذا كان في حد حياة حيوانية، يحصل على فائدة حيوانية، عند ذلك يكون بين هؤلاء الذين يحملون فائدة حيوانية وبين أولئك الذين هم في أوج الإنسانية مراتب وكل منهم يتعلم بدوره إسماً من الأسماء الحسنىٰ، حتى تصل إلى العترة الطاهرة عليهم السلام الذين يعلمون الاسماء، وهم مظهر تام للاسماء الحسنىٰ من باب (إتحاد العالم والمعلوم)، لذا روي عن الإمام الصادق عليه السلام في ذيل الآية الكريمة:

﴿ولله الاسماء الحسنىٰ فادعوه بها﴾[2].

قوله:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٧٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

«نحن والله الاسماء الحسنىٰ»[1] .

اتحاد العاقل والمعقول أو العالم والعلم:

ورد في الكتب الفلسفية ان العالم والمعلوم أو العاقل والمعقول متحدان، ومحور الوحدة أو الاتحاد ليس خارج حدود الروح. بيان مسألة هو ان هناك ستة أمور مطروحة في مسألة (إتحاد العاقل والمعقول)، أربعة منها خارج محو ر البحث، وأمران فقط يقعان في محوره فمثلاً إذا أدرك شخص حقيقة شيء خارج، يسمىٰ الشجر، وكان متخصصاً بالأشجار، وعرف كيف تنمو الشجرة، وأين تزرع. وما هي آفتها ، وكيف تعالج، وكيف تثمر، ولماذا لا تثمر، مثل هذا الشخص يصبح مهندساً زراعياً.

ان الشجرة التي في الخارج لها ماهية باسم (الجنس النامي) ولها وجود غرست بذلك الوجود في بستان وأصبحت (الشجرة موجودة). الماهية الخارجية، والوجود الخارجي للشجر ليس داخلاً رأساً في مسألة اتحاد العاقل والمعقول. من ناحية أُخرىٰ، الإنسان المُدرك والعالم بهذه الشجرة الخارجية، له ماهية باسم حيوان ناطق، وله وجود وهو وجود إنساني، هنا أيضاً ماهية الإنسان غير داخلة في مسألة اتحاد العاقل والمعقول، لكن وجوده داخل في البحث. من ناحية أُخرىٰ ان الصورة العلمية التي أمام المهندس تحلل إلى أمرين: أحدهما الماهية والآخر وجود تلك الماهية لدى العالم، هذا الوجود، هو العلم الذي يعتبر المهندس بواسطته عالماً بماهية الشجرة، هنا أيضاً تلك الماهية أو المفهوم الذي في الذهن هو خارج رأساً من محل البحث، فبين هذه الأمور الستة (وجود الإنسان وماهيته، وجود الشجرة الخارجي وماهيتها، وجود الشجرة الذهني

---

(١) أصول الكافي، ج١ ص١٤٤، الباب٢٣.

وماهية الموجود في الذهن) تخرج ماهية الشجرة والوجود الخارجي للشجرة من البحث رأساً، وماهية الإنسان لم تكن داخلة في البحث أيضاً، وماهية أو مفهوم الشجرة الذهني أيضاً خارج من البحث. بناء على ذلك يظل من تلك الأمور الستة وجود الإنسان مع العلم وهذا العلم هو غير الوجود الذهني لذا فالبحث هو عن اتحاد العالم والعلم لا اتحاد العالم مع الوجود الذهني.

الفرق بين الوجود الذهني والعلم هو بعهدة الحكمة المتعالية، لذا يطرح بحث الوجود الذهني منفصلاً عن بحث العلم في الكتب الفلسفية، إذا نضج الإنسان يرتبط مع العلم لامع المعلوم. وهذا العلم علم بذاته، معلوم بذاته، عالم بذاته، وعندما ترتبط النفس بالعلم تصبح عالمة، وهذا الارتباط في أوائل الأمر هو بنحو الحال، وبعد ان يصبح ملكة ويصبح هذا الشخص صاحب رأي ومجتهداً يصبح العالم عين العلم والعلم عين العالم.

مظاهر الاسماء الحسنىٰ:

عند ذلك تبين المسألة التي ذكرها الإمام السادس (نحن والله الاسماء الحسنىٰ) هكذا: انهم علم وقدرة وحكمة ومظاهر عينية للاسماء الحسنىٰ. لأن العلم هو وجود خارجي والوجود الخارجي غير الوجود الذهني، لذا كل شخص يسير في هذا الطريق يحمل سهماً من الاسماء الإلهية بمقداره.

والملائكة لهم أيضاً درجات متنوعة، والملائكة الأرضيين هم غير الملائكة السماويين، والملائكة السماويين أيضاً ليس لهم مراتب متساوية، ويمكن ان يصل الإنسان إلى محل يكون الملائكة في خدمته. إن الملائكة تستقبل الإنسان عند الموت وتستقبله عند الدخول إلى الجنة البرزخية أو الجنة الكبرىٰ ويقولون:

﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾[1] .

هو من هذا القبيل. الملائكة ليسوا كلهم في مستوىٰ (حملة العرش)، بل بعض الملائكة هم خدّام الإنسان ويكون الإنسان سبباً في ظهور ذلك النوع من الملائكة، وان هذا يتعلق قطعاً بكيفية حمل الأمانة بواسطة الإنسان وإلى أية درجة يستطيع معرفة هذا الحمل وإيصاله إلى الهدف.

درجات الإنسان من لغة القرآن:

من هذا الإنسان؟ نقرأ في القرآن أن الإنسان أرقىٰ من مجموعة النظام الدنيوي ويستطيع ان يعمل ما لا تستطيعه السماوات والأرض والجبال، أحياناً نقرأ في القرآن ان الجبل أفضل وأرقىٰ من الإنسان، والسماء والأرض أفضل منه، إذ فهم الإنسان ثقل الأمانة وحملها، يعبر هذا النظام الدنيوي وإذا ظل بمستوى الظلوم الجهول يصبح مصداق:

﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها﴾[2] .

الله تعالىٰ يقول للإنسان الذي يفكر في حدود البدن فقط:

﴿لخلق السمٰوات والأرض أكبر من خلق الناس﴾[3] .

وفي آية أُخرىٰ يقول:

﴿إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾[4] .

القرآن يقول: إن الإنسان عبر ويعبر السماوات. فإذا لم يستطع ان يوصل هذا الحمل إلى المقصد، يقول له القرآن: ﴿لخلق السموات والأرض

أكبر من خلق الناس﴾ ويقول:

﴿أأنتم أشدّ خلقاً أم السماء بناها * رفع سمكها فسوّاها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها﴾[1] الإنسان يقع بين هذا النفي والإثبات، أما يصبح أحقر من الحجر أو يذهب أبعد من جميع السماوات.

آلية البدن في جميع النشآت:

يلزم خلال هذا البحث الانتباه إلى أنه رغم ان روح الإنسان تشكل حقيقته. ولكن الإنسان يرافق البدن في كل نشأة، ففي الدنيا له بدن، وفي البرزخ أيضاً. وفي القيامة أيضاً، الكلام ليس في ان الإنسان يكون بلا بدن في نشأة من النشآت، المقصود هو أن البدن ليس هو حقيقة الإنسان ولا هو جزء من حقيقته. بل هو أداة صرفة، الآن حيث لدينا في الدنيا جسم وروح، تقوم الروح بجميع الأعمال، وتتحمل الروح جميع الآلام والمتاعب أو اللذة والنشاط، عندما تتعرض اليد إلى ضربة فإن القوة اللامسة هي التي تشعر لا جرم اليد، كما ان قوة اللمس هذه وهي جزء من شؤون الروح إذا خدّرت وقطعت اليد قطعة قطعة لا تشعر بالألم، الروح هي التي تشعر، عندما نأكل، رغم ان الفك يتحرك والأسنان تلوك ولكن الذائقة تلتذ والذائقة هي من شؤون الروح، عندما نشرب ماء رغم ان التجرع هو عمل فضاء الفم ولكن الارتواء والشعور برفع العطش يتعلق بالروح. في الألم هكذا وفي النشاط كذلك. فالآن حيث لدينا ابدان، فان جميع الأعمال تتولاها الأرواح والأبدان أدوات ليست أكثر، تنقلها الأرواح من مكان إلى مكان[2].

في جهنم المسألة على هذا المنوال أيضاً. الله تعالىٰ يقول:

---

(١) سورة النازعات، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩.

(٢) ديوان حكيم الأسرار، الحاج ملا هادي السبزواري.

﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾[1] .

لأن قوة اللمس عموماً منتشرة في جميع جرم البدن خاصة في الجلد، وقوة اللمس هذه هي بعهدة هذا الجلد، لذا تتبدل جلودهم لكي يشعروا بالألم أكثر، لا أن الجلد يتألم، بل هم يتألمون بجلد جديد ﴿ليذوقوا العذاب﴾ بناء على هذا فانه كما أن للإنسان بدناً في الدنيا كذلك له بدن في النشأة الأُخرىٰ ولكن كما أن البدن هو فرع في الدنيا، ففي النشأة الأُخرىٰ أيضاً يكون البدن فرعاً .

النساء الأسوة في القرآن(١):

اهتمام القران بشخصية المرأة:

القسم الآخر للبحث هو ان نوع الكمالات التي يذكرها القرآن الكريم للمرأة هي من أجل انه كلما شعر القرآن بخطر يؤكد ذلك أكثر فأكثر، فمثلاً حين ظهور القرآن حيث كان التوحيد في خطر وكان الشرك منتشراً، نزلت آيات كثيرة من أجل تثبيت التوحيد والقضاء على الشرك، ولهذا لما كانت حرمة المرأة غير محفوظة أيام نزول القرآن، لذا أكد على مسألة حرمة المرأة أكثر من حد التوقع، وذكر لها سهماً في جميع الشؤون وصرح بالتساوي وأمثال ذلك .

وقد ذكر القرآن قصصاً، وبعد ان يشخص معيار القيمة في الشؤون المتنوعة، يُلاحظ نوع تلك المسائل القيمية ويذكرها ضمن قصص المرأة وضمن قصص الرجل أيضاً .

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٦ .

القوى الثلاث للنفس:

في الإنسان تكمن ثلاث قوىٰ، قوة جاذبة ، وقوة دافعة، وقوة تفكر، والقرآن الكريم يصور في ثلاثة أقسام جنود العقل والجهل الذين يعودون كلهم إلى الروح وعددهم مائة وخمسون عدداً (ذكر العدد بعنوان مثال وتمثيل لا تعيين) خمسة وسبعون عدداً جنود العقل وخمسة وسبعون عدداً جنود الجهل. بعضهم يتعلق بالعلم والفكر وبعض آخر يتعلق بالجاذبة التي يعبر عنها بالشهوة وبعض آخر يتعلق بالدافعة باسم الغضب.

ان ما نراه في أنفسنا ونتذكره عن الآخرين هو ان جميع أعمال الإنسان تتلخص في هذه الأقسام الثلاثة وإذا كانت الكتب الأخلاقية تؤكد على هذه المعايير الثلاثة فهو من أجل أن الأخلاق هي لتربية النفس وقوى النفس وان ما كشف حتى الآن هي هذه القوىٰ الثلاث وكل عمل يتعلق بقوته الخاصة.

الإنسان له فكر وقوة تفكر، له جاذبة وقوة تجذب، له دافعة وقوة تدفع. كل أعمال الإنسان تعود إلى هذه الشؤون الثلاثة و (العدالة الكبرىٰ) هي تعديل هذه القوىٰ الثلاثة.

بعد أن يذكر القرآن الكريم كل هذه الفضائل يأتي لكل واحدة منها بمثال، سواء في قسم العلم، أو في قسم الشهوة أو في قسم الغضب.

الأُسوات العلمية:

أما في الأقسام العلمية: فإذا كان الكلام عن تعليم الاسماء فانه يحول ذلك إلى الإنسانية، حين يطرح قضية آدم عليه السلام ويقول:

﴿فتلقىٰ آدم من ربه كلمات﴾[1].

ورد في تبيين وتفسير ﴿كلمات﴾ أن المقصود هي أنوار العترة

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

الطاهرة، وهي مقامات علمية تلقاها آدم عليه السلام. وحصل سبب نجاته، وكما ان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يضيء هناك، كذلك فاطمة الزهراء عليها السلام تضيء هناك، وأن فاطمة الزهراء عليها السلام أصبحت معروفة ومشهورة لا من أجل ان المرأة تلخصت في فاطمة الزهراء فقط، بل بسبب أنها أرقى من الأُخريات. كما أنّ المعصومين الآخرين ليسوا معروفين مثل أمير المؤمنين وفي العرف حين يريدون ذكر مثل يضربون مثلاً بالإمام علي، فكما ان أمير المؤمنين عليه السلام أصبح معروفاً وقدوة بين المعصومين، كذلك اشتهرت فاطمة الزهراء عليها السلام بين النساء، وإلا فهناك نساء كثيرات كن يتمتعن بالعصمة وبالكمال المتعارف وفوق المتعارف، ولكن علة ان فاطمة الزهراء عرفت بين النساء هي نفس العلة التي أدت إلى معروفية الإمام علي بين الأئمة عليهم السلام خلاصة الكلام، ان المراد من لفظ كلمات في الآية الشريفة ﴿فتلقىٰ آدم من ربّه كلمات﴾ هي الاسماء الإلهية، وأبرز مصداق الاسماء الإلهية هم العترة الطاهرة حيث تسطع من بينهم فاطمة الزهراء عليها السلام.

وفي مقام بيان قوة الجذب وتعريف ملكة العفاف يأتي بتمثيل عن الرجل وعن المرأة أيضاً. والآن يجب ان نرىٰ هل أن الرجل قال في هذه الساحة كلاماً أكثر عفة، أم أن المرأة ذكرت بياناً أكثر عفة في هذا المقام؟

يوسف ومريم مظهران للعفة:

قال تعالىٰ في شأن مريم عليها السلام:

﴿ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾[1].

كل منهما كان له مزايا كثيرة من القيم، ذكرت في القرآن، ولكن ما هو موضع اهتمام هذا البحث هي ملكة عفتهما. فيوسف أُبتلي ونجا بفضل

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.

العفاف، ومريم امتحنت ونجت في ظل العفاف. والمهم هو ماذا كان طريق نجاة هذين المعصومين؟ وماذا كان رد كل منهما حين الخطر وماذا قالا؟

عندما كان يوسف عليه السلام يمتحن كان تعبير القرآن:

﴿ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رَءا برهان ربّه﴾[1].

أي ان الكلام ليس في مقام الفعل، وليس في مرحلة المقدمات أيضاً بل في نشأة الاهتمام وهذه هي المرحلة الثالثة. المراد من مرحلة الاهتمام هنا هو ذلك الذي همت به تلك المرأة المصرية ووصلت همتها إلى حد ملاحقة يوسف عليه السلام إلى الفعلية، ولكن يوسف الصديق عليه السلام ليس فقط لم يكن في العمل ولا في مقدمات العمل، بل لم يكن هناك قصد وهمة وخيال أيضاً، بدليل ان الآية الشريفة علقت همة وقصد يوسف بشيء لم يحصل وقالت: ﴿وهمّ بها لولا أن رءا برهان ربّه﴾. لم يقصد لأنه رآىٰ برهان الرب.

وهناك شواهد كثيرة أُخرىٰ يذكر الله تعالى يوسف كعبد طاهر ومعصوم. كما في قوله تعالىٰ: ﴿انه من عبادنا المخلصين﴾ هذه هي صغرىٰ القياس، وكبرى القياس هي ما قاله الشيطان من أنه ليس له طريق نفوذ إلى عباد الله المخلصين.

﴿إلاّ عبادك منهم المخلصين﴾[2].

بناء على هذا، فباعتراف الشيطان فان يوسف الصديق كان منزهاً عن هذه الآفة، حيث اعترفت المرأة المفترية أخيراً وقالت:

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٤٠.

﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه﴾[1] .

كما أن الله تعالىٰ شهد أيضاً بنزاهة وقداسة يوسف وقال:

﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾[2] لا (لنصرفه عن السوء).

أما في مسألة مريم عليها السلام نرى انها أما بمستوىٰ يوسف الصديق الذي ذكره الله بعنوان عبد مخلص ﴿من عبادنا المخلصين﴾ أو هي أعلى منه.

بيان الموضوع هو انه حين جاء الكلام عن عفاف مريم عليها السلام لم يكن الكلام عن ﴿همت به وهمّ بها لولا ان رءا برهان ربه﴾، بل الكلام عن:

﴿قالت أني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾[3] .

لذا قال الله تعالىٰ:

﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً﴾[4] .

في الآية الآنفة لم يقل تعالى: انها لو لم تر دليلاً إلهياً لكانت رغبت ولكانت نوت، بل قال: ﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾، كلمة ﴿إن كنت تقياً﴾ هذه هي بعنوان أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، أي اتّقِ، وكأن الله تعالىٰ يقول لنا، لا تقوموا بهذا العمل ﴿إن كنتم مؤمنين﴾[5] وهذا التعبير جاء كثيراً في القرآن، أي اعملوا وفق الإيمان، أو قوله في آية أُخرىٰ:

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٥١ .
(٢) سورة يوسف، الآية: ٢٤ .
(٣) سورة مريم، الآية: ١٨ .
(٤) سورة مريم، الآية: ١٧ .
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥ .

﴿فهل أنتم مسلمون﴾[1] أو ﴿فهل أنتم منتهون﴾[2] .

هذا النوع من التعابير المراد به الإرشاد. أي إذا كنتم مؤمنين اعملوا وفق إيمانكم. هنا قالت مريم لهذا الملك المتمثل ان لا يقدم على ذلك العمل إذا كان تقياً. أليس هذا التعبير ألطف من تعبير يوسف؟ قال الله تعالىٰ في شأن يوسف: إنه لو لم يَرِ برهان ربّه لهمَّ، ولكن لم يهم لأن رأىٰ برهان الرب، ولكن بشأن مريم ليس فقط انها لم تهم، بل نهت الملك المتمثل عن هذا الهم أيضاً.

لنرَ الآن من كان مربي مريم عليها السلام؟ كانت امرأة، مريم لم تترب على يد رجل، لم تترب على يد أبيها، بل تربت على يد أُمها. كثير من الناس صالحون، لكنهم لا يستطيعون ان يكونوا آباء لبنات مثل مريم، أو أُمهات لبنات مثل مريم. هناك شروط كثيرة لازمة حتى يستطيع الإنسان الوصول إلى درجة بحيث يهدي ابنه إلى الله، والله يتقبل ذلك الابن. أم مريم اعاذت مريم بالله، والله تعالىٰ اعطاها اللجوء وتقبلها في كنفه.

أثر استعاذة أم مريم:

عندما ولدت مريم، قالت أُمها:

﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان﴾[3] .

فقال الله تعالىٰ:

﴿فتقبلها ربُّها بقبول حسن﴾[4] .

---

(١) سورة هود، الآية: ١٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

ثم قال:

﴿وأنبتها نباتاً حسناً﴾[1] .

هناك أفراد كثيرون يتقبل الله سعيهم فقط وليس أنفسهم، ولذا فان الله تعالىٰ لا يقول في شأن جميع الأفراد بأنه تقبلهم وأعاذهم بل يقول:

﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾[2] .

ان قبول العمل هو غير قبول ذات العامل. فأعمال كثير من الناس مقبولة، ولكن هل ان جواهر ذواتهم مقبولة أيضاً أم لا؟ ان الله تعالىٰ قال بشأن مريم: ﴿فتقبلها﴾ ولم يقل (تقبل عملها) بناء على هذا فان أم مريم أعاذتها بالله، فاعطى الله العوذ، كانت تلك الاستعاذة بالله في جوار المحراب حيث تستجاب وتقول ابنتها: ﴿إني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً﴾ . حين تراجع الكتب الأدبية يلاحظ ان الذين كانت لديهم معرفة بالمعارف القرآنية يفسرون كلام أم مريم كما قالته، ولكن الذين لم يصلوا إلى تلك المعارف الرفيعة، يفسرون كلام أم مريم هذا بتلك التقاليد الجاهلية.

التشبيه في بيان أم مريم عليها السلام:

يبين القرآن الكريم قضيّة ولادة مريم عليها السلام بهذا الشكل:

﴿فلما وضعتها قالت ربّ انّي وضعتها أنثىٰ والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثىٰ وانّي سميتها مريم وإنّي أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾[3] .

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

محل البحث هناك حيث قال: ﴿وليس الذكر كالأنثىٰ﴾. لو دققتم في الكتب الأدبية ترون ان الأدباء في تفسير هذه الجملة قمسين: فهناك من يعتبر هذا التشبيه، تشبيهاً معكوساً ويقولون: لأن المذكر أفضل من المؤنث والرجل أرقىٰ من المرأة، فلو قال شخص: (ليس الذكر كالأنثىٰ)، فهنا التشبيه تشبيه معكوس، وفي الحقيقة يعني ليست الأنثىٰ كالذكر.

وهناك بعض يعتقدون بان التشبيه في الآية جارٍ على الأصل لا معكوس، بهذا البيان وهو ان الولد لا يستطيع أبداً أداء دور هذه البنت، ولا يستطيع أي رجل ان يصبح والداً لعيسىٰ، ولا يستطيع الرجل أبداً أداء عمل هذه المرأة، وبناء على هذا فالتشبيه تشبيه مستقيم لا معكوس.

دور النساء في تثبيت الأديان الإلهية:

أما قسم قوة الدفع، فهو قسم مبسوط سنبين خلاصته في هذا البحث.

لقد عرض القرآن الكريم رجالاً بصفتهم في مسألة الغضب ومكافحة الظلم، أما ما طرح في مسألة مكافحة الظلم الفرعوني فهو كفاح النساء.

يذكر القرآن الكريم ثلاث نساء كأمثلة وهن اللواتي حفظن موسىٰ من القتل، وقمن بتربيته. وكانت كل مسألة تربية موسىٰ الكليم بعهدة أولئك النساء الثلاث. أم موسىٰ، أخت موسىٰ، وامرأة فرعون، فقد قامت تلك النساء الثلاث بمكافحة الوضع السياسي في ذلك الوقت، حتى كبر هذا الرجل، قال تعالىٰ:

﴿وأوحينا إلى أم موسىٰ﴾[1].

عندما ألقت أم موسى ابنها في البحر بأمر الله، قالت لأخت موسى بأن

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧.

تتابع هذا الصندوق ﴿وقالت لأخته قصّيه﴾[1] .

من ناحية أُخرىٰ قالت امرأة فرعون:

﴿لا تقتلوه عسىٰ أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾[2] .

من ناحية أُخرى هيأت هذه النساء الثلاث الأرضية لنضج وتربية موسىٰ، حتى طوىٰ بساط فرعون.

واضح جيداً ان الذهاب وراء الصندوق حتى قصر فرعون لم يكن عملاً سهلاً، كما أن أمّا إذا أمرت ابنتها بأن تتابع هذا الصندوق وتكون على اطلاع على نهاية مسيره، وإذا كانت نهاية مسيره هي قصر فرعون تذهب وتعرض عليهم الرضاعة وتقول:

﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾[3] .

لا يعتبر هذا أيضاً أمراً سهلاً في ذلك اليوم الذي كانوا يلاحقون كل امرأة مرضعة حتى يفهموا ان طفلها الرضيع ولد أم بنت، لأن المرأة التي تضع طفلاً هي التي تكون مرضعاً. ان اقتراح التعريف بامرأة مرضعة بصفة ظئر ليس أمراً عادياً في مثل ذلك الوضع ودخول في ساحة الخطر ومواجهة الموت والإعدام، علاوة على هذا فان أمومة أم موسىٰ كانت سرية أيضاً كانوا على أي حال يسألون عن الرضيع وجنسه، لأنهم كانوا في حال متابعة مستمرة حتى يقضوا على كل رضيع ولد، كما قال تعالىٰ:

﴿يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم﴾[4] .

---

(1) سورة القصص، الآية: ١١.
(2) سورة القصص، الآية: ٩.
(3) سورة القصص، الآية: ١٢.
(4) سورة القصص، الآية: ٤.

فلم يكن امراً عادياً، هذا الذي تولته أخت موسى ولم يكن عملاً صغيراً ذلك الذي أمرت به أم موسىٰ، كما ان اقتراح امرأة فرعون لم يكن اقتراحاً سهلاً، والشخص الذي كان يعيش مع أكبر سفاح في ذلك العصر، يقول في ذلك المقطع الحساس: **﴿لا تقتلوه عسىٰ أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾**، هذا الاقتراح يبين شهامة وشجاعة هذه المرأة.

خلاصة البحث:

اتضح مما تقدم ان النساء كانت تتولىٰ أفضل عمل من أجل حفظ الأديان، وذلك في قسم الغضب والشهوة (العفاف)، وفي قسم العلم أيضاً كانت النساء في حد الرجال جزء من الكلمات الإلهية التي أنقذت آدم **﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾**.

بناء على هذا تصبح النتيجة أنه لا يوجد قسم يكون فيه الرجال مقدمين، ولا يكون للنساء فيه سهم، ولكن يجب أن تدرك المرأة موقعها أولاً، وثانياً أن يعطي الآخرون حرمة لهذا الموقع، وثالثاً يهيئون إمكانات، ثم يبدأ التقويم، حيث يظهر في ميدان الامتحان إلى أيّ حد يمكن ان تنجح المرأة وإلى أي حد يمكن للرجل التقدم.

النساء الأسوة في القرآن(٢):

الأنبياء قدوة الإنسان:

القسم الآخر من البحث يقع في هذا الإطار، هذا الذي عرفه الله تعالىٰ رسوله بعنوان رحمة تشمل العالم، وقال:

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[1]، **﴿وما أرسلناك إلا كافة**

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

للناس﴾[1] ، ﴿للعالمين نذيراً﴾[2] .

وهناك آيات كثيرة أُخرىٰ تفهم شمولية دعوة النبي ﷺ للعالم (هذه مقدمة).

مقدمة أُخرىٰ في قوله تعالىٰ في سورة الأحزاب:

﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[3] .

عندما نجعل المقدمة الثانية إلى جانب المقدمة الأولى نرىٰ ان كلمة لكم﴾ ليست خطاباً للرجال، هي خطاب للناس، وكما بين سابقاً فان طريقة القرآن هي طريقة الحوار، وفي المحاورة حين يقال الناس فليس المقصود الرجال في مقابل النساء، بل المقصود هو جماهير الناس، وطبق مقدمة الأولىٰ إذا كان رسول الله ﷺ نذيراً للعالمين، رحمة للعالمين، فة للناس، عند ذلك ليس صحيحاً أن نقول في المقدمة الثانية: إن رسول هو قدوة للرجال، بل هو قدوة للناس، كما أن الله تعالى قال عن إبراهيم خليل عليه السلام:

﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾[4] .

كلمة ﴿أبيكم﴾ هذه هي خطاب للناس لا للرجال، وقال تعالىٰ:

﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه﴾[5] .

أي تأسوا أيها الناس بإبراهيم والذين مع إبراهيم عليه السلام وليس أنتم أيها

---

(1) سورة سبأ، الآية: ٢٨.
(2) سورة الفرقان، الآية: ١.
(3) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(4) سورة الحج، الآية: ٧٨.
(5) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

الرجال. لأن ضمير جمع المذكر السالم هذا على أساس ثقافة الحوار هو خطاب للمجتمع، وليس للرجال.

وقد دعانا الله إلى التأسي بإبراهيم الخليل في آيتين من سورة الممتحنة، أحداهما هذه الآية **﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه﴾** والأُخرىٰ قوله تعالىٰ:

﴿لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة﴾[1] .

هذه الأمثلة تبين ان الأنبياء هم أسوة للناس لا للرجال.

الأسوة في نظر القرآن:

إذا أصبح الإنسان صالحاً فهو أسوة لسائر الناس. إذا كان رجلاً فهو أسوة للناس لا للرجال فقط، وإذا كانت امرأة فهي أيضاً أسوة للناس لا للنساء، والقرآن الكريم يوضح هذه المسألة بصورة صريحة، ويذكر أربع نساء بعنوان نساء نموذجيات (اثنتان منهن نموذج حسن واثنتان نموذج سيىء).

المرأة سواء أكانت سيئة أو صالحة ليست مثالاً للنساء، فحسب، هي امرأة نموذجية، وهناك فرق بين كون المرأة الصالحة الجيدة نموذجاً للنساء، وبين كونها امرأة نموذجية؟ ان الرجل إذا أصبح جيداً لا يكون نموذجاً للرجال، بل هو رجل نموذجي. القرآن الكريم يقول: إن الرجل الجيد هو نموذج للناس وليس نموذجاً للرجال والمرأة الجيدة ليست هي نموذجاً للنساء، بل هي امرأة نموذجية، والمرأة السيئة ليست نموذجاً للنساء السيئات، بل نموذج للناس السيئين.

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٦.

يـذكـر القـرآن الكـريـم أربعـة نمـاذج مـن النسـاء ـ نمـوذجـان للسيئيـن ونموذجان للمؤمنين في سورة التحريم. وفي جميع هذه الحالات الأربع ليس هناك كلام عن المرأة والرجل، لا يقول ان أولئك النساء السيئات هن مثال للنساء السيئات، بل يقول: إنهن نموذج للناس السيئين. وفي الحالتين الأخريين حين يذكر النساء الفاضلات، لا يقول: إن النساء الفاضلات هن نموذج للنساء الفاضلات بل يقول: إنهن نموذج للناس الفاضلين.

امرأة لوط وامرأة نوح:

يبين القرآن الكريم نموذجاً للناس السيئين بنقل قصة امرأتين سيئتين ويقول:

﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً لله وقيل أدخلا النار مع الداخلين﴾(١).

هنا لا يقول الله تعالىٰ «ضرب الله مثلاً للاّتي كفرن» ولا يقول «ضرب الله مثلاً للنساء الكافرات» لا يقول ان الله ذكر نموذجاً للنساء السيئات ـ بل يقول **﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا﴾** لا (للنساء) ولا (للاّتي كفرن) بناء على هذا يتضح إن **﴿للذين كفروا﴾** هذه لا تعني الرجال الكافرين بل تعني الناس الفاسقين والمجرمين، والمرأة السيئة هي نموذج للناس السيئين لا نموذج للنساء السيئات **﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوحٍ وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً﴾** المقصود هنا من الخيانة هي الخيانة الرسالية والعقائدية والثقافية، ولذا قال لنا الله تعالىٰ:

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١٠.

﴿لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم﴾[1] .

الخيانة للنبي، تعني سوء التعامل مع دينه، الخيانة لله، أي سوء السلوك تجاه الايمان هذه هي الخيانة لله والنبي، وعندما قال هنا: إن امرأة لوط وامرأة نوح خانتا هذين النبيين وأحدهما من الأنبياء أولي العزم والآخر حافظ الشريعة إبراهيم عليه السلام أي لم تؤمنا برسالتهما، وهاتان نموذج للناس الكافرين.

بناء على هذا يتضح انه إذا كان الكلام عن ﴿الذين﴾ و ﴿آمنوا﴾ وأمثال ذلك، فان المقصود حسب لغة الحوار، هم الناس، وليس الرجال، وإذا أصبحت امرأة سيئة فهي نموذج لناس سيئين، وليس نموذجاً لنساء سيئات وفي هذه الآية ﴿وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ رغم ان ﴿أدخلا﴾ كما هي تثنية مذكر فهي تثنية مؤنث أيضاً. فالمقصود بذكر ﴿الداخلين﴾ بصورة جمع مذكر سالم، هو الناس الجهنميين وليس الرجال الجهنميين. هذان نموذجان للنساء السيئات.

امرأة فرعون، نمودج الناس المؤمنين:

يذكر القرآن الكريم نموذجين جيدين من النساء أيضاً بصفتهن أسوة، وقد قال الله تعالىٰ بشأن النساء الفاضلات اللواتي عدهن نموذجاً للناس المؤمنين:

﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾[2] .

إن تعبير القرآن في هذه الآية ليس ان امرأة فرعون هي نموذج للنساء

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٧.

(٢) سورة التحريم، الآية: ١١.

الصالحات بل أن المرأة الصالحة هي نموذج للمجتمع الإسلامي، والمجتمع الرفيع يتأسىٰ بهذه المرأة، لا ان النساء فقط يجب ان يأخذن منها درساً. بل المجتمع الإسلامي يجب أن يأخذ منها الدرس. إن الله تعالى لم يقل في هذه الآية: «وضرب الله مثلاً للاّتي آمن امرأة فرعون» بل قال: **﴿وضرب الله للذين آمنوا امرأة فرعون﴾** هذه المرأة كانت تعيش في بيت كان صاحبه يقول: **﴿أنا ربكم الأعلىٰ﴾**[1] ويقول: **﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾**[2] . إن جملة (لا إله إلاّ أنا) تشير إلى الحصر مثل (لا إله إلا الله) وهذا الحصر ادعاه فرعون. الله تعالىٰ يقول:

﴿سبح اسم ربك الأعلىٰ﴾[3] .

الأعلىٰ هو مفهوم يرافقه الحصر، لهذا لا يمكن وجود اثنين بعنوان الأعلىٰ، ولكن فرعون كان يدعي الانحصار والأعلىٰ، كان يدعي الربوبية والتوحيد، الربوبي أيضاً، وكان يقول: انني الإله الوحيد في مثل هذا البيت نشأت امرأة هي نموذج الناس المتدينين **﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون﴾** .

ثم يذكر القرآن فضائل لهذ المرأة ويرىٰ أهمها في بعد الدعاء حيث أخذت في هذا الدعاء ست نكات عظيمة. أصبحت هذه المرأة نموذجاً للنساء الصالحات بسبب انها قالت في الدعاء:

﴿إذ قالت رب أبن لي عندك بيتاً في الجنة﴾ .

هل ان امرأة فرعون تريد الجنة أم الله؟ لقد طلبت الجنة عند الله؟

---

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٤.
(٢) سورة القصص، الآية: ٣٨.
(٣) سورة الأعلىٰ، الآية: ١.

الآخرون يطلبون الجنة، ويطلبون من الله في أدعيتهم **﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾**[1] ، لكن هذه المرأة أرادت الله أولاً ثم طلبت عند الله بيتاً، لم تقل: (رب ابن لي بيتاً في الجنة)، ولم تقل: **﴿ربّ ابن لي بيتاً عندك في الجنة﴾** بل قالت: **﴿ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾** ذكرت أولاً عند الله ثم تكلمت عن الجنة، أي إذا كان الكلام عن (الجار ثم الدار)[2] ، فإن هذه المرأة طبقت هذا المعنىٰ في مسألة المقامات الإنسانية وطلبت الله أولاً ثم جنة عند الله. طلبت أولاً لقاء الله واللذة المعنوية، ثم اللذة الظاهرية **﴿ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾**.

قد يكون هناك من يقول: (ربّ ابن لي بيتاً في الجنة) ثم يقول أخيراً (عندك)، أي يقول (الدار ثم الجار)، لكنها كانت هكذا تفكر (الجار ثم الدار) (الله ثم الجنة)، ولذا قالت **﴿ربّ ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾**. طبعاً هناك فرق كبير بين الجنة التي تكون عند الله والجنة التي تجري من تحتها الأنهار.

تولي وتبري امرأة فرعون:

إن هذين الطلبين، أحدهما لقاء الله والآخر الجنة، أي أحدهما (جنة اللقاء) والآخر **﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾**، في هذه الأدعية الستة، أو هذا الدعاء الذي فيه ستة مطالب، يعودان إلى التولي، والطلبات الأربع الأُخرىٰ تعود إلى التبري، ١ ـ **﴿ونجني من فرعون﴾** ٢ ـ **﴿وعمله﴾** ٣ ـ **﴿ونجني من القوم الظالمين﴾** ٤ ـ وأعمالهم وهي محذوفة.

عندما قالت **﴿ونجني من فرعون وعمله﴾** لم يكن طلبها ان ينجيها الله

(١) سورة الفرقان، الآية: ١٠.

(٢) بحار الأنوار، ج١٠، ص٢٥.

من عذاب فرعون، يمكن ان يقول شخص إلهي نجني من الظالم، ولكنه حين يصل إلى السلطة يمارس الظلم، أما هذه المرأة فلم تطلب من الله نجاتها من فرعون فقط، بل طلبت الخلاص من عمله وهو الشرك، لم تطلب النجاة من ظلمه فقط، بل طلبت الخلاص من الظلم، طلبت النجاة من أن تكون مظلومة أو ظالمة، طلبت النجاة من الوقوع في شركه ومن التفكير في ادعاء الربوبية **﴿ربّ نجني من فرعون وعمله﴾** ثم قالت: **﴿ونجني من القوم الظالمين﴾** قد يتخلص الشخص من فرعون ولكنه يقع في فخ آل فرعون أو سائر الظالمين، لذا عرضت الطلب الخامس **﴿ونجني من القوم الظالمين﴾** وحذفت (أعمالهم) بقرينة **﴿نجني من فرعون وعمله﴾** وحذف (ما يعلم) جائز.

بناء على هذا فهذه المرأة التي تفهم بهذه الدرجة العالية وفي طلباتها يوجد تبري وتولي وتسأل من الله مسائل اجتماعية وفردية، هل أن هذه المرأة النموذجية هي نموذج للنساء؟ أم انها نموذج للمجتمع؟ قال الله تعالىٰ: **﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا﴾**، ولم يقل: (ضرب الله مثلاً للنساء) أو (اللاتي آمنّ)، لهذا يتضح انه ليس لدينا نموذج للنساء، لدينا امرأة نموذجية، ولكنها ليست نموذجاً للنساء. المرأة النموذجية هي نموذج للناس.

مقام مريم عليها السلام الخاص في القرآن:

النموذج الرابع الذي جاء في القرآن الكريم هو مريم عليها السلام. وهذا النموذج ذكر في سورة التحريم كالنماذج الثلاثة الآنفة. بعد أن قال تعالىٰ: **﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون﴾**، قال في الآية اللاحقة تكريماً لمقام مريم عليها السلام الخاص:

﴿ومريم ابنة عمران﴾[1] .

أي **﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا مريم ابنة عمران﴾** . مريم التي **﴿أحصنت﴾** مريم التي **﴿فنفخنا فيه من روحنا﴾** ، مريم التي **﴿وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾** ، ولأن مقام مريم كان أرفع من مقام امرأة فرعون ، لذا لم يذكرهما دفعة واحدة ، بل ذكرهما في آيتين منفصلتين ، على خلاف تينك الكافرتين اللتين ذكرتا في آية واحدة . **﴿ومريم ابنة عمران﴾** التي وصلت من أثر الاحصان والصيانة والعفة ومن أثر تلقي تلك الروح الغيبية إلى ان **﴿وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾**[2] .

يفهم جيداً من هذه النماذج الأربعة في سورة التحريم أنه لا الرجل النموذجي هو نموذج للرجال ، ولا المرأة النموذجية نموذج للنساء ، يمكن ان يكون الفلاح النموذجي ، نموذجاً للفلاحين ، والصناعي النموذجي ، نموذجاً للصناعيين ، والخطاط النموذجي نموذجاً للخطاطين ، ولكن الإنسان النموذجي ، هو نموذج لجميع الناس ، ولا يختص بالمرأة أو الرجل .

ويجب طبعاً عند تقييم مقام وكمالات مريم عليها السلام عدم نسيان دور أمها ، رغم أن مريم عليها السلام تربت على يد زكريا ، لكن هذا الأمر كان في المرحلة النهائية ، وليس في المرحلة الابتدائية ، كانت أمها أهلاً لأن تلد أم نبي ، وكان لديها ذلك الخضوع الذي جعلها تهدي ابنتها إلى معبد الله . وان قبول الله تعالىٰ هذه الجوهرة كان من أجل أنه يعلم أنه إذا أعطاها فيضاً ستكون أمينة في حفظ الفيض . ورغم ان مريم عليها السلام تقبلها ربها وهي في

---

(١) سورة التحريم ، الآية : ١٢ .

(٢) سورة التحريم ، الآية : ١٢ .

سن الطفولة:

﴿**فتقبلها ربها بقبول حسن**﴾[1] .

ولكن الله تعالىٰ كان يعلم ان هذه المرأة لو حصلت على كمال ستكون أمينة على حفظ الكمال.

لقد اعطىٰ الله تعالىٰ فضيلة لعدد كثير من الرجال، وكان يعلم أنهم ليسوا أهلاً لذلك، وأنهم سوف يفتضحون في النهاية، وكان إعطاء الفضيلة لهم من باب ﴿**معذرةً إلى ربكم**﴾[2] واتمام حجة، لذا أعطاهم فضيلة ولم يعطهم منصباً ومأمورية. لأن الشخص الذي في عمله كشف خلاف، لو حصل على مأمورية ومنصب يوجه ضربة لأسس الدين الإسلامي اعطىٰ تعالىٰ لبلعم بن باعورا فضيلة ولم يعطه منصباً، أعطىٰ للسامري فضيلة ولم يعطه منصباً، لم يكن السامري إنساناً صغيراً، لقد رأىٰ بعينه الباطنية أثر الملائكة وقال:

﴿**بصرت بما لم يبصروا به**﴾[3] .

ولكن بدلاً من أن يأخذ فيضاً من ذلك الأثر، ويواصل طريق موسىٰ وهارون عليهما السلام ويتتلمذ عندهما جاء ونشر عبادة العجل. وكان بلعم بن باعورا شخصاً قال بشأنه الله تعالىٰ:

﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها**﴾[4] .

تلك نماذج قرآنية تقوم على ان الله يعلم لمن يعطي منصباً، ولكنه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٤.
(٣) سورة طه، الآية: ٩٦.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٥

يعطي فضيلة حتى يتضح أن البعض يبدل عمداً الفضيلة إلى رذيلة، ولأن الله تعالىٰ مطلع على بواطن وظواهر الجميع لا يعطي أبداً منصباً رسمياً للذين لهم لاحقة سوءُ.

﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[1].

الله تعالىٰ يعلم لمن يعطي مأمورية، الله تعالىٰ ليس كالبشر العاديين يعطي لشخص إبلاغاً، ثم يحصل كشف خلاف ويقول إني لا أبصر ما في الباطن. إن الله تعالىٰ يقبل الذين يعلم أنهم ثابتون وملتزمون بحسن اختيارهم. وكانت مريم من هذه النماذج. بناء على هذا رغم انها لم تقم بعمل في أول ولادتها، ولكن كان معلوماً أن الله إذا اعطاها فضيلة، تلتزم وتثبت على حفظها، لذا تولت رعايتها في بداية ولادتها، أمّا مثل امرأة عمران، فبعد أن أرادت الوفاء بنذرها، أودعتها في المعبد، ومن ذلك الحين وما بعده:

﴿وكفّلها زكريا﴾[2].

أي جعل الله سبحانه وتعالىٰ زكريا كفيلاً لها، و(كفّل) في هذه الجملة أخذت مفعولين (المكفَّل) هو الله، والله تعالىٰ كفل مريم تحت رعاية زكريا ﴿وكفلها زكريا﴾ لا (تكفلها زكريا)، لم يتكفل زكريا إلا بالوحي الإلهي، لم تكن القرعة وقعت باسم زكريا بصورة تلقائية، لذا قال تعالىٰ: إنهم اقترعوا وكانوا الكثير يحبون تربية هذه الطفلة.

﴿وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

واقترعوا وخرجت القرعة باسم زكريا، بمشيئة الله.

﴿وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم﴾[1].

ويقول الله تعالىٰ بأنه نظم الخطة بنحو يكون فيه هو المكفل ويكون زكريا متكفلاً، ومريم تحت الكفالة، وهذا في مرحلة البقاء حيث تربيتها ورشدها، وإلا ففي بداية ولادتها وتكونها وظهورها وهجرتها من الرحم إلى الحضن، كانت في ظل تربية تلك الامرأة.

تقييم مقام مريم عليها السلام بنظر المفسرين:

يذكر القرآن الكريم نماذج كثيرة، وأحد تلك النماذج هو مؤشر تربية ورشد وحياة وعبادة وعفاف مريم عليها السلام. إن ما يبينه القرآن الكريم بشأن مريم عليها السلام هو انه:

﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[2].

كما أن الملائكة، تكلمت مع مريم وسمعت كلام مريم أيضاً، بل ان مريم رأت الملائكة، بل إنها أيضاً جعلت على مرأىٰ منهم. وهذه تعابير رفيعة للقرآن بشأن مريم عليها السلام وأن ملائكة كثيرة تكلمت معها وسمعت كلامها، وهذا القول الذي كان بصورة شفهية تبدل إلى شهود. وفي موضع آخر. وفي مقام تبيين مقام مريم الرفيع قال تعالىٰ:

﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين* يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٣) سورة آل عمران، الآيتين: ٤٢ ـ ٤٣.

كما بشرتها بالمسيح عليه السلام:

﴿إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح﴾[1].

وفي تبيين حياة مريم عليها السلام اعتبرت مجموعة من (أهل الاعتزال) كالزمخشري ـ في الكشاف ـ الذين سلكوا طريق التفريط، أن مشاهدة الملائكة، وسماع كلام الملائكة هو أما بعنوان (كرامة لزكريا) أو عدوه (إرهاص عيسىٰ)، وظنوا ان تلك المرأة لا تستطيع الوصول إلى هذا المقام، وتتمتع بالكرامة، وتسمع كلام الملائكة وتتلقىٰ بشارة الاصطفاء من الملائكة وتتلقىٰ منها البشارة بكونها أصبحت أماً لنبي، لذا قالوا: إن كل هذه الفضائل التي حظيت بها مريم هي إما بعنوان معجزة لزكريا أو بعنوان إرهاص عيسىٰ، كما تقع مجموعة أمور خارقة للعادة قبل القيامة يعبر عنها بعنوان (أشراط الساعة)، كذلك قبل ظهور أو ميلاد نبي تقع مجموعة أمور خارقة للعادة وهي علامة ظهور نبي، وعبروا عن هذه الأمور الخارقة للعادة في الكتب الكلامية بعنوان (إرهاص).

أما أهل الافراط كالقرطبي وهو من المفسرين المعروفين من أهل السنة، وغيره ممن يشاطره الفكر فيعتقدون أن مريم كان لديها منصب النبوة، لذا نزلت عليها ملائكة كثيرة، وأخبرتها عن الوحي، وأعلنت لها مسألة صفوتها وطهارتها عن طريق الإلهام وبشرتها بانها أصبحت أماً لنبي وغير ذلك، ولأن مريم تلقت وحي الملائكة ونزلت عليها الملائكة ووصل كلامها من رتبة المشافهة إلى المشاهدة فهي نبي، لأن كل شخص نزلت عليه الملائكة وجاءت بالوحي ورآىٰ الملائكة هو نبي.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٥.

أما الإمامية الذين يسيرون في طريق القسط والعدل فيهم يعتقدون ان جميع هذه المقامات والكرامات تتعلق بمريم عليها السلام أي هي وصف لحال الموصوف لا متعلق الموصوف ـ ويجب عدم وصفها لحساب إعجاز زكريا، ومن ناحية أُخرىٰ فإن مريم عليها السلام لم تصل إلى مقام الرسالة والنبوة التشريعية، وهاتان المسألتان يبينهما مفسروا الإمامية بالاستناد إلى الظواهر القرآنية.

المسألة الأولىٰ: أن جميع هذه الكرامات تتعلق بمريم عليها السلام، بدليل ظواهر القرآن ان الملائكة تكلمت ولكن ليس فقط بعنوان هاتف غيب وملاك باطن، بل أصبحت مشهودة لها، كما أن هذه الخطابات والنداءات تجلت أحياناً بصورة تمثل أيضاً، كما جاء في القرآن الكريم:

﴿فتمثل لها بشراً سوياً * قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾[1].

فقال المَلَك:

﴿إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾[2].

ظاهر هذه الآيات هو أن مريم عليها السلام تلقت لوحدها هذه المقامات ومقام مريم أدّىٰ لأن يطلب زكريا من الله ذرية:

﴿هنالك دعا زكريا ربه﴾[3].

علاوة على أن التوصية بالقنوت ودوام العبادة والخضوع المستمر، والسجود والركوع هو دليل على مقام مريم، كما أن الأوصاف التي ذكرها

(١) سورة مريم، الآيتين: ١٧ ـ ١٨.
(٢) سورة مريم، الآية: ١٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.

الله تعالىٰ لهذه المرأة، دليل على أن شخصية مريم أدت إلى أن ترىٰ الملائكة وتتكلم معها وتسمع كلامها، أو عندما ذكر الله تعالىٰ مريم بأنها:

﴿وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾[1].

أو في قوله تعالىٰ:

﴿وأمه صديقة﴾[2].

أي أن عيسىٰ له أم كانت تصدق كلام الغيب، لم تكن صادقة فقط، بل إنها عدت من الصديقين، وأن كونها صديقة وتأييد الله لصحة هذا الموضوع دليل على أن جميع هذه الفضائل لمريم عليها السلام.

أما ان يعتقد الزمخشري ومن يشاطره الرأي بأن هذه الكرامات كانت بسبب زكريا أو أنها كانت إرهاصات نبوة المسيح عليه السلام فذلك ليس لأن المرأة لا تستطيع الوصول إلى هذا المقام، بل على أساس تفكير المعتزلة غير صحيح.

من أنه ليس المرأة فقط بل لا يستطيع أي رجل أيضاً، الوصول إلى مقام الكرامة، والأنبياء فقط يمكن ان تحصل لهم معجزة، ولا يستطيع غير الأنبياء ان يتمتع بكرامة، سواء كان رجلاً أو امرأة، وهذا الكلام قد أبطل في محله؛ لأن الكرامة غير المعجزة، المعجزة تختص بالأنبياء، ولكن الكرامة ثابتة لجميع أولياء الله.

مع هذا التوضيح وهو أن خرق العادة إذ اقترن بادعاء النبوة، وامتزج بالتحدي، فيسمىٰ هذا معجـزة وإلا فهو كرامة.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٥.

أما ما تصوره الافراطيون مثل القرطبي - في الجامع - وغيره ممن يحمل هذا الفكرَ فكان على أساس قياس منطقي، لكن لم يتكرر الحد الوسط في ذلك القياس أو لم تنظم الكبرىٰ مع كليتها، ولأن القياس لم يكن تتوفر فيه شروط الانتاج المنطقي، فقد أصيبوا بالمغالطة من هذه الناحية.

وبيان المغالطة هو أن القرطبي قال في تفسيره: إن الوحي نزل على مريم عليها السلام، ونزلت الملائكة وتكلمت معها، ولم يكن هذا الحوار في حدود المشافهة فقط بل وصل إلى حد المشاهدة، وكل شخص ينزل عليه الوحي ويسمع كلام الملائكة ويصل من الكلام الشفهي إلى الشهودي هو نبي، فمريم عليها السلام نبيّ.

المقدمة الأولى لهذا القياس وهي صغرىٰ صحيحة، أي أن مريم عليها السلام لم تتكلم مع الملائكة بصورة شفهية فقط بل رأت الملائكة شهوداً وتمثلت لها. أما المقدمة الثانية أي كبرىٰ القياس التي تقول: إن كل شخص رأىٰ الملائكة وتلقىٰ الوحي هو نبي، فانها لست كلية.

أقسام الوحي ودفع مغالطة:

الوحي نوعان: ١ - وحي (انبائي) ٢ - وحي (تشريعي). والنبي هو الشخص الذي لا يرىٰ فقط الملائكة في مسائل الرؤية الكونية والمعارف وأمثال ذلك ويسمع كلامهم و. . بل يتلقىٰ عطاء الوحي في المسائل التشريعية أيضاً، يتلقىٰ الشريعة من الملائكة ويتولى مسؤولية قيادة المجتمع ويتعلم الأحكام المولوية ويبلغها إلى الناس، وليس كل شخص يتلقىٰ الوحي يكون نبياً، ورغم أن النبي هو الشخص الذي ينزل عليه الوحي، ولكن ليس كل من نزل عليه الوحي يكون نبياً، لأن الوحي أنبائي أحياناً، وأحياناً تشريعي فتكون النبوة نبوة أنبائية أحياناً، ونبوة تشريعية أحياناً.

مسألة النبوة التشريعية التي يبينها الله في القرآن الكريم بصورة رسالة ـ لأنها أمر تنفيذي، ويرافقها حشر مع الناس، ويتولىٰ قيادة الحرب والسلم وتولي المسائل المالية وتوزيع الأموال وتنظيم أمر المجتمع ـ هذا النوع من النوبة يجعله الله تعالىٰ للرجال، قال تعالىٰ في سورة يوسف وسورة النحل:

﴿ما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[1].

فالرسالة، أي قيادة المجتمع، أي مسألة التشريع والنبوة التشريعية، وبيان الحلال والحرام، والواجب والمستحب، والمكروه والمباح وأمثال ذلك، هي نبوة ورسالة خاصة وضعت بعهدة الرجال لأنها مقام تنفيذي، ولكن النبوة الأنبائية بمعنىٰ أن يطلع شخص عن طريق الوحي على مايجري في العالم، وما هو مستقبل العالم؟ ويرىٰ مستقبل نفسه، ويطلع على مستقبل الآخرين أيضاً، وهذا النوع من النبوة يعود إلى الولاية وليس إلى النبوة التشريعية والرسالة التنفيذية، ورغم أن هذا النوع من النبوة هو سند لكل رسالة ونبوة تشريعية، ولكنه لا يختص بالرجال، بل إن النساء يستطعن أيضاً الوصول إلى هذا المقام.

فإذا كان مراد القرطبي وأصحابه في الفكر إثبات نبوة أنبائية لمريم عليها السلام فان جميع العرفاء، الحكماء والمفسرين يقبلون هذا، وإذا كان مقصوده النبوة التشريعية، وان مريم عليها السلام كان لديها رسالة وكانت تتلقىٰ الوحي التشريعي، فذلك مرفوض، ولا يمكن استنباطه من الآيات، ولا تشعر به الروايات بل على خلاف ذلك أقيم ويقام الدليل على أن الأعمال التنفيذية هي للرجل وليس للمرأة، لذا يرفض مفسروا الإمامية تفكير

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣.

المعتزلة كالزمخشري وكذلك يرفضون تطرف أشخاص كالقرطبي.

مريم الصديقة:

ذكر القرآن الكريم مريم بصفة صديقة وهي مبالغة في التصديق، بمعنى أنها ليست مصدقة فقط، ليست فقط صادق وصديق بل هي صديقة.

الصديقون هم جماعة ترافق الأنبياء والصالحين والشهداء وهم معاً في قافلة. هؤلاء هم سادة القافلة السائرة في طريق الله. الأشخاص العاديون سواء النساء أو الرجال يسألون من الله في صلاتهم وأدعيتهم وعباداتهم أن **﴿اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم﴾** وقد حدد الله، المنعم عليهم في سورة النساء فقال:

﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾[1].

الشخص الذي يكون مطيعاً لله ورسوله يلتحق بمسافري القافلة التي أهلها عبارة عن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ثم يقول: **﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾**. هؤلاء رفاق جيدون لأنه: «سل عن الرفيق قبل الطريق»[2].

فإذا سقط الإنسان امسكوه، وإذا سار في طريق الإفراط والتفريط قوموه، وإذاشعر بالتعب أعانوه، وإذا شعر بالعجز منحوه قوة، لذا قال **﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾**.

وهذا لا يختص بالنساء بان يقلن: إلهي أرنا طريق مريم، بل أن جميع المصلين يدعون أن يدلهم الله على طريق الصديقين، ومريم هي جزء من

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) نهج البلاغة، الرسالة٣١.

الصديقين أيضاً. إن الرجال عندما يدعون في جميع الصلوات بأن يهديهم الله صراط الأنبياء والصديقين، فان مرادهم ليس الصديقين بمعزلٍ عن مريم بل الصديقين الذين منهم مريم أيضاً.

إن سر أن مريم عليها السلام صديقة ليس بسبب أنها صدقت الأخبار العادية، وأنها تصدق ما يصدقه الآخرون، بل أنها صدقت بشيء لم يصدقه الآخرون، وأيدت صحة شيء كان الآخرون يعدونه مستبعداً على أساس هذا الاستبعاد أتهموها، في حين أن مريم لم تطلب آية وعلامة لقبول هذا الأمر غير العادي.

شبهة تفوق مريم عليها السلام على زكريا عليه السلام:

إن المتطرفين الذين أفتوا بنبوة مريم أرادوا القول: أن مريم أرقىٰ من زكريا، لأن زكريا عندما سأل الله سبحانه:

﴿ربِّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾.

أو ما جاء في سورة مريم من أن زكريا قال:

﴿ربِّ إني وهن العظم مني وٱشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك ربِّ شقياً﴾[1].

فقد طلب من الله ذرية صالحة (ذرية أي ابن، سواء كان هذا الابن بلا فصل أو مع الفصل، سواء كان واحداً أو أكثر من واحد، وسواء كان مذكراً أو مؤنثاً، كل هذه يقال لها ذرية)، كما جاء في محل آخر من القرآن أنه قال:

﴿فهب لي من لدنك ولياً * يرثني ويرثُ من آل يعقوب وٱجعله ربِّ

---

(١) سورة مريم، الآية: ٤.

رضياً﴾[1] .

عند ذلك نادته الملائكة :

﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيىٰ مصدقاً﴾[2] .

ويحيىٰ هذا :

﴿مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين﴾[3] .

وعندما بشرت الملائكة زكريا كبير السن بأنه أصبح أباً. سأل زكريا من الله :

﴿ربّ اجعل لي آية﴾[4] .

طلب من الله أن يجعل له آية وعلامة حتى يفهم هل هذه البشارة هي حق أم لا، أو يفهم متى تتحقق هذه البشارة. ولكن مريم عليها السلام عندما سمعت البشارة من الملائكة أطمأنت وصدقت لأنها كانت صديقة، ولم تطلب من الله تعالى علامة بناء على هذا نستنتج أن مقام مريم أعلى من زكريا.

علة طلب آية من قبل زكريا:

هذا الاعتقاد غير صائب؛ لأنه يجب عدم إنزال نبي من مقامه العظيم لتكريم مقام شخص غيره ـ مريم عليها السلام .

---

(١) سورة مريم، الآيتين: ٥ ـ ٦.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.
(٤) سورة مريم، الآية: ١٠.

أما أن زكريا عليه السلام طلب آية، فإن حق المسألة هو أن هذه الآية لم تكن لشك كان لديه بل كان كما قال إبراهيم عليه السلام:

﴿ربّ أرني كيف تحيي الموتىٰ قال أو لم تأمن قال بلىٰ ولكن ليطمئن قلبي﴾[1].

أي، إلهي أرني كيف تحيي الموتى، فقال تعالىٰ له: **﴿أو لم تؤمن﴾** فقال إبراهيم بلى، ولكن من أجل يصل إلى مقام ارفع، ويصل إلى درجة فيصبح مظهر (هو المحيي)، وإلا فهو معتقد بالمعاد ويعلم أن الله يحيي الموتىٰ، ولكنه أراد أن يفهم كيف يحيي الله الموتىٰ، وطبعاً هذا أيضاً ليس بتلك الصورة التي يريه الله كيف يحيي الموتىٰ، بل أراد أن يجعله الله مظهراً لـ (هو المحيي) فيحيا على يده الموتىٰ، وهذا هو أعلىٰ مقام سأله إبراهيم الخليل عليه السلام.

هذا الطريق الأبراهيمي علمه إبراهيم عليه السلام لأبنائه في ان يطلبوا أيضاً من الله تعالىٰ آية لحظة بلحظة حتى يصلوا إلى مقام الطمأنينة ويجدوا النفس المطمئنة.

مراحل اليقين:

إذا اتضحت لشخص مسألة بواسطة البرهان، فلديه مرحلة من الطمأنينة، وإذا تبدل برهانه من علم اليقين إلى عين اليقين سيرىٰ ماذا يجري في العالم ويرى كيف يحيي الله الموتىٰ، وهذه مرحلة أيضاً، ولكن المرحلة الأعلى من عين اليقين هي مرحلة حق اليقين، أي ان الإنسان يصل إلى درجة بحيث يشاهد ـ هو المحيي ـ في نفسه، لأن ـ المحيي ـ هو وصف من الأوصاف الفعلية لله، والأوصاف الفعلية خارجة عن الذات الأقدس ـ على

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٠.

عكس الأوصاف الذاتية ـ والشيء الذي هو خارج الذات يكون ممكن الوجود، وعليه فان الإنسان يستطيع ان يصبح عينه، لذا رغم أن منطقة الذات هي منطقة ممنوعة، وكذلك هي حدود الأوصاف الذاتية أيضاً، ولكن إذا تنزلنا من هاتين المنطقتين الممنوعتين ووصلنا إلى مقام الفعل، ندخل منطقة (الفراغ) وفي هذه المنطقة يكون المكان مفتوحاً للإنسان السالك ويمكنه أن يكون مظهر الأوصاف الفعلية لله، لذا أصبح عيسىٰ المسيح مظهر الخالق وأمثال ذلك.

أحياناً يفهم الإنسان بالبرهان العقلي أن إحياء الموتىٰ ممكن، وهذا هو علم اليقين، وأحياناً يمضي في خدمة المسيح ويشاهد كيف أن روح القدس فيضاً إلى المسيح وأمثاله، لذا يصل من علم اليقين إلى عين اليقين. ولكن أحياناً يصبح الإنسان مظهر هو المحيي ويحيي الموتى كالمسيح، وفي كثير من الحالات كالعترة الطاهرة عليهم السلام حيث يصبح الإنسان في المرحلة الثالثة أي منطقة الفراغ وفي منطقة الأوصاف الفعلية سالكاً، ويصل إلى مقام حق اليقين، أي يصبح مظهر هو الخالق وهو المحيي.

هذا الطريق أوضحه إبراهيم الخليل عليه السلام لجميع السالكين عموماً وللأنبياء، من ذرية إبراهيم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ خصوصاً، لذا طلب زكريا عليه السلام آية وعلامة حتى يصل أخيراً إلى مقام الطمأنينة ويعلم كيف تتحقق هذه المسألة.

الله تعالىٰ يقول للآباء والأمهات أنهم ليسوا مظهر الخالق؛ لأن ما يقوم به الأب والأم هو الامناء وليس الخلق.

﴿أفرأيتم ما تمنون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾[1].

---

(١) سورة الواقعة، الآيتين: ٥٨ ـ ٥٩.

ولكن أحياناً يصل الإنسان إلى درجة يصبح باطنه مظهر هو الخالق.

بناء على هذا إذا كان لزكريا مقام رفيع بحيث يستطيع أن يربي أبنا مثل يحيىٰ، وإذا هيّأ الله تعالى زكريا وزوجته لتربية وظهور يحيىٰ الشهيد، يجب عدم القول: إن مقام مريم هو أعلىٰ من مقام زكريا؛ لأن زكريا طلب آية وان مريم صدقت بلا علامة.

لذا لا محل لإفراط القرطبيين ولا محل لتفريط الزمخشريين، بل الاعتقاد الوسط والمعتدل هو أن هذه المرأة قطعت جميع المقامات، كما أن نوع الإنسان ـ من النساء والرجال ـ يستطيع الوصول إلى تلك المقامات؛ لأن النبوة الأنبائية ممكنة لغير الأنبياء أيضاً، ولكن النبوة التشريعية والرسالة وهي أمر تنفيذي خاصة بالرجال الأولياء.

ان مقام الطمأنينة واليقين هو نتيجة تهذيب النفس وتزكية القلب والنفس، وهو طريق جامع بين المرأة والرجل. إن نتيجة تهذيب النفس هي أن يأنس الإنسان بما وراء الطبيعة ويصبح من أهل الشهود وكما ينجح الرجال في هذا المسير في التكلم مع الملائكة تنجح النساء أيضاً في التكلم مع الملائكة وتلقي بشارتها، وهذه المسألة عرضت علاوة على القرآن، في صحف الأنبياء السابقين ـ عليهم السلام ـ بشكل كامل أيضاً، وهي مسألة كلامية، ولا يوجد في هذه الناحية أي اختلاف بين الشرائع الإلهية ولا أي تمايز بين الكتب الإلهية.

النساء الأسوة في القرآن(٣):

بشارة الملائكة لإبراهيم عليه السلام وزوجته:

في مسألة إبراهيم عليه السلام كما يتكلم خليل الله مع الملائكة، ويتلقىٰ بشارة الملائكة فان زوجته أيضاً تتكلم مع الملائكة وتتلقىٰ بشارة الملائكة

وليس ان المرأة لا تستطيع الوصول إلى مقام بحيث يتكلم معها المَلَكَ.

لقد بشر الله تعالى في زمن كهولة وشيخوخة خليل الله، بشره بغلام، وهذه البشارة أعلنت لزوجة إبراهيم بنفس الشكل الذي أبلغ لإبراهيم بواسطة الملائكة، أي أن أبا إسحاق تلقى البشارة وأم إسحاق تلقت أيضاً بشارة الملائكة. جاء في قضية خليل الرحمن أن الملائكة حين بشرت إبراهيم عليه السلام بغلام قالت: ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾[1].

فقال إبراهيم عليه السلام:

﴿أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون﴾[2].

إن إبراهيم عليه السلام لم يقل هذا الكلام بعنوان (استبعاد)، بل بعنوان (تعجب). هنا قال إبراهيم الخليل مندهشاً:

﴿أبشرتموني على أن مسّني الكبر﴾[3].

فقالت الملائكة:

﴿بشّرناك بالحق فلا تكن من القانطين﴾[4].

عند ذلك قال إبراهيم الخليل:

﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾[5].

إن معنىٰ اليأس هو إن يفكر الإنسان انه وصل إلى درجة لا يستطيع الله ـ معاذ الله ـ حل مشكلته. وهذا اليأس هو في حد الكفر، ولا يحق لأي

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠١.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٥٤.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٥٤.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٥٥.
(٥) سورة الحجر، الآية: ٥٦.

أحد أن يكون يائساً؛ لأن الله وعد ان يعفو عن الذنب ويتجاوز عن المذنب، كما ان الإنسان يجب أن لا يصبح مغروراً، ويلزم أن يمضي دائماً بين الخوف والرجاء.

كان هذا خلاصة الكلام في مسألة بشارة الملائكة لإبراهيم عليه السلام، وقد طرح ما يعادل هذا التعامل مع زوجة إبراهيم في سورة هود:

﴿وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾[1].

فقالت زوجة إبراهيم عليه السلام:

﴿قالت يا ويلتي أألدِ وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾[2].

عظمة المرأة في قاموس الوحي:

يتضح من هذا التقييم أن عظمة المرأة كانت موجودة في قاموس الوحي قبل نزول القرآن أيضاً، ولا تختص بالقرآن، بل إنها طرحت في الإنجيل والتوراة وصحف إبراهيم أيضاً، فالتكلم مع الملائكة وتلقي بشارتهم، وطرح الكلام عليهم، وسماع كلامهم، كل هذه هي حالات كانت المرأة مساهمة كالرجل في جميع ميادينها. وإذا كان أبو نبي تكلم مع الملائكة، فإن أم النبي تحادثت معهم أيضاً. لذا نرىٰ أنه تعالىٰ عندما يذكر النساء في القرآن، يعد أم مريم أو نفس مريم جزءاً من آل عمران ويجعلها في زمرة الأصفياء. قال تعالىٰ في القرآن:

---

(١) سورة هود، الآية: ٧١.

(٢) سورة هود، الآيتين: ٧٢ ـ ٧٣.

﴿ان الله اصطفىٰ آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾[1] .

والمقصود من عمران هذا هو عمران أبو مريم، وليس عمران أبو موسىٰ، لأن عمران أبا موسى لم يرد اسمه في القرآن أساساً. ثم قال الله تعالىٰ:

﴿إذ قالت امرأة عمران ربّ اني نذرت لك ما في بطني محرراً﴾[2] .

إن الله تعالىٰ عرف هاتين الإمرأتين بعنوان صفوة الناس في العالم. وفي نهج البلاغة نقرأ ان أمير المؤمنين عليه السلام قال بشأن فاطمة الزهراء عليها السلام:

«قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري»[3] .

فالإمام يذكرها بعنوان صفية أي هي صفوة الله، مريم هي صفوة الله أيضاً، وأم مريم هي صفوة الله حسب الظاهر أيضاً؛ لأن آل، يعني أهل، وأم مريم كانت أهل عمران، أي ان عمران الذي هو أبو مريم يعدّ رأس سلسلة هذه الأسرة، ويقال للمنسوبين لهذه الأسرة آل عمران؛ فكلتا الامرأتين مصطفاة لله.

---

(١) سورة آل عمران، الآيتين: ٣٣ ـ ٣٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٥.
(٣) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح الخطبة ٢٠٢.

المرأة في العرفان



معنى الخلافة الإلهية

طرح في البحوث المتقدمة بحث قصير حول الخلافة الإلهية واتضح ان الخلافة متعلقة بمقام الإنسانية وليست متعلقة بشخص أو صنف خاص، أي ان آدم عليه السلام لم يكن بشخصه خليفة الله، بل إن مقام الإنسانية هو خليفة الله، لذا فان المقام الكامل للخلافة الإلهية متوفر في الأنبياء وأولياء الله خاصة العترة الطاهرة عليهم السلام، وكما ان هذا المقام لا يختص بشخص فإنه لا ينحصر أيضاً بصنف، لأنه للإنسانية، والإنسانية منزهة عن الذكورة والأنوثة.

يلزم في بداية هذا البحث تقديم توضيح أكثر حول معنى الخلافة الإلهية.

ان معنىٰ الخليفة هو الذي يظهر من (خلف) وفي غيبة (المستخلف عنه)، أي أن شخصاً غائب في مكان أو زمان معين، فيملأ آخر ذلك الفراغ، في ذلك الزمان أو ذلك المكان. ويتولى عمل المستخلف بشكل مؤقت، وهذا الأمر جائز في حالة الكائن المحدود الذي هو موجود في مكان وغير

موجود في أماكن أُخرىٰ، أو موجود في زمان وغير موجود في أزمنة أُخرىٰ، أو موجود في مرتبة ولا يوجد في مراتب أُخرىٰ، لأنه يوجد بشأن مثل هذا الكائن فرض الغيبة والشهادة، والحضور والغياب، ويجوز أيضاً قبول الخلافة، وأما إذا كان الموجود حاضراً في كل مكان وشاهداً في كل زمان، وهو مع الجميع في كل المراتب الوجودية، وفي كل الحالات **﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾**[1] ، هذا الموجود ليس له غيبة لأنه حاضر دائماً، وعندما لا تكون له غيبة لا يحتاج إلى خلافة أيضاً، بناء على هذا يجب ان يلحظ معنى أدق بشأن خلافة هذا الموجود، وهو أن الشخص يمكن ان يكون خليفته إذا كان آيته الكبرىٰ كما ان المستخلف عنه ليس له حضور وغياب، وهو حاضر دائماً، وليس له غيبة وشهادة بل هو **﴿على كل شيء شهيد﴾**[2] ، أي لا يكون لدىٰ الخليفة بدوره، غيبة وشهادة، أو حضور وغياب ويكون في جميع الظروف ومع جميع الناس، ولا يصل إلى هذا المقام إلا الإنسان الكامل.

الإنسان الكامل، آية الله الكبرى:

الإنسان الكامل هو ذلك الموجود الذي هو آية كبرىٰ لله، ولأنه آية كبرىٰ لله. فهو مظهر **﴿والظاهر﴾**[3] في مظاهر العالم، ومظهر **﴿والباطن﴾**[4] في غير عالم الظاهر، وله حضور مع الأوراح وحاضر مع الأبدان.

ولأمير المؤمنين عليه السلام كلام رفيع بشأن أصل الخلافة، حيث قال في

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٤.
(٢) سورة الحج، الآية: ١٧.
(٣) سورة الحديد، الآية: ٣.
(٤) سورة الحديد، الآية: ٣.

أحد الأدعية:

(اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الحضر، ولا يجمعهما غيـرك؛ لأن المستصَحـب لا يكـون مُستخلفـاً، والمستخلـف لا يكـون مستصحباً)[1]

هذا الموجود يتطلب خليفة هكذا، أي أنه إذا بلغ كائن كمال القرب لله، يصبح آية كبرىٰ لله، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«مالله آية أكبر مني»[2].

ولأن العترة الطاهرة عليهم السلام هم نور واحد، وكلامهم كلهم هو انه (مالله آية أكبر مني)، فهؤلاء أقرب إلى الله من سائر الكائنات قطعاً، ولما كانوا أقرب إلى الله، تظهر الأوصاف الإلهية فيهم أكثر من الآخرين أيضاً، وتلك الجامعية التي لديهم يفتقدها الآخرون، ولما كان هؤلاء جامعي الحضور والغياب والظاهر والباطن. استطاعوا ان يكونوا خليفة الله، يكونوا خليفة الله في زمان غيبتنا، وفي مكان غيبتنا، وفي زمان حضورنا وظهورنا، عندما نكون موجودون، فهم معنا أيضاً ومصاحبون حاضرون، وعندما نكون غير موجودين فهم خليفتنا؛ لأنهم خليفة الله الذي (هو الباطن). إذا وصل شخص إلى هذا المقام لا يقوم بشيء عدا الخير، ورؤيته محيطة وسعيه غير محدود، ومثل هذا الموجود يمكن ان يكون خليفة الله.

إذا حلل هذا المعنىٰ يتضح ان الذكورة والأنوثة ليست لها فيه دور أساساً؛ لأن ما هو غائب مع حفظ حال الحضور، ومع حفظ حال الغيبة، أي ظاهر وباطن هي روح الإنسان وليس البدن. فالبدن إذا كان حاضراً في

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، الخطبة ٤٦ ص٨٦.

(٢) بحار الأنوار، ج٣٦، ص١.

مكان، فهو ليس حاضراً في مكان آخر، وإذا كان له حضور في زمان، يمكن ان لا يكون له حضور في زمان آخر.

عندما يخبر الله تعالىٰ عن الناس يقول بانهم كلهم مجاري فيض، وان ما تقوم به أيديهم من أعمال يقوم بها الله في الحقيقة، غاية الأمر أنهم مجرىٰ فيض وخليفة لله، وتولوا رسالته، مع هذا الفرق وهو انه تعالىٰ لا يُرىٰ، ولكن مظاهره مرئية.

المسكين رسول الله:

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب نهج البلاغة انه قال:

«إن المسكين رسول الله»[1]

هذا الكلام هو من أجل تعريفنا بأصل عام، فالإمام علي عليه السلام يقول: إن السائل من أهل المسكنة والحاجة إذا جاءكم، فهو رسول الله إليكم، وان الله أرسله، غاية الأمر إن الإنسان العادي الذي ليس لديه رؤية توحيدية، والمحروم والغافل عن الشهود الافعالية للتوحيد، يظن ان السائل جاء لطلب شيء لكي يرفع حاجته المادية، غافلاً عن أن هذا السائل جاء من مكان بعيد، ومعه رسالة الله، والله تعالى أعطاه مأمورية، في أن يطلب شيئاً منكم أنتم المتمكنين، ويأخذ حقه المسلم، ولم يأت حتى تعطوه شيئاً من حقكم.

قال تعالىٰ:

﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾[2]

للشخص الذي لديه قدرة السؤال، أو ليس لديه قدرة السؤال، حق

---

(١) نهج البلاغة، الفيض، الحكمة ٢٩٦.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ١٩.

معلوم ومسلم، وحقه المسلم موجود في مال المستطيعين، وإذا لم يعط شخص هذا الحق يعيش عيشة غاصبة ﴿وفي أموالهم حق﴾، هذا الموضوع طرح في قسمين من الآيات، حيث جاء في أحد الأقسام ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ وجاء في القسم الآخر:

﴿في أموالهم حق معلوم﴾[1].

من ناحية أُخرىٰ قال تعالىٰ لصاحب الحق بأن يذهب ويقول عن الله بأن يعطوه حقه.

لذا على أساس ما جاء في ذلك الحديث، ان الشخص السائل يعد رسول الله. ويجب ان يتعامل الإنسان مع السائلين بهذه الرؤية التوحيدية، ويسعىٰ لأن يكون الشيء الذي يعطيه للسائل من أطهر أمواله.

﴿انفقوا من طيبات ما كسبتم﴾[2].

ويسعىٰ أيضاً أن يعطي ذلك المال باخلاص واحترام، وليس بالمن والأذىٰ.

﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذىٰ﴾[3].

يعطي بدون من وأذىٰ، وكذلك بأدب واحترام، ويكون شاكراً لله لتأديته الحق الإلهي، ويكون شاكراً لأن جاءه رسول الله، لذا أمر الأئمة عليهم السلام بإعانة المسكين، وقاموا أيضاً بهذا العمل، لذا ورد في الروايات أن الأئمة المعصومين عليهم السلام كانوا يضعون أحياناً أيديهم فوق رؤوسهم بعد إعطاء مال إلى مسكين، ويمسحون عيونهم بأيديهم أحياناً،

---

(١) سورة المعارج. الآية: ٢٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.

ويقبلون أيديهم أحياناً، ويشمونها أحياناً[1] ويقولون: إن أيديهم هذه لاقت يد رسول الله.

إن الملائكة ليست فقط وحدها «مدبرات أمر»[2]، بل الناس أيضاً يتولون الخلافة الإلهية في كل مكان، غاية الأمر إن الإنسان الأكمل له خلافة أكمل، والإنسان المتوسط نصيبه خلافة وسطىٰ، والإنسان النازل حصته مرحلة خلافة نازلة.

بناء على هذا فإن الإنسان ما دام يسير في مسير الفضيلة والحق فهو خليفة الله، وعندما يسير في مسير الضلالة فهو تحت ولاية الشيطان.

﴿كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه إلى عذاب السعير﴾[3].

ورغم ان الشيطان نفسه هو تحت ولاية الاسم المضل للحق، ولكن الناس الفاسقين هم تحت ولاية الشيطان، حيث يذكرهم الله سبحانه بعنوان ان ﴿مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير﴾[4] أو بعنوان ﴿اتخذوا الشياطين أولياء﴾[5] وأمثال ذلك، وبهذا المعنى يبين أيضاً أن مسألة الخلافة في كل الأقسام الثلاثة العالي والمتوسط والداني منزهة عن الذكورة والأنوثة.

النساء وبلوغ مقام الخلافة الإلهية:

سؤال آخر يطرح في هذا المجال، وهو أنه إذا كان الإنسان هو خليفة الله، ومقام الإنسانية هذا منزه عن الذكورة والأنوثة فلماذا بلغ رجال كثيرون

(١) وسائل الشيعة، ج٦، ص٣٠٣.
(٢) ﴿فالمدبرات أمراً﴾ سورة النازعات، الآية: ٥.
(٣) سورة الحج، الآية: ٤.
(٤) ﴿مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير﴾ سورة الحديد، الآية: ١٥.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٣٠.

هـذا المقـام، ولكـن مـن بيـن النسـاء هنـاك فقـط أربـع نسـاء بلغـن هـذا المقـام؟ جواب هذا السؤال هو:

أولاً: هناك كثيرون من النساء اللواتي لم تسجل فضائلهن في التاريخ.

وثانياً: إن هذه النساء الأربع لا تدل على الحصر.

ثالثاً: إذا كان لدى المجتمع نضج أكثر فانه يسعىٰ لوضع إمكانات الرقي والسعادة تحت تصرف كلا الصنفين، وإذا كان المجتمع متأخراً، فيجب عدم كتابة هذا (التحجر الفكري للمجتمع) على الدين؛ لأن الدين فتح الطريق لكلا الصنفين، ولم يشترط الذكورة لأي كمال، يمنعه بالأنوثة، والاشتراط بالذكورة والأنوثة يتعلق بالأعمال التنفيذية، والأسئلة المتعلقة بالأقسام التنفيذية ستطرح فى البحوث الفقهية، كما سيطرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، وتبين إن شاء الله الأجوبة المناسبة لهذا القسم من الأسئلة في فصل (البحث الفقهي).

ولكن حيث نحن الآن في بحث عرفاني مرتبط بـ (بحث قرآني) فالمطروح هو مسألة الخلافة وسائر الكمالات الإنسانية، وأن ليس في أي منها دور للمرأة والرجل.

الذكورة والأنوثة في المعاد:

المسألة الأُخرىٰ هي ان القرآن كما بدأ الكلام في محور الخلافة في بدء حدوث الإنسان، والخلافة ليس فيها امرأة ورجل، في نهاية الحدوث، وفي نهاية العالم أيضاً، حين يطرح مسألة المعاد، ومسألة مواقف القيامة، ومسألة البرزخ والحشر، ومسألة السؤال والجواب والكتاب ووزن الأعمال، والعبور على الصراط والكوثر وأمثالها لا يفرق أبداً بين المرأة والرجل، وفي جميع هذه المسائل تستوي المرأة والرجل.

وقد ورد في بعض رواياتنا أن أهل الجنة يقولون:

«يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة عليها السلام بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

غضوا أبصاركم، لا من أجل أنكم من غير المحارم. فلا يسمح لكم حين عبور فاطمة عليها السلام برؤيتها. الكلام هناك ليس عن التكليف، أو عن الحرمة والحلية أو الجواز وعدم الجواز، بل إن هذا هو أمر تكويني، أي ان هذه المرأة حين تعبر وهي بتلك العظمة فان أهل المحشر لا يستطيعون رؤيتها، لذا يقال: «يا أهل المحشر غضوا أبصاركم»؛ لأن فاطمة الزهراء عليها السلام تريد العبور.

ثم جاء في الرواية ان على رأس فاطمة عباءة تصل إلى أيادي جميع أهل المحشر ويستطيعون الاستفادة من خيوط هذه العباءة العظيمة، وهذا ليس بمعنى ان العباءة نسجت بخيوط صوف أو قطن وأمثال ذلك، وتضعها الزهراء عليها السلام على رأسها وتمر بمثل هذا الثوب العريض، بل إن غطاء الرحمة واسع ومقام الولاية الشامخ واسع. هؤلاء مظهر ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾[2] وسعة تلك الرحمة تصل إلى أيدي الجميع، وإلا فان هذه العباءة ليست من صوف أو قطن أو أمثال ذلك، رغم أنهم تكلموا بلساننا وتكلموا معنا بهذا الكلام، لكن المقصود من ذلك هو غطاء الرحمة الذي يكون بوسعة جميع أهل المحشر.

بناء على هذا، هناك نساء كثيرات وصلن إلى هذا المقام وكانت هناك نماذج بارزة بينهن أيضاً.

---

(١) بحار الأنوار. ج٤٣، ص٢٢١ الحديث ٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

ارتباط البدن بالروح المجردة:

المسألة الأُخرىٰ المطروحة هي أن حجم مخ المرأة أو وزن مخها أقل من حجم ووزن مخ الرجل، بناء على هذا فان الوزن الفكري الذي لدىٰ الرجل ليس لدى المرأة؛ لأن المخ هو أداة الفكر، وإذا كانت الأداة ضعيفة، فان الطاقة الفكرية ستكون ضعيفة.

إن هذا البيان رغم انه يبدو في الوهلة الأولىٰ كاملاً، ولكن بعد الدخول في فصل الإبحاث العقلية يتضح أنه رغم ان الإنسان لديه بدن وروح، ولكن ليست الروح في قيد البدن، بل البدن هو في قيد الروح. البدن لا يبني الروح، بل الروح تبني البدن. إذا صارت الروح قويةً تستطيع بناء أداة قوية، وإذا كانت الروح ضعيفة لا تستطيع بناء أداة قوية.

بيان المسألة هو أننا ليس لدينا أي عضو ثابت، وذرة وخلية ثابتة في البدن، ورغم أن من الممكن ان لا يتولىٰ علم الطب، أو الأقسام الأُخرىٰ للعلوم الطبيعية طرح هذه المسألة، ولكن العلوم العقلية تتولى كاملاً هذا القسم، وهو أن كل كائن مادي هو في حركة وتغير، وتتبدل كل عدة سنوات جميع ذرات البدن، والروح المجردة ثابتة والبدن المتحرك الذي هو متغير يظل مستقراً في ظل كائن مجرد ثابت.

عندما يصل الإنسان إلى سن الثمانين مثلاً تتبدل جميع ذرات بدنه ثمان مرات على الأقل، وتبديل هذه الذرات والأجزاء هو بعهدة الروح وإذا كانت الروح قوية تستطيع بناء أجزاء بدن قوية، وإذا كانت ضعيفة تبني ضعيفة، وبناء على هذا المعيار وهو أن البدن ليس أمراً ثابتاً وهو في تحول وتغير دائما، عند ذلك لا يمكن القول: إن هذا البدن كم يستطيع أن يبقى إذن؟ لأنه عند ذلك ليس هناك هذا البدن وذلك البدن حتى يقال: إن لكل

بدن قابلية معينة، البدن كما ذكر العلماء في النثر والنظم والأدب العرفاني هو مثل حوض يقع في وسط نهر جارٍ، إذا كان هناك نهر جارٍ يمر في بيت شخص وحفر صاحب المنزل حوضاً في وسط منزله بحيث يمر هذا النهر من طرف ويخرج من طرف آخر، فإن هذا الحوض يكون فيه ماء بشكل دائم، ولكن صاحب المنزل الساذج يتصور ان هذا الماء هو نفسه الماء الذي كان في الحوض قبل عدة أيام أو عدة أشهر أو عدة سنوات، فماء الحوض يتبدل كل لحظة، ولكن هذا الشخص يتخيل أن هذا الماء في الحوض هو نفسه الماء الذي كان في الحوض أمس[1] .

إن الشخص الذي يرىٰ صورته أو صورة القمر والنجوم في سطح نهر جارٍ بهدوء يتصور ان هذا النهر الجاري هو مثل مرآة تبين الصورة الثابتة، ويتخيل أنه رأىٰ صورته الثابتة أو صورة القمر الثابتة في الماء الجاري ساعة، بينما هذه الصورة تتغير كل لحظة، ولكن لأنها تتغير بالتدريج وبصورة ظريفة فان مشاهدها يتصورها ثابتة. أن أعضاءنا في تغير وحركة كل لحظة.

الخلاصة هي أن الروح تبني البدن، ولو كانت الروح مثل روح الإنسان الكامل الإمام ولي العصر عليه السلام ، فانها تستطيع المحافظة على بدنها ملايين السنين، ولهذا فان هذا السؤال ليس مطروحاً عند أولي الألباب أساساً وهو كيف يعيش إنسان مليون أو مليوني سنة؟ الآن مضى من عمر الإمام عليه السلام حوالي ألف ومائتي سنة، ولو مرت ألف مليون سنة أيضاً. لا إشكال عند أصحاب العقول، لأن البدن تبنيه الروح المجردة، وليست في البدن أية ذرة ثابتة حتى يقول طبيب: إن هذه الذرة لا تستطيع المقاومة، أو ان هذا العنصر لا يدوم أكثر من هذا؛ لأنه ليس لدينا أساساً عنصر ثابت في البدن.

---

(١) مثنوي مولوي.

قدرة الروح الإنسانية وقضية خيبر:

ذكر المرحوم الصدوق في كتاب الأمالي والمرحوم الطوسي وغيرهما من علماء الحديث والحكمة أن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال عندما قلع باب قلعة خيبر ورماها بعيداً:

«ما قلعت باب خيبر ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية ولا حركة غذائية لكني أيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيئة»[١].

أنواع تلقي الكمالات:

الجواب الآخر هو أن جميع الكمالات لا تتعلق بالأفكار النظرية، فأحياناً يفهم الإنسان جيداً ولكن مقروناً بالعنف، إذا كان على صنفين، قسم أعمالهم قوية هم الرجال، وبعض أعمالهم دقيقة هم النساء، كذلك الاسماء الإلهية على صنفين، والإنسان يحصل على الكمالات عن طريقين، بعض الكمالات عن طريق الحرب والقيام والكفاح ومحاربة الظلم ومظهر قوة وجلال الله، وبعض عن طريق المحبة والرأفة والعاطفة وجمال ولطف الله. وإذا كان أحد هذين الصنفين أقوىٰ في أقسام النظر والعنف والفكر، فليس هذا دليلاً على أنه أقوى لمحبة والعاطفة في أقسام المحبة والعاطفة واللطف والرأفة والصفاء والصميمية والرقة.

القوة في أمر المحبة:

أحياناً يكون طريق العاطفة والمحبة والرحمة أكثر انجازاً للعمل من طريق القوة. الله تعالىٰ يدير العالم على محور المحبة، وكثير من آيات القرآن تعطي درس المحبة، والمرأة تدرك طريق المحبة أفضل من الرجل، رغم أن

---

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٢٦.

من الممكن ان يدرك الرجل طريق القوة أفضل من المرأة، الأحاديث والأشعار العرفانية والنثر والنظم والأدب العرفاني يؤثر في المرأة أكثر من الرجل وتأثير الآيات والكلام الحماسي والأحاديث والنثر والأدب الحماسي في الرجل أكثر، وهذا نوع من تقسيم العمل.

وإذا بلغت المرأة إلى ذلك الكمال النهائي تستطيع موازنة القوىٰ، والرجل أيضاً إذا بلغ ذلك الكمال النهائي يستطيع موازنة القوىٰ، أما المتوسطين فانهم يستعينون بكل من الفروع الخاصة ـ من باب تقسيم الكمالات ـ إن فرع المحبة ليس أقل من فرع القوة، بل يجب تعريف المحبة بقائد القوة، والقوة مطلوبة عندما تدار تحت قيادة المحبة، إن الله تعالىٰ عندما يعتبر إبراهيم عليه السلام أبانا كلنا يذكره بعنوان خليل ويقول:

﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾[1].

أي أنه يعطي درس (الخلّة) للأبناء، كما جاء في القرآن الكريم:

﴿ملّة أبيكم إبراهيم﴾[2].

أي أن أباكم هذا هو خليل الرحمن وأنتم أبناء الخليل، وابن الخليل يتعلم درس الخلّة، المحبة، الصداقة والصميمية، كما ان إبراهيم عليه السلام قال:

﴿فمن تبعني فإنه مني﴾[3].

أي أنني أعطي درس الخلة ودرس الصفا والصميمية. رغم أني أصدرت أمر تحطيم الأصنام.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٥.
(٢) سورة الحج، الآية: ٧٨.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦.

﴿فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم﴾[1] .

أنتم أبناء الخليل، ولا يمكن القول: إن الرجال هم أبناء الخليل أكثر من النساء، ولعله يمكن القول ان تقدم النساء في مدرسة الخلة والمحبة والصفاء هو أكثر من الرجال. بناء على هذا فرغم أن من الممكن أن يفهم الرجال مناجاة غير المحبين أفضل من النساء، ولكن مناجاة المحبين المروية عن الإمام السجاد عليه السلام تدركها النساء اللواتي من أهل السير والسلوك أفضل؛ لأن روح العاطفة والرغبة والمحبة في هذا الصنف هي أكثر من الرجال، أي أن المرأة المتوسطة تدرك مناجاة العارفين ومناجاة المحبين أفضل من الرجل المتوسط، كما أن من الممكن ان يدرك الرجل بعض المناجاة الأُخرىٰ مثل مناجاة طلب الجهاد و «نسأل الله منازل الشهداء»[2] أفضل من المرأة، وهذه المسألة تتعلق بكلا الصنفين، وعندما يصلان إلى الكمال يكونان متساويين ومتشابهين.

الغرض هو انه حتى إذا كان بعض الأقسام البدنية والذرات المخية في بعض الأقسام ضعيفة، فهي قوية في أقسام أُخرىٰ، أي أن طريق العقل يمكن ان يختلف، ولكن طريق القلب يختلف أيضاً من هذه الجهة، لأن طريق القلب إذا لم يكن أقوىٰ من طريق العقل، فهو ليس أقل من طريق العقل، ولا يمكن القول أبداً ان المرأة في طريق القلب ناجحة أقل من طريق الرجل، وقد تحصل على نجاحات أفضل وأكثر، غاية الأمر انه كما ان طريق العقل يجب انقاذه من لصوص الخيال والوهم، حتى يستطيع العقل السيطرة على الوهم والخيال، كذلك يجب انقاذ طريق القلب من المحبات العاطلة والباطلة التي هي لصوص حتى يقطع طريق المحبة صحيحاً، طبعاً المحبة الصادقة وليس

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٥٨.
(٢) نهج البلاغة، صبحي الصالح، الخطبة٢٣.

المحبة الكاذبة، لأن المحبة الكاذبة قد تحل محل المحبة الصادقة. لكن الطريق مفتوح لكلا المجموعتين بشرط ان يتخلص الإنسان من شر قطاع الطرق.

أمة الحبيب:

الله تعالىٰ جعلنا أمة الحبيب، وعُرّف رسول الله ﷺ بوصفه حبيب الله، وقد عرفه الله تعالىٰ بوصفه معلم المجتمعات البشرية وقال:

﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾[1].

أعطىٰ النبي وصفاً ومنصباً، المعلم هو لقب عام، أما الوصف الذي يعطىٰ لذلك المعلم، فانه يحدد تعليمه وفرعه التدريسي، أي أن الشخص الذي يعطي الدرس الرياضي هو معلم، والشخص الذي يدرس الهندسة، هو معلم، والشخص الذي يدرس الطب، هو معلم والشخص الذي يدرس الأدبيات هو معلم والشخص الذي يدرس الفقه والفلسفة والعرفان هو معلم، ولكن هذا هو لقب عام لا يحدد فرعه التخصصي. ولكن إذا قيل: إن المهندس يدرس يعني يعطي درس هندسة. وإذا قيل الأديب يدرس، يعني يعطي درس الأدبيات.

ورغم ان رسول الله ﷺ هو معلم الكتاب والحكمة، ولكن هذا التعليم هو لقب عام، حيث ان جميع الأنبياء لديهم ذلك اللقب. اللقب الاختصاصي لرسول الله ﷺ الذي يبين فرعه التخصصي، هو المحبة. فهو حبيب الله، وعندما يقال: إن حبيب الله يدرس، يعني يعطي درس المحبة، وعندما يقال ان رسول الله هو معلمكم وحبيبكم يعني يعطي درس المحبة.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

محبة الحق ومحبة الباطل:

كما ان القراءة قسمان: خطأ وصحيح، والأديب الماهر هو الذي يستطيع تشخيص القراءة الخطأ من القراءة الصحيحة، وكما ان العلاج قسمان: خطأ وباطل وصحيح وحق، والطبيب الحاذق هو الذي يميز الخطأ من الصحيح، وكذلك بقية الفروع التخصصية، كذلك المحبة أيضاً، هناك محبة باطلة ومحبة حقة، عندما يكون الحبيب معلم الكتاب والحكمة، يعطي درس المحبة، وعمله هو ان يفصل المحبة الباطلة عن المحبة الحقة وعندما يفصل المحبة الباطلة عن المحبة الحقة فان الشخص الذي وعاء قبوله للمحبة أكثر من الآخرين سوف يكون في ذلك الصف التخصصي أكثر جدية في عمله من الآخرين ويعتبر حب الزوج والابن والمال أداة وليس طريق الكمال، لذا يقول الله تعالىٰ:

﴿تحبون العاجلة﴾[١] ﴿وتحبون المال حباً جمّاً﴾[٢] .

يقول تعالىٰ: إن هذه الأنواع من المحبة لا تدخل إلى قلوبكم وان هذه الأنواع من المحبة الصقوها بالطين وليس بالقلب؛ لأنها أدوات عمل وإذا دخلت إلى القلب تستولي عليه.

بناء على هذا عندما يتعرف الإنسان على هذه العلوم، يفهم أن المال هو شيء جيد، ولكنه جيد للبدن، الحيوان شيء جيد لكنه جيد للبدن. لذا يصبح صاحب قلب، وعند ذلك يصبح سائراً باتجاه كثير من أنواع المحبة الصادقة. فأنتم قليلاً ما تلاحظون دعاء ليس فيه درس محبة، غاية الأمر ان المحبة من كثرة ما هي مليحة ولطيفة ورقيقة لا تقال للجميع وفي كل مكان،

---

(١) سورة القيامة، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٠.

ولا تقرأ في أذان الجميع، لأن تشخيص المحبة الصادقة من المحبة الكاذبة، هو عمل الناس العقلاء.

في دعاء كميل تلاحظون انه عندما تمت تصفية الماضي والمستقبل وطهر الإنسان نفسه وطلب المغفرة وغفرت جميع ذنوبه، عند ذلك يدعو الله:

«واجعل قلبي بحبك متيماً»[١].

وجملة (قلبي بحبك متيماً) هذه هي (واسطة العقد) لدعاء كميل، وتعدُّ من غرر جمل دعاء كميل، أو عندما تقرؤون دعاء أبي حمزة الثمالي في أسحار شهر رمضان، يقول هذه الجملة:

(اللهم املأ قلبي حباً لك وخشية منك و.. شوقاً إليك)[٢].

عندما يتضح لماذا يقول الإمام السجاد عليه السلام في بداية مناجاة المحبين:

(من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلاً، ومن الذي آنس بقربك فابتغى عنك حولاً»[٣]. درس المحبة هذا، يعطيه لنا ذلك الحبيب، وذلك الحبيب، هو معلم الكتاب والحكمة. ولكن لمن يعطي درس المحبة؟ درس المحبة هذا، لا يفيد الأشخاص القساة والمتظاهرين بالقوة، هنا يشترى القلب المنكر والبدن المتعب، وإذا استطاع شخص ان يكون أكثر رقة في قسم القلب، يؤثر فيه كلام المحبة أكثر ويجب عدم القول انه لأن وزن مخ المرأة أو حجم مخ المرأة هو أقل، فإنها أكثر تأخراً عن الرجل في طريق

---

(١) دعاء كميل، مفاتيح الجنان.
(٢) دعاء أبي حمزة الثمالي، مفاتيح الجنان.
(٣) مناجاة المحبين، مفاتيح الجنان.

السير والسلوك أو في طريق الكمال الإنساني وبقية الطرق الإلهية، إن طريق القلب إذا لم يكن أقوىٰ من طريق العقل فهو بمستواه، وطريق القلب يتطلب رقة ومحبة وعاطفة، وأمثال ذلك، فالشخص الذي يبكي متأخراً قليلاً ما ينجح في درس المحبة، والشخص البكاء هو أكثر رقة في القلب، وإذا استطاع فصل العاطفة الحيوانية عن المحبة الإنسانية، ودخل إلى حدود المحبة وتخلص من شر ضعف النفس ولم يضع ضعف النفس بدل الرأفة خطأ، عند ذلك يصبح الطريق ممهداً له لدخول درس المحبة، ويستطيع كل منهم ان يكون مظهر اسم من أسماء الله. غاية الأمر إن مجموعة بذلك الشكل ومجموعة بهذا الشكل، حتى يصلوا إلى ذلك المقام الرفيع حيث الكلام هناك هو عن توازن الاسماء وليس ترجيح اسم على اسم آخر. الإنسان الذي يصل إلى مظهر الاسم الأعظم لديه جميع الاسماء متساوية، فهو يصل إلى العدالة الكبرىٰ، وفي العدالة الكبرىٰ كل القوىٰ متوازنة.

العدالة الصغرىٰ، الوسطىٰ والكبرىٰ:

في الفقه طرحت (العدالة الصغرىٰ)، وفي الفلسفة ذكرت (العدالة الوسطىٰ)، و(العدالة الكبرىٰ) مطروحة في العرفان.

إذا وصل الإنسان إلى تلك العدالة الكبرىٰ، يوازن جميع القوىٰ الإدراكية والتحريكية وجميع قوىٰ جذبه ودفعه ويصل إلى محل يصبح فيه مظهراً تاماً للاسماء الحسنىٰ ويكون في النواة المركزية للعدل.

في العدالة الصغرىٰ المطروحة في الفقه، عندما يؤدي الإنسان الأعمال الواجبة ويتجنب الحرام فهو عادل وان كان جباناً ولم يكن سخي الطبع وشجاعاً، فعندما يؤدي الواجب ولا يقوم بعمل حرام، فهذا المقدار كافٍ في عدالته. أما في الفقه الأوسط والعدالة الوسطى فهو ليس عادلاً؛

لأنه لم يوازن حتى الآن بعض القوىٰ، وإذا وازن هذه القوىٰ يكون عادلاً ومتوازناً في العدالة الوسطىٰ، ولكن مظهريته ليست متساوية تجاه جميع الاسماء، وهذا الشخص ليس عادلاً في الفقه الأكبر، أي العرفان. العادل هو الشخص الذي يكون مظهر جميع الاسماء الحسنىٰ، وينفذ كل اسم في محله على أساس الصواب. والإنسان الكامل يتمثل في الرجال باسم علي بن أبي طالب عليه السلام، وفي النساء بعنوان فاطمة الزهراء عليها السلام.

فيتضح ما هو معنى الخلافة في هؤلاء، ما هو معنى العدالة والرأفة والرحمة والمحبة في هؤلاء، ثم لا بد للرجال أخيراً من نشر دروس المحبة أكثر من الدروس الأُخرىٰ؛ لأن الله تعالىٰ قال:

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[1].

أي ان هذا النبي الحبيب هو حلقة ارتباط بين المحب والمحبوب، وإذا كنتم متبعين حبيب الله فهو يعطي درس المحبة وأنتم تصلون من مرحلة محب الله إلى مرحلة محبوب الله.

بناء على هذا إذا لم يكن للمرأة دور في بعض الأعمال التنفيذية، فهي ليست معفوة بشكل عام ـ ترك لا إلى بدل ـ، بل ترك إلى بدل. أي إذا لم تعمل المرأة عملاً ما فهي تتولىٰ ما يعادله في قسم آخر، وكما أن المجتمع يحتاج إلى قوة، فهو يحتاج إلى محبة أيضاً. والمجتمع لا يتقدم بالشدة والعنف مثلما يتقدم بالمحبة واللين، كما ان رسول الله كان موصوفاً بهذا الوصف، وكان نجاحه في هذه الناحية أيضاً:

﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

حولك﴾[1] .

إن درس المحبة هذا إذا لم تكن النساء أفضل من الرجال في تعلمه، فهن لسن أقل منهم، وإذا لم تكن النساء أفضل من الرجال في إدراك الأدعية المتضمنة للمحبة الصادقة، فهن لا يفهمن أقل من الرجال، وإذا لم يكن حب الله وخلقه عند النساء أفضل من الرجال، فهو ليس أقل.

لو بحثنا عن الكمال في الاسماء الإلهية الحسنىٰ لرأينا ان الاسماء الإلهية الحسنىٰ تقسم إلى قسمين: الجلال والجمال، الجذب والدفع، المحبة والقوة، الإرادة والكراهة أو المحبة والعداوة، وكل منها يكون مظهر أسم من الاسماء الخاصة لله في العالم، والذين يصلون إلى المقصد يكونون مظهر الاسم الأعظم.

العلوم الأداتية والأصالية:

العلم من حيث انه علم ليس مطلوباً بالذات، وليس لدينا أي علم يكون هدفاً وكمالاً ذاتاً ـ سواء العلم العملي أو العلم النظري ـ بل أن العلم هو دائماً مقدمة العمل، والعمل يتعلق بالقلب لا بالعقل، وطريق القلب إذا لم يكن للنساء أكثر من الرجال فهو ليس أقل بالتأكيد. مع هذا قسم العلماء العلوم إلى علوم أداتية وعلوم أصالية. العلوم الاداتية هي كالأدبيات التي هي من العلوم الاعتبارية وليس أكثر من انها أداة ـ لأنها للتدريس والكتابة فقط وليست مطلوبة بالذات ـ أو مثل علم المنطق حيث يتعلم الإنسان المسائل المنطقية حتى يفكر بشكل صحيح. العمل الذي يقوم به المنطق للتفكير يشبه العمل الذي تقوم به الادبيات للتلفظ، المتكلم أو الكاتب يجب أن يكون مراقباً لسانه وقلمه، والمفكر يجب أن يكون مراقباً ذهنه. مثل هذه العلوم

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

سواء الاعتبارية أو غير الاعتبارية ليست أكثر من أدوات. إن تعلم علم الفقه والحقوق والأخلاق والسياسة (التي هي من قبيل العلوم الإنسانية) هو مقدمة العمل. وان الفقه ليس مطلوباً ذاتاً من ناحية أنه علم بالحلال والحرام، بل هو مطلوب لتجنب الحرام، وامتثال الواجب، وأمثال ذلك، والإنسان يصبح فقيهاً عندما يعمل بأحكام الله، وكذلك علم الأخلاق ليس مطلوب ذاتاً، والإنسان يصبح عالماً بجميع الأخلاق حتى يتخلق في ظل علم الأخلاق.

العلم مقدمة العمل:

مثل هذه العلوم، التي هي جزء من شعب العلوم الإنسانية تعد جزء من الحكمة العملية وكلها مقدمة عمل. أما العلوم النظرية كالالهيات والفلسفة التي يقال إنها علوم مطلوبة ذاتاً ومستقلة، فليس بمعنى انها ليست مقدمة لعمل، وليس المقصود ان فهم الالهيات مطلوب ومقصود ذاتاً، وإذا قيل إن الفلسفة هي علم أصالي والمنطق علم أداتي فالمراد أن الفلسفة ليست علماً تدرس من أجل علوم أُخرىٰ في سلسلة العلوم والأفكار بل مطلوبة ذاتاً، ليفهم الإنسان أن للعالم بداية ونهاية وله مبدأ ومعاد، وبدء وحشر. هذا العلم ليس من أجل علم آخر. لكن المقصود ليس أن هذا العلم لا يكون مقدمة لشيء آخر. بل ان العلم الالهي هو مقدمة لأمر آخر وهو العمل، غاية الأمر أن العمل على قسمين أيضاً. عمل الجارحة وعمل الجانحة.

عمل الجوارح بينه أهل الفن في مسائل الفقه والأخلاق وأمثال ذلك، أما عمل الجانحة وعمل القلب الذي هو اعتقاد فانه يطرح في البحوث العقائدية. وإذا أصبح شخص ذا رؤية كونية فهو من أجل أن يكون معتقداً ويكون لديه إقرار بأن للعالم إلهاً، وان هناك حشر ونشرَ. فالعلم النظري رغم انه يؤمن كمال العقل النظري ولكن كمال الإنسان، ليس بكمال عقله النظري فقط. العلم ليس من أجل كمال قوة النظر بل إن العلم هو مَن أجل

كمال إنسانية الإنسان[1] .

الشؤون الإنسانية:

إن لإنسانية الإنسان جناحين وشأنين منفصلين. لو أراد الإنسان أن يبلغ الكمال يجب أن يصبح كاملاً في جناح النظر. ويصبح متكاملاً في جناح العمل أيضاً. عمل القلب هو هدف، وعمل عقل النظر، وهو الفكر والتفكير هو أداة، توضيح الموضوع هو ان الروح لأنها مجردة فان شؤونها تكون مجردة أيضاً، وربما نسجت حجب نورية بينها وأحياناً حجب غير نورية. هناك حجب كثيرة بين شؤون الروح، وهذه الحجب دقيقة ورقيقة إلى درجة، يكون فهم أساس الحجاب ودقته ورقته ليس عملاً سهلاً.

وهنا نذكر مثلاً حسياً لتوضيح المسألة حتى نصل من هذا المثل الحسي إلى ممثل عقلي، عند ذلك يبين ذلك الممثل بالآيات القرآنية حتى يتضح وجود حجب دقيقة ورقيقة بين شؤون النفس.

رواية عن الإمام الصادق:

ذلك المثل الحسي: جاء رجل إلى الإمام الصادق عليه السلام فقال: يا جعفر بن محمد دلني على معبودي. فقال له أبو عبد الله: اجلس، وإذا غلام له صغير في كفه بيضة يلعب بها، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ناولني يا غلام البيضة. فنالوه إياها، فقال له أبو عبد الله: يا ديصاني: هذا حصن مكنون، له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة، فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها. لا يدرىٰ للذكر خلقت أم

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص٧٩.

للأنثىٰ، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس، أترىٰ لها مدبراً؟ فأطرق ملياً ثم قال: أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله، وإنك إمام من الله على خلقه وأنا تائب مما كنت فيه.

العقل العملي والعقل النظري:

أما الممثل العقلي فهو أن للإنسان شأناً باسم (عقل النظر) وهو يفكر بواسطة ذلك الشأن، وله شأن آخر باسم (عقل العمل) حيث يتقبل بواسطة ذلك الشأن. والآيات القرآنية والروايات على قسمين أيضاً؛ لأن الآيات والروايات مفسرة الإنسان، والإنسان لديه هذه الشؤون أيضاً، لذا يجب ان تفهم الآيات هذه الشؤون للإنسان.

قسم النظر يتولى الرؤية والتفكير، وقسم العمل يتولىٰ القبول والسعي والميل والجذبة وأمثال ذلك. كل ما هو عمل يعود إلى العمل، وكان ما هو فكر يرجع إلى النظر. وبين هذين الشأنين حجاب دقيق جداً لا يسمح ان ينتهي النظر إلى العمل مباشرة، والذين خرقوا كل الحجب، خرقت أمامهم الحجب المادية وكذلك خرقوا الحجب النورية.

في المناجاة الشعبانية دعاء بطلب التوفيق من الله (حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة)[1]، عندما تشق الحجب النورية هذه، عند ذلك يصبح النظر والعمل واحداً. عندما ينال الإنسان مقاماً رفيعاً يصبح علمه عين القوة وقوته عين العلم، هما مفهومان، ولكن لهما حقيقة واحدة. إذا وصل شخص إلى هذا المقام، لم يعد هناك جدارٌ بين فكره وسعيه، سواء كان امرأة مثل فاطمة الزهراء عليها السلام أو رجلاً مثل علي بن أبي طالب عليه السلام، لكن إذا لم يبلغ ذلك المقام الرفيع، يكون هناك

---

(١) المناجاة الشعبانية، مفاتيح الجنان.

حجاب رقيق دائماً بين النظر والعمل، وكلما نزل إلى الأسفل تصبح هذه المسافة أكثر وكلما صعد تصبح هذه المسافة أقل.

أحياناً يكون الإنسان عالماً ولكن بلا عمل، وأحياناً هو متنسك كثير العمل وقليل التشخيص، وأحياناً هو عالم بلا عمل وأحياناً جاهل متهتك. أوساط الناس سواء النساء أو الرجال، هناك جدار رقيق بين نظرهم وعلمهم، لذا يفهمون كثيراً من الأشياء ولكن لا يعملون بها. ويتعلقون بكثير من الأشياء لا ينسجم معها عقلهم النظري ولا يؤيدها، ويلتزمون ببعض الآداب والرسوم والعادات والسنن التي لا توافق الفكر، ويفكرون ببعض الأمور التي تنسجم مع عقل العمل، هذا الجدال موجود دائماً بين الفكر والميل في أوساط الناس.

نماذج من تخطي عمل القلب والفكر في القرآن:

ذكر في القرآن الكريم المسافة والحجاب بين عمل القلب، وتفكر الفكر. ويبين بعض النماذج.

النموذج الأول:

﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾[1].

بعد مشاهدة آل فرعون معجزات موسىٰ الكليم عليه السلام الكثيرة أصبح الحق بينا لهم، ولم تكن لديهم مشكلة من حيث الفكر، ولكن من حيث (الذكر) كانوا في مشقة ولم يستعدوا للقبول. ومع انه كان لديهم يقين بأن الحق مع موسىٰ ولكن قلوبهم لم تخضع، ورؤوسهم لم تصقل في الساحة الإلهية المقدسة، كان العلم موجوداً ولكن العمل، أي ميل القلب وعمل الجانحة والقلب لم يكن موجوداً. لذا قال فرعون لموسىٰ الكليم:

---

(١) سورة النمل، الآية: ١٤.

﴿اني لأظنك يا موسىٰ مسحوراً﴾[1] .

قال موسىٰ الكليم عليه السلام :

﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً﴾[2] . أي أن موسىٰ قال لفرعون: إنك أصبحت عالماً وليس لديك أية مشكلة علمية. وقد فهمت ان عملي هو إعجاز وليس سحراً فهمت أن سحر السحرة لا يقابل إعجازي، ولكنك لا تقبل وإنما تصرّ على الهلاك، أنت عالم ولكنك لا تقبل.

النموذج الثاني:

مسألة إبراهيم الخليل عليه السلام عندما حطم الأصنام ﴿فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم﴾[3] عمل على توضيح وتبيين المسألة، فحضر الوثنيون في ذلك المجمع وكان شعارهم هذا:

﴿حرقوه وانصروا آلهتكم﴾[4] .

فقال إبراهيم الخليل:

﴿فأسألوهم إن كان ينطقونَ﴾[5] .

﴿فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون * ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾[6] .

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠١ .
(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٠٢ .
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٥٨ .
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٦٨ .
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٦٣ .
(٦) سورة الأنبياء، الآيتين: ٦٤ ـ ٦٥ .

نكسوا رؤوسهم ليس أنهم خجلوا، بل خجلوا في مقام الاحتجاج وكانوا يقولون لبعضهم: إنهم ظالمون؛ ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾[1] ، الظلم للمبدأ، الظلم لنفس الإنسان الظلم للاعتقاد الصحيح والرسالة الصادقة للوحي وأمثال ذلك. فهموا أن الحق مع خليل الرحمن ولكن لم يقبلوا ذلك.

أن الإنسان إذا أصبح عالماً لا يتخلىٰ أحياناً عن عقيدته الفاسدة، ولا ينجذب للعقيدة الصحيحة. ان جهاز عمل الإنسان ليس تابعاً لنظره دائماً. وإلا لصرف فرعون النظر عن عقيدته الفاسدة السابقة ولقبل الاعتقاد الجديد. ولرفض قوم إبراهيم الشرك الذي كانوا مبتلين به سنين طويلة ولقبلوا العقيدة الحقة التي جاء بها إبراهيم.

إن هذا الجذب والدفع، هذا الاعتقاد والإنكار، هذا الإقرار والانكار. هو عمل القلب. وعمل القلب يرتبط بنفس القلب، وليس بالفكر، لذا ذكر موسىٰ الكليم عليه السلام لفرعون نموذجاً وقال له: إنه إذا اتضحت له الحقيقة من الناحية العلمية فليقبل كلامه، ولكن فرعون لم يقبل. لم يكن قد قبل في القلب وانكر باللسان؛ لأنه عندما تعرض للغرق قال عند ذلك بأنه آمن، وقال الله تعالىٰ:

﴿الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾[2] .

وهذا بمعنىٰ ان فرعون لم يكن آمن أساساً، وأراد الايمان في لحظة الموت فقط، ونموذج آخر قول إبراهيم الخليل: اقطعوا رباط القلوب بهذه الأصنام التي أصبحت بصورة حطب، لكنهم لم يفعلوا، أحياناً لا يحصل

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩١.

قطع ارتباط القلب بالباطل والتعلق بالحق رغم التبيين وإحراز حقانيته، وسره أن هناك حجاباً بين مركز الفكر وهو الجزم ومركز العزم وهو القلب. وليس الأمر هو أن الإنسان يؤمن بكل ما يفهمه، كما أنه ليس كل مؤمن يكون عالماً. رغم انه ليس بدون علم إجمالي أو تقليدي.

انسجام العقل والقلب:

المسألة الأُخرىٰ هي ان كمال الإنسان هو في ان يحول إلى القلب ما فهمه حتى يحلق بجناح القلب وجناح العقل، لا يمكن أبداً التحليق بجناح العقل لوحده، أي أن الفكر هو جناح واحد، كما أنه لا يمكن أبداً السفر بجناح القلب، لأن العمل هو جناح واحد.

والذي هو من أهل السير والسلوك هو من أهل الفكر وأهل الذكر أيضاً، يفهم ويقبل أيضاً. الشخص الذي آمن على أساس التقليد وأصبح مؤمناً على أساس الجهل لا يصل إلى المقصد، رغم انه عالم في بعض طريقه ان الذي يصرف جميع عمره في طريق العلم ويسير ويسافر، ولكن إلى بلاد قريبة لا بعيدة. الشخص الذي يصل إلى المقصد هو الذي يكون محققاً عن طريق الفكر، ويكون متحققاً عن طريق الذكر.

من هنا يتضح ان الإلهيات والفلسفة ليست هدفاً ذاتياً أيضاً بل ليصبح ذا رؤية كونية حتى يؤمن بالتوحيد.

الايمان، عقد القلب والعقل:

وحيث توضح من حيث النظر ان للإنسان شأنين: أحدهما النظر والآخر العمل، وأن الآيات القرآنية أيدت صحة هذا النظر والتقسيم، يجب رؤية هل أن المرأة والرجل متساويان في هذه الجهة أم لا؟ اتضح حتى الآن أن الأساس هو طريق القلب، أي أن كل علم هو أرضية لأجل ان يقبل

القلب.

وفي البحوث الفلسفية إتضح ان للإنسان عقدين: عقد بين موضوع ومحمول القضية، وهذا الانعقاد بعهدة عقل النظر الذي يتولىٰ الفكر ويبحث بصورة تحقيقية محمولات موضوع من المواضيع، فإذا لم يكن المحمول مناسباً للموضوع، يبني القضية سالبة، أي ليس هناك عقد، وإذا كان المحمول من العوارض الذاتية ولوازم موضوع القضية يقيم عقداً بين المحمول والموضوع، لذا تسمىٰ القضية في اصطلاح المنطق (عقد).

إن عمل عقل النظر هو تنفيذ العقد بين الطرفين أي بين الموضوع والمحمول فقط، فإذا كنا نقول باتحاد العاقل والمعقول ـ كما أن الحق هو ذلك أيضاً ـ فان جناح النظر يصبح واحداً مع العلم. إذا انعقدت نفس الإنسان مع العلم في قسم النظر وأصبحت واحدة مع العلم، فعند ذلك تكون قطعت نصف الطريق فقط ويلزم عقد آخر، وذلك العقد الآخر ينعقد بين النفس وبين خلاصة تلك القضية، وليس بين الموضوع والمحمول. العقد بين الموضوع والمحمول يسمىٰ (التحقيق) والعقد بين ذلك الحق (خلاصة التحقيق) وبين النفس يسمىٰ (التحقيق والاعتقاد) وهذا هو (الإيمان).

ان الايمان ليس عمل عقل النظر، بل عقل العمل، يعقد عقل العمل بينه وبين عصارة التحقيق، عقداً ويقول انني معتقد بهذه المسألة العميقة، وهذه هي خلاصة العلم، وهي نور ومتعلق بالنفس إذا كان شخص محققاً ولكن لم يكن متحققاً فهو يعيش بعقد واحد في الحقيقة ويعقد دائماً بين الموضوع والمحمول فقط، ولا يطيع عقل العمل الذي يجب أن يطيعه، ويقوم بشكل متواصل بحل العقد بين النفس وبين عصارة العلم ولا يسمح ان يصل العقد إلى النفس وتصبح النفس معتقدة، بناء على هذا يقطع العمل طريقه، ويقطع النظر طريقه، لذا عندما سمع ذلك السالك هذه الآية

الكريمة:

﴿يا أيتها النفس المطمئنة * ٱرجعي إلى ربك راضية مرضية﴾[1] .

اندهش، وقال: أنا أقول تعالي ولكن هذه النفس لا تأتي، أنا أشكو من نفسي. أي انني اشكو من جناح العمل والجذبة والسعي هذا، أقول تعال، لا يأتي وتعلق بالطبيعة، ﴿اثّاقلتم إلى الأرض﴾[2] . ﴿أخلد إلى الأرض﴾[3] . يسمع هذا النداء أن يقال لكن العقل لا يذهب، العقل يفهم، ولكن الذي يجب ان يذهب هو القلب، والقلب إذا ابتلي بالإخلاد إلى الأرض، لا يسافر. العقل يسمع أمر الرجوع إلى الرب، ولكن القلب لا يرجع.

بناء على هذا فإن هذا الجدال موجود دائماً بين العقل والقلب، بين الذكر والفكر، بين التفكير والسعي، إذا استطاع أشخاص الملائمة بينهما في جبهة الجهاد الأكبر فـ ﴿طوبىٰ لهم وحسن مآب﴾[4] . السالك الجامع هو من أهل الفكر ومن أهل الذكر أيضاً، محقق ومتحقق، عالم وعادل، وإذا لم يستطع الجمع إما أن يسقط أو يقطع قسماً من الطريق فقط.

إن المرأة والرجل وان اختلفا من حيث المركب ـ وهو البدن ـ وان كانا مختلفين من حيث أجهزة المخ، ومن حيث أجنحة الفكر، ليسا متساويين من حيث أجنحة الجذب والميل والانجذاب والعاطفة، ويمكن أن يفكر أوساط من الرجال أفضل من أوساط من النساء، ولكن لا يمكن ان يستطيع شخص إثبات ان أوساطاً من الرجال يطرحون ويقطعون أكثر من أوساط من

---

(١) سورة الفجر، الآيتين: ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٢٩.

النساء طريق القلب، طريق العاطفة، طريق الموعظة، طريق النصيحة، الجذب، السعي والجذبة بصورة أفضل ولا يوجد أي طريق لإثبات هذا الموضوع.

أهمية طريق القلب في القرآن والروايات:

نظراً لأن القرآن ليس كتاب علم فقط، بل كتاب نور[1] وهداية[2]، لذا فانه لا يقتصر على توجيه الفكر بل يسعىٰ بصورة مباشرة وغير مباشرة إلى مخاطبة القلب.

بيان المسألة هو أنه إذا أراد شخص تعليم مسألة لشخص، فالمستمع في الحقيقة هو الجناح الفكري والعقل النظري لذلك الشخص، والمدرس والمتكلم أو الكاتب له عمل مع الجهاز الفكري للقارىء أو السامع، وبعد ذلك يتخذ قارىء أو سامع المسألة التي فهمها قراراً على أساس ذلك، ويعمل بالشكل الذي يقبله (أوالذي لا يقبله) لذا قد يكتب الإنسان كتاباً فيه أثر علمي فقط أو يقول كلاماً فيه أثر فكري، ولكن القرآن ليس كذلك، فالقرآن في كثير من الآيات يتعامل مع القلب بمباشرة وفي بعضها يتكلم مع القلب بصورة غير مباشرة.

تلاحظون أن شخصاً إذا كتب موضوعاً جيداً بقلم جيد يتأثر القارىء بسرعة، أو إذا قال أحد الصالحين والمتقين موعظة فإن أثرها يكون أعمق؛ لأن هذا الأخير يتعامل بلغته مع فكر المستمع، وكذلك مع ذكر وجهاز قبول المستمع، إذا قرأ شخصاً شعراً جيداً يعرف مضمونه بدقة ويؤديه بلحن جيد فانه يؤثر سريعاً، عندما يكون كل من المضمون والتلفظ واللافظ جيداً

---

(١) ﴿فآمنوا باللهِ ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير﴾ سورة التغابن، الآية: ٨.

(٢) ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين﴾ سورة البقرة، الآية: ٢.

وحسناً، فإن المستمع عند الاستلام يستلم بجهاز الفكر وبجهاز الذكر والموعظة والجذب أيضاً. أو إذا كانت هناك مثلاً لوحة ملونة بلون جيد، أو مكتوب عليها شعر أو مضمون نثري جيد فإن المشاهد يتأثر بسرعة؛ لأن المضمون رفيع يقنع العقل والكيفية جميلة تعين جنبة العمل.

لذا قال تعالىٰ لموسىٰ وهارون عليهما السلام:

﴿فقولا له قولاً ليناً﴾[1].

أي تكلموا جيداً وتكلموا كلاماً جيداً أيضاً، القول اللين لا يعني الضعيف، لا يعني الموهون أو الموهوم. بل يعني المحكم والظريف، لذا أقام موسى الكليم برهاناً قطعياً، وتكلم أيضاً ببيان مليح، وبين كذلك مسألة ﴿ربنا الذي أعطىٰ كل شيء خلقه ثم هدىٰ﴾[2]، التي تتضمن ثلاثة أنظمة من النظام الداخلي، الفاعلي والغائي في جملة قصيرة. هي قول محكم، وتكلم مع فرعون بصورة موعظة وسأله إن كان راغباً في أن يقول كلاماً ينفعه؟ هذا هو القول اللين.

على هذاالأساس قيل لنا أن لا ننظر في المسائل الفكرية إلى القائل.

«أنظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال»[3].

أما في مسائل القلب والمسائل التربوية فقد أوصينا أن نرى من القائل، ولا نسمع أي كلام من أي شخص، قال تعالىٰ:

﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾[4].

---

(١) سورة طه، الآية: ٤٤.

(٢) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٣) كنز العمال، ح٤٢٢١٨ وميزان الحكمة، ج٦ ص٤٨٥.

(٤) سورة عبس، الآية: ٢٤.

في سورة عبس آخر هذه الآية ورد أن الإمام السادس قال:

(علمه الذي يأخذ عمن يأخذه)[1].

وكذلك طبقاً لما ذكره المرحوم الكليني عندما سألوا المعصوم عليه السلام مع من نجلس؟ من أي عالم نستفيد؟ لم يقل (انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال)، بل قال: اجلسوا إلى الشخص الذي:

(يذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله)[2].

ظرافة الميل القلبي في المرأة:

القرآن الكريم سعىٰ لأن يتكلم مع الإنسان عن طريق الموعظة التي لها ارتباط مباشر بالقلب، وكذلك عن طريق الحكمة التي لها ارتباط غير مباشر بالقلب وإذا لم تصل قناة العقل والفكر إلى دهليز الدخول إلى القلب والذكر فلا فائدة لها، والنساء أكثر نجاحاً من الرجال في قسم القلب والميل والجذبة، لذا تؤثر المناجاة في النساء أكثر من الرجال، أو على الأقل مثل الرجال، وتؤثر الموعظة في المرأة أكثر من الرجال أو بمساواة الرجال.

ليس الكلام فقط عن حجم مخ الرجل، بل الكلام أيضاً عن ظرافة قلب المرأة، ان المرأة تبكي أسرع بسبب أن جهاز قبولها أكثر عاطفية، وأهم طريق، هو طريق الذكر الذي مقدمته المرونة.

في القرآن الكريم عدة طوائف من الآيات بهذا الشأن، بعض الآيات تتعلق بالعقل والتفكر التي يرافقها ﴿أفلا تعقلون﴾[3] أو ﴿أفلا

(١) أصول الكافي، ج١، ص٥٠.
(٢) أصول الكافي، ج١، ص٣٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٥.

تتفكرون﴾[1] . وبعضها يتعلق بطريق العمل. حيث قال: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾[2] .

هذا هو العقل العملي، أحياناً يجمع هذين الاثنين معاً، كما أنه يجمع التفكر والتعقل إلى جانب بعضهما ولكن ليس لدينا في القرآن سورة يكرر فيها الفكر. ولكن بعض سور القرآن يكرر فيها الذكر. في سورة القمر كرر تعالى القول:

﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر﴾[3] .

هذا المذكر يطلب متذكراً. القرآن كتاب تفكر وفكر وفيه آيات كثيرة تدعونا إلى التفكر والفكر، ولكن لا يقول: هل هناك شخص ليصبح عالماً؟ بل يقول هل يوجد أهل ذكر؟ لم يقل هل يوجد أهل فكر، لأن الفكر هو مقدمة للذكر.

بناء على هذا لا يمكن ان يقول شخص إن طريق القبول في المرأة أقل من الرجل. إذا كنا علماء ونتصور أن سعينا إلى الحوزة والجامعة كافٍ ونقول: نحن وطريق المدرسة، نحن وطريق الكتاب، نحن وطريق الدرس والبحث والفهم، من الممكن أن يأتي هذا السؤال إلى ذهن شخص، ويقول يجب أن نفكر أعلىٰ من هذا ولنعلم أن الحوزة والجامعة كلتاهما وسيلة حتى يصل الإنسان من التفكر إلى التذكر. عندما يقول الله تعالىٰ إن كتابه هو كتاب ذكر وانه أنزله للتذكر والتذكرة وهل من شخص يتذكر، فهذا بمثابة هل من ناصر لله، يطلب الله تعالىٰ في هذه التعابير هل من متذكر، هل من شخص يكون ذاكراً له؟ عند ذلك نفهم ان المرأة هنا إن لم تقل لبيك قبل الرجل فعلى

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٤.
(٣) سورة القمر، الآية: ١٧.

الأقل يجيبان في وقت واحد.

نرىٰ آل عمران ولدوا من امرأتين، في حال محراب، الله تعالىٰ لم يعط المسيح لمريم في الحوزة أو الجامعة. أعطاها في المحراب، الملائكة لم يتكلموا مع مريم في الجامعة والحوزة، بل تكلموا معها في المحراب. الملائكة لم يتكلموا مع زكريا في المراكز العلمية، تكلموا معه في المحراب. حيث قال:

﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب﴾[1].

هذا المحراب هو حالة حرب. الصلاة هي محل حرب بين العقل والجهل. أحياناً يريد الإنسان النجاة من شر العلم. هذه الحرب تظهر في الصلاة، وفي الصلاة ينجح الإنسان في التخلص من العلم، يتخلص من شر الفهم. هذا الفهم يكون أحياناً علة للشر الذي يقول: (أنا أعلم منه)، أما حين يتخلص الإنسان من شر الفهم، فانه يجعل هذا الفهم مقدمة ويقول هكذا: إلهي فهمت أنك خلقتني من تراب حتى تجعلني متواضعاً لا أن تصب التراب على رأسي، الفهم أساساً هو من أجل أن يمشي الإنسان، لا من أجل أن يوجد داعية في الإنسان. إذ أخذ الذكر بزمام الفكر، فهذا العلم هو:

«نور يقدمه الله في قلب من يشاء»[2].

إذا لم يستطع الذكر أن يأخذ زمام الفكر ـ معاذ الله ـ فهذا هو التفاخر في العلم والتكاثر في المعلومات الذي يؤدي لأن يقول شخص إنني أفهم أفضل منه، تأليفي أفضل، تلاميذي أكثر، درسي له راغبون أكثر، أشرطة كاسيتي تؤخذ أكثر، وهذه في الحقيقة أفاعٍ وعقارب تنفذ إلى النفس.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

(٢) حديث نبويّ.

بناء على هذا لا يمكن القول أبداً: لأن حجم مخ المرأة أقل مثلاً: فانهن يختلفن عن الرجال في الرقي والحصول على السعادة. ليس هكذا، بل الذي يتألم أكثر، يصل إلى المقصد اسرع ولا يمكن القول أبداً: إن انين الرجل أكثر من المرأة، ولا يمكن القول أبداً إن ذكر وتذكر وتذكرة هذه المجموعة أكثر من تلك المجموعة، فالنتيجة انه عدا الناس الذين ذكرهم وفكرهم واحد، سواء الزهراء أو علي عليهما السلام فان الأوساط من الناس قسمان. بعضهم طريق نظرهم أقوىٰ. وبعضهم طريق علمهم أقوىٰ.

تناسب الطريق مع سالكه:

بالنظر لأن طريق الوصول إلى المعارف الإلهية متعددة، فمن الممكن أن يصل سالكوا هذا الطريق كل واحد من طرق خاصة إلى المقصد (كلّ ميسر لما خلق له)[1] . إن الله تعالىٰ سهل قطع الطريق لكل سالك.

﴿ثم السبيل يسره﴾[2] .

إي أن الله يسر قطع الطريق، ولكن لا أن يكون قطع جميع الطرق سهلاً لجميع السالكين، بل ان قطع كل طريق يكون سهلاً لسالك ذلك الطريق. (كل ميسر لما خلق له)، وكما أن في صنف الرجال، يختار كل شخص طريقاً خاصاً، كذلك صنف المرأة أيضاً، كل امرأة تختار طريقها الخاص، ومن الممكن أن يكون الطريق الذي تختاره امرأة صعباً على امرأة أُخرىٰ ، وكذلك من الممكن أن يكون قطع طريق النساء صعباً على الرجال، وقطع طريق الرجال غير سهل على النساء أيضاً.

إذا كان جهاز وحجم مخ الرجل أكثر من جهاز وحجم مخ المرأة،

---

(١) سفينة البحار، مادة يس ص٧٣٢.

(٢) سورة عبس، الآية: ٢٠.

وافترضنا ان الرجل أقوى من المرأة في مسائل التفكير والفكر، فلا يكون الرجل أيضاً أقوىٰ في مسائل أُخرىٰ، لأن طريق الفكر ليس هو كل الطرق فطريق الذكر، والمحبة والموعظة، ان لم يكن أقوىٰ من طريق الفكر والتفكر، فهو ليس أضعف منه.

هذان الطريقان لاءم بينهما القرآن، ولو أراد شخص أن يصبح قوياً في طريق الجزم والنظر، يجب أن يصل إلى العزم والتصميم أيضاً، حتى يصبح حياً، كما ان الشخص إذا كان قوياً في طريق العزم والتصميم، يجب ان يصل إلى الجزم والفكر أيضاً، حتى يصل إلى حياة أفضل. القرآن يلائم دائماً بين جزم النظر وعزم العمل؛ إذ من مجموع العلم والعمل، والعلم والقوة، تنشأ الحياة، فالشخص الذي يعلم فقط لا يعتبره القرآن حياً، والشخص الذي يعمل فقط ولكن ليس على أساس الفكر، لا يعتبره القرآن متمتعاً بحياة طيبة، حياة طوبىٰ هي في ظل العلم الصادق والعمل الصحيح، وللتلاؤم بين هذين الجناحين يطرح القرآن طريق العمل عندما يعرض المسائل العلمية، وعندما ينصب طرق الذكر والموعظة للسالك، يقدم له أيضاً طريق التفكر والفكر، وإذا كان سالكوا هذا الطريق بعضهم أقوىٰ في النظر، وبعضهم في العمل فالنتيجة أن من الممكن أن يصلا إلى مقصد واحد، وطريق القلب وهو طريق الموعظة والذكر والنصيحة، إذا لم يكن للنساء أقوىٰ فيه من الرجال فلسن أضعف، إذن لا يمكن القول إن المرأة في المعارف أقل من الرجل، لأن المعارف ليست محدودة وخاصة بالفكر.

ارتباط القلب والعقل في منظار القرآن:

من أجل ان يربط القرآن الكريم طريق القلب وطريق العقل معاً، ويعتبر العلم معبراً للعمل، يطرح السيرة العلمية للأنبياء، وكذلك سيرة الحكماء الصالحين بهذا الشكل، وهي أنهم يتعلمون ويعلمون العلم مقروناً

بالعمل، فمثلاً إبراهيم الخليل عليه السلام حين يعتزم طرح المسائل التوحيدية يقول:

﴿لا أحب الآفلين﴾[1].

إن ملة إبراهيم الخليل حصلت على رسمية بحيث أن القرآن دعانا إلى تعلم ملته، فقال:

﴿ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل﴾[2].

قام إبراهيم عليه السلام بعرض طريق البصر وطريق القلب بدلاً من استدلال النظر وذلك في مقام طرح التوحيد وطرد الشرك فهو لا يدخل عن طريق البرهان ولا يقول: انه نظراً لأن الكوكب يتحرك والمتحرك يريد محركاً، وإذن لا يمكن أن يكون المتحرك رباً، بناء على هذا فمحركه هو الرب، لأن برهان الحركة أو برهان الحدوث أو برهان الإمكان وأمثال ذلك هي مجموعة أفكار نظرية.

أسلوب إبراهيم عليه السلام:

فسر الحكماء أصحاب الرأي والمتكلمون والمحققون وأهل التفسير كل منهم أسلوب خليل الرحمن هذا بنوع من التفسير، بعضهم قال: إن مقصود إبراهيم الخليل عليه السلام هو إقامة برهان الإمكان، أي بالنظر لأن الكواكب (القمر والشمس) هي ممكنة والممكن محتاج إلى الواجب فهي إذن ليست واجبة. بعض آخر قالوا: إن مراد إبراهيم عليه السلام، هو برهان الحدوث ولأن هذه الكواكب حادثة لذا تتطلب محدثاً. وبعض آخر قالوا:

---

(١) ﴿فلمّا جنَّ عليه الليل رأىٰ كوكباً قال هذا ربي فلمّا أفَلَ قال لا أحب الآفلين﴾. سورة الأنعام، الآية: ٧٦.

(٢) سورة الحج، الآية: ٧٨.

الاستدلال عن طريق برهان الحركة، أي لأنها متحركة، تتطلب محركاً، وبعض طبقوا ذلك على برهان النظم، أي أن السير المنتظم للشمس والقمر والكواكب وأمثالها هو دليل على وجود الناظم.

هذه البراهين كل منها بمقدارها مقبولة وتحظى بالاهتمام في محلها، ولكن ظاهر الآية لا ينسجم مع أي منها، ليس مراد الآية أن إبراهيم عليه السلام عرف الله بالطرق المذكورة، بل إبراهيم الخليل يقول **﴿إني لا أحب الآفلين﴾** أي أن الله هو الذي يكون محبوباً، والشيء الآفل ليس محبوباً، فالشيء المحكوم بالأفول ليس رباً. ان الشمس والقمر ليسا رباً لأنهما ليسا محبوبين، وليس من ناحية أنهما ممكنا الوجود. هنا جعل المحبة الحد الوسط للبرهان، والمحبة ليست عمل العقل، بل هي عمل القلب، وإبراهيم عليه السلام أصبح خليل الرحمن من ناحية انه عرف الله عن طريق المحبة، وليس عن طريق الفكرة، فهو عرف الله بالذكر والرغبة وليس بالفكر.

في الكتب العقلية لا يطرح مثل هذا الكلام أبداً بأن يقول إنسان: إني لا أحب الآفل، ويقول آخر إني أحبه. القرآن الذي هو كتاب نور ربط طريق القلب مع طريق العقل وعمل على انسجامهما، لذا نرىٰ انه في معرفة الله التي هي أبرز معرفة دينية، مزج وعلم طريق القلب وطريق الفكر معاً.

سيرة لقمان الحكيم في التعليم والتربية:

قال تعالىٰ بشأن لقمان:

﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾[1].

وقال تعالىٰ:

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٢.

﴿يـؤتـي الحكمـة مـن يشـاء ومـن يـؤت الحكمـة فقـد أوتـي خيـراً كثيراً﴾[1] .

ومن جمع هاتين الآيتين يستنبط ان لقمان الحكيم كان يتمتع بخير كثير . والله تعالىٰ يعدّ كل الدنيا متاعاً قليلاً ويقول :

﴿قل متاع الدنيا قليل﴾[2] .

ولكنه يعدّ الحكمة خيراًكثيراً وليس متاعاً كثيراً. وعندما يتكلم عن كلمات لقمان الحكيمة ، فإن أول كلام ينقله عن لقمان هو :

﴿يا بنيّ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾[3] .

ويقيم تعالىٰ، البرهان أحياناً لنفي الشرك، ويقول :

﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾[4] .

هذا هو طريق الفكر والنظر لإقامة التوحيد، وأحياناً نقرأ ﴿لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ وهذا طريق الذكر وطريق العمل، طريق العقل العملي والحكمة العملية، يقول: إن الشرك سيّىء لأنه ظلم وعلى خلاف العقل العملي والقلب، وليس مذموماً لأنه على خلاف العقل النظري فقط. ورغم ان القرآن الكريم يذكر الشرك بوصفه مسألة بدون البرهان، أي أن الشرك لا يقبل الإثبات أبداً، والذي يدعيه لا يستطيع أبداً الاستدلال على ذلك.

﴿ومـن يـدعُ مـع الله إلهـاً آخـر لا بـرهـان لـه بـه فـإنمـا حسـابـه عنـد

---

(1) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.
(2) سورة النساء، الآية: ٧٧.
(3) سورة لقمان، الآية: ١٣.
(4) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.

ربّه﴾[1].

أي أن الشرك هو أمر باطل وغير مبرهن. أما لقمان الحكيم فيثبت في تعليمه وتربيته مسألة نفي الشرك عن طريق عقل العمل وحكمة العمل، أن قبح الظلم وحسن العدل لا يرتبط بعقل النظر والفكر بل يرتبط بطريق الذكر، لأن مسألة الميل إلى العدل والنفور من الظلم ليس لها ارتباط بطريق الفكر. من الممكن أن يدرك الفكر قبح الظلم أو حسن العدالة، أما تلك الجنبة من النفس التي لها ميل إلى العدل ونفور من الظلم فهي جنبة العمل والقلب وليس جنبة العقل والفكر.

فاتضح ان القرآن الكريم يربط هذه الطرق معاً حتى يستطيع الشخص جبران ضعف طريق العقل بقوة طريق القلب. وإذا أصبح شخص أقوى في طريق العقل والفكر يستطيع ترميم ضعف طريق القلب في ظل قوة العقل. لأن كل شخص مناسب للطريق الذي اختاره، من هنا لا يمكن القول: إن صنفاً من الناس مقدم على صنف آخر، أو أن ما يتمتعون به أكثر.

خلاصة البحث:

الشيء المهم الذي شغل الأذهان هو أن المرأة ضعيفة في مسائل التفكير، حيث ان هذا الأمر قد بين بالتفصيل، وهو انه إذا سلم أن الرجل يفهم أفضل من المرأة، فانه لم يثبت ان المرأة تقبل الموعظة أقل من الرجل، وللوصول إلى المعارف الالهية، هناك طريقان، أحدهما طريق الفكر والآخر طريق الذكر، أحدهما طريق العقل والآخر طريق القلب، وإذا لم يكن ميل واتعاظ المرأة أكثر من الرجل، فهي ليست أقل من الرجل. أحياناً يكون لدى الإنسان فكر قوي حتى يتحرك القلب في ظل الفكر، وأحياناً يتحرك

(1) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.

القلب، وفي ظل حركة القلب يحصل الفكر. والقرآن الكريم نصب كلا الطريقين أمامنا. غاية الأمر ان القرآن لأنه كتاب جاء شاملاً للعالم ولكل الناس وكل الرجال والنساء ولكل جيل في كل عصر ومصر وفي كل الظروف، لذا يعطي قيمة لطريق القلب وطريق الفطرة أكثر من طريق الفكر.

هناك كثير من الأشخاص لم يدخلوا المدرسة والحوزة والجامعة. ولكن طريق القلب مفتوح لهم، طريق الموعظة والعمل مفتوح لهم. قد تقتضي قراءة كتاب والمشاركة في الدرس والبحث سناً خاصاً، والإنسان عندما يصل إلى سن أكثر، لا يكون لديه سعة صدر للتدريس والدراسة، وقد ينسىٰ مع كبر السن أبسط المسائل، فلا يكون في مقدوره قراءة صفحة من العبارات بالقوانين الأدبية والقواعد العربية، مع أنه درس سنوات هذا الفرع أو قام بتأليف وتصنيف، فطريق المدرسة طريق يبدأ في أواسط العمر أو أوائل العمر وفي أواخر العمر ينغلق، أما طريق القلب فهو مع الإنسان، أي ان طريق القلب من المهد إلى اللحد، أن حديث (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد) قسمه المهم هو طريق القلب وليس طريق الفكر، إن ما قيل من أن الطفل عندما يولد يُقرأ الآذان في أُذنه اليمنىٰ، والإقامة في أُذنه اليسرىٰ، فهذا هو طريق القلب، وليس طريق الفكر، وان ما ورد من توصية لنا بأن نتلفظ بالذكر مرتباً، فهذا أيضاً يمثل طريق القلب. إن عدم سعة صدر الإنسان للدراسة والبحث في سن الشيخوخة، وقبوله جيداً للصلاة والدعاء والمناجاة، فهذا هو طريق القلب، وإلا فطريق الحوزة ليس من المهد إلى اللحد، وطريق الجامعة ليس من المهد إلى اللحد، الطريق الذي يستمر من المهد إلى اللحد هو طريق الموعظة والذكر والمناجاة والعمل الصالح. الإنسان يفهم كثيراً من الأشياء بالعمل، وفي هذا الطريق إذا لم تكن النساء أنجح من الرجال، فهن لسن أقل من الرجال نجاحاً، وأنتم ترون في مسألة

الأذان أنه ليس هناك فرق بين صنف البنت والولد. في مسألة المناجاة والموعظة أيضاً، والصيام ثلاثة أيام كل شهر لم يذكر فيه أن الرجل يصوم والمرأة لا تصوم، فأهم طريق وهو طريق العمل والعبادة مشترك بينهما وكما طرح في البحوث السابقة فان الإنسان يدرس لا من أجل أن يصبح عالماً، بل يدرس من أجل ان يصبح عاملاً. ولهذا العمل طريقان، أحدهما عن طريق الدرس الذي يشجع الإنسان على العمل، والآخر يشجع على العمل عن طريق العاطفة والموعظة. ان قوله تعالىٰ:

﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾[1].

يدل على أن هذا أساس، وهذه العبادة مهيئة دائماً، لكل إنسان، في كل سن وفي كل ظرف وفي كل صنف بدون فرق بين المرأة والرجل.

السلامة أم الصلابة:

الشبهة الأُخرىٰ الموجودة في هذا الصدد هي انه إذا كان بدن المرأة والرجل غير متساويين من حيث القوة والضعف، والبدن مركب والروح راكب، فالمركب إذا كان أقوىٰ فالراكب يقطع الطريق أسرع وأفضل.

لحل هذه الشبهة يجب الالتفات إلى أن المقصود من القوة ليس المعنىٰ الذي يتصوره البعض، لأنه يشاهد ان كثيراً من الأشخاص هم أقوياء من الناحية البدنية ولكن الأعمال الصعبة في المجتمع ليست بعهدتهم، لأنهم ضعفاء من حيث الإدراك. لهذا ليس كل من له بدن وساعد أقوىٰ يفكر أفضل. الكلام هو عن السلامة وليس الصلابة، أي إذا كان بدن المرأة والرجل سالماً فانهما يستطيعان إدراك المسائل جيداً. اما الصلابة فهي شيء آخر، أن المعيار في الوصول إلى الكمالات هو سلامة البدن وليس صلابة

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

البدن. والأعمال الشاقة تسلم إلى الأشخاص الذين يتمتعون بهم أكبر من صلابة البدن، أما الأعمال الظريفة في المجتمع فتسلم إلى الأشخاص الذين لديهم حصة أفضل من ظرافة البدن.

أنجح طريق لرقي الإنسان:

اتضح في البحوث السابقة ان الإنسان يستطيع الرقي من عدة طرق، أحدها طريق الفكر والآخر طريق الذكر، والنساء إذا لم تكن انجح من الرجال في طريق الذكر والمناجاة وهو طريق القلب والعاطفة والرغبة والمحبة. فبالتأكيد هن بمستوىٰ الرجال، وذلك الطريق هو طريق أساسي. أما طريق الفكر فهو طريق فرعي، لأنه ثبت حتى الآن أن طريق الفكر ليس طريقاً واسعاً كثير من أفراد المجتمع وان كانوا من سكان المدن ولكنهم لم يوفقوا للتعلم والدرس والبحث، أما طريق الموعظة وطريق القلب والمناجاة فهو مفتوح للجميع. طريق المدرسة ليس مفتوحاً للجميع، (علم الدراسة) ليس ممكناً للجميع، ولكن (علم الوراثة) ممكن للجميع (وعلم الفراسة) ممكن للجميع.

علم الدراسة هو ان يشترك الإنسان في المجامع العلمية، يدرس ويصبح فاضلاً وعالماً، يتعلم اصطلاحات وبعد مدة يدخل في مرحلة الشيخوخة وينسى بالتدريج كل ما قرأه في المدرسة. في مرحلة الفتوة يتعلم شيئاً فشيئاً، وفي مرحلة الشباب يحفظ هذه المعلومات في عدة أيام وبعد أن يدخل مرحلة الشيخوخة ينسىٰ بالتدريج. هذه المراحل الثلاث هي المقاطع الثلاثة التي نظمت للجميع في القرآن الكريم. قال تعالىٰ:

﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾[1].

---

(١) سورة الروم، الآية: ٥٤.

﴿ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة﴾[1] .

الإنسان يكون أحياناً في أسفل الجبل وأحياناً يصعد إلى قمة الجبل وأحياناً يعود من قمة الجبل إلى مكان آخر في أسفل الجبل، هذه المقاطع الثلاثة نظمت في القرآن لكل امرأة ورجل، الأول هو ضعف ثم قوة ثم ضعف آخر، الأول مرحلة التعلم، ثم مرحلة الحفظ ثم مرحلة فقدان جميع المعلومات. (كل ما قرأته ذهب عن ذاكرتي) هذه العبارة هي حقيقة علم الدراسة ولكن هل ان علم الوراثة وعلم الفراسة هكذا أيضاً؟

(اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ـ عزّ وجلّ)[2] .

هل تذهب عن ذاكرة الإنسان في مرحلة الشيخوخة كذلك؟ أم أنها تصبح أكثر تفتحاً في طريق الشيخوخة؟ إن قولهم:

(العلماء ورثة الأنبياء)[3] .

هل هو بمعنىٰ أن العلماء ورثة الأنبياء عليهم السلام في علم الدراسة الذي ينسونه في مرحلة الشيخوخة؟ أم ان لديهم علم الوراثة الذي يصبح في مرحلة الشيخوخة أكثر تفتحاً؟ إن علم الوراثة هو الذي يظل.

عدم الفرق بين الرجل والمرأة في علم الوراثة

هل هناك فرق بين المرأة والرجل في علم الفراسة وعلم الوراثة؟ وهل الكلام هناك هو عن البدن القوي والمتصلب أم عن القلب السليم؟ يلزم ان نقطع ثلاث مراحل الواحدة تلو الأُخرىٰ حتى نصل إلى نتيجة مطلوبة. بيان هذه المراحل الثلاث أنه يجب أن نصل من الصلابة إلى سلامة البدن ونصل

---

(١) سورة الروم، الآية: ٥٤.
(٢) أصول الكافي، ج١ ص٢١٨.
(٣) أصول الكافي، ج١ ص٣٢.

من سلامة البدن إلى سلامة القلب لنحصل على نتيجة. جاء في القرآن الكريم:

﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من اتىٰ الله بقلب سليم﴾[1].

لم يقل في الآية (ببدن سليم) فضلاً عن أن يقول: (ببدن صلب)، يجب أن نبعد عن الأذهان الكلام عن الصلابة. بعض العمال البسطاء الذين يعملون في قطع الخشب وقلع الحجر وأمثال ذلك يتولون أمور المجتمع القوية، ولكنهم عاجزون عن إدراك أبسط المسائل.

قوة سلامة القلب في المرأة:

إن صلابة البدن ليس لها تأثير في الوصول إلى كمال الروح، بل ان القول السديد مؤثر وليس القول الشديد (عليكم بالسديد لا بالشديد).

قال تعالىٰ في القرآن:

﴿وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم﴾[2].

اتضح لنا انه يجب عدم توقع فكر متين من صلابة البدن بل ان سلامة البدن تثمر الفكر، وعليه فان الفكر ليس وحده، يستطيع حل مشكلة، بل ان القلب يحل المشكلة أيضاً. وسلامة القلب مهمة، والله تعالىٰ عرف بعض الرجال بعبارة مريض القلب. ولكنه لم يذكر مرض قلب المرأة.

في البحوث السابقة وضمن بيان آيات من سورة الأحزاب أشير إلى أن الله تعالىٰ يخاطب نساء النبي:

﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً

---

(١) سورة الشعراء، الآيتين: ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) سورة الإحزاب، الآيتين: ٧٠ ـ ٧١.

معروفاً﴾[1] .

أمر النساء ان يتكلمن بأسلوب جيد وبمضمون جيد، لكي لا يطمع الرجال الذين قلوبهم مريضة. هذا المرض هو في قلب الرجل حيث ان المرأة لا تطمع عندما تسمع صوت الرجل، المرأة تتمتع بسلامة القلب، إلا ان يظهر فيها مرض التبرج.

صغرىٰ القياس هي أن النساء يتمتعن من حيث النوع بسلامة القلب. كبرىٰ القياس هي ان أصحاب القلوب السليمة سالمين **﴿إلا من أتىٰ الله بقلب سليم﴾** النتيجة هي ان النساء انجح. ان قوله:

هذا الكتاب **﴿وشفاء لما في الصدور﴾**[2] ، ثم قوله إن الطمع في غير المحرم هو مرض ثم قوله: إن هذا المرض هو في الرجل ولم يأت في هذا السياق كلام عن مرض المرأة يتضح منه أن النساء سليمات القلوب من هذا المرض الخاص.

إذا عرفنا واقعنا وأننا في أي حد، لم نطرح أساساً كثيراً من هذه الإشكالات والأسئلة حول أنفسنا، لأن جميع المشكلة هي تكمن في أن ما هو أساس خافٍ علينا، ولم ندرك من هو الأساس حقيقة وما هي الوظائف ولماذا خلقنا، وما هو معيار القيمة، عند ذلك أصبح من الممكن ان نتوهم أن من هو أكثر صلابة هو أكثر نجاحاً؟ في حين أن حقيقة الأمر ليست هكذا.

ملائكة الرحمة والغضب:

ان الله تعالىٰ عرف نفسه بالأوصاف القوية وبالأوصاف اللينة والرأفة والرحمة أيضاً، والملائكة التي خلقها مجموعتان: مجموعة هم مظهر

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.
(٢) سورة يونس، الآية: ٥٧.

الصفات الشديد لله، كم يفهم من هذه الآية الشريفة:

﴿خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه * ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾[1].

كما قال تعالىٰ في مقام تعريف هذه المجموعة من الملائكة:

﴿عليها ملائكة غلاظ شداد﴾[2].

هذه المجموعة من الملائكة هم مشعل غضب الله ومظهر غضب الله. ومجموعة أُخرىٰ من الملائكة هم مظهر رأفة الله، هؤلاء رؤوفون، رحماء، ومتواضعون بحيث انهم ليسوا فقط مثلاً أعلىٰ لرحمة الله، بل في الدنيا يضعون أجنحتهم حتى يجلس طلاب العلم عليها لا على الأرض[3]، وعندما تضع الملائكة اجنحتها حتى يجلس طلاب العلم، هنا لا يكون الكلام على المرأة أو الرجل.

(وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم)[4]

هذه الأجنحة هي التي ذكرت في القرآن الكريم في أول سورة فاطر:

﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾[5].

عندما يمدح الإمام علي عليه السلام أجنحة الملائكة يقول:

---

(١) سورة الحاقة، الآيات: ٣٠ ـ ٣٢.
(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٣) نهج البلاغة، فيض الإسلام، الخطبة ١٨٣.
(٤) أصول الكافي، ج١ ص٣٤.
(٥) سورة فاطر، الآية: ١.

(أولي أجنحة تسبح جلال عزّته)[١] .

طبعاً ليس ذلك التسبيح العام الذي لدىٰ جناح كل طائر. فحتى الطير الذي يحرم لحمه يسبح جناحاه بحمد الله.

﴿وان من شيء إلا يسبح بحمده﴾[٢] .

وحتى الحيوان نجس العين يسبح لله.

﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾[٣] .

ولكن علة أنه ذكر في نهج البلاغة خصوصية لتسبيح اجنحة الملائكة وقال: إنها أولي أجنحة تسبح جلال عزته هي كونه تسبيحاً خاصاً، هذا النوع من الملائكة هم مثل رحمة الله. الناس على نوعين أيضاً، بعضهم مظهر الصلابة، وبعضهم مظهر الرحمة. هل الملائكة الذين هم مظهر الصلابة أرقىٰ ام الملائكة الذين هم مظهر الرأفة والرحمة؟ واضح ان للملائكة درجات أيضاً، لأنه قال في القرآن ﴿أصحاب النار﴾[٤] أي الملائكة الذين يتولون مسؤولية جهنم، وفي محل آخر:

﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾[٥] .

هؤلاء في نفس الوقت الذي هم في جهنم ويتولون مسؤولية جهنم وأهل جهنم ولكنهم (في روضة من رياض الجنة) ومجموعة أُخرىٰ الملائكة الذين هم مثل رحمة ورأفة الله. وهؤلاء في الجنة.

---

(١) نهج البلاغة، الفيض، الخطبة ٩٠.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.
(٣) سورة النور، الآية: ٤١.
(٤) سورة المدثر، الآية: ٣١.
(٥) سورة المدثر، الآية: ٣١.

المرأة مظهر رأفة الله:

الناس كذلك بعضهم مظهر صلابة الله. مشغولون بالحرب مع الكفار في ميدان الحرب، والبعض الآخر هم مظهر الرأفة يعملون خلف الجبهة. أي أن كل صنف يقوم بعمله الخاص به. لأن الذي يشحذ السلاح له وظيفة، والذي يتولىٰ معالجة مجروح الحرب له مسؤولية أُخرىٰ.

هناك فريق يدخلون صحراء المحشر يوم القيامة راكبين ـ منهم فاطمة الزهراء عليها السلام. ولا يأتي الجميع راكبين، فما هو هذا المركب؟ ما هو هذا الركوب، ما هي ميزة ذلك الذي يأتي راكباً؟ مجموعة من الناس يأتون راكبين، ولكن هل هو مثل ركوب البعير الظاهري أو مثل ركوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على البراق ليلة المعراج (خطوُها مدّ البصر)[1] . على أية حال كثير من مسائل المعراج وكثير من مسائل القيامة يجب أن يعترف الإنسان أنه لا يعرفها، ليس كل هذه تكون شبيهة بالمسائل الدنيوية، كثير من الأشياء قابلة للفهم والإدراك، وكثير من الأشياء غير واضحة.

بناء على هذا مع إدراك هذه الحقائق فانه لا تطرح هذه الأسئلة وهي انه لماذا لم يعط المقام التنفيذي الفلاني للمرأة، والمقام التنفيذي الفلاني للرجل؟ وغير ذلك. إن ما هو معيار الفضيلة ليس المقام التنفيذي، فأي مقام دنيوي يكون أرقىٰ من الخلافة الظاهرية؟

وجوه الخلافة:

للخلافة وجهان، الوجه الصادق لها مر في البحوث السابقة انه ليس قابلاً للنصب ولا قابلاً للغصب، لا الناس يستطيعون ان ينصبوا شخصاً بعنوان خليفة، ولا يستطيع متجبر، ان يغصب هذا المقام باستخدام القوة.

(١) بحار الأنوار، ج١٨، ص٣٣٣.

والذي شكا من غصبه أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الشقشقية كان مقاماً تنفيذياً ومسؤولية وخلافة ظاهرية، ولم يكن مقصود الإمام غصب تلك الخلافة التي هي محتوى **﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾**[1] حيث ان هذه الخلافة ليست قابلة للغصب أساساً، كما انها ليست قابلة للنصب. بل أن هذا المقام والخلافة يجب أن يعطيها الله.

أما الوجه الآخر للخلافة، فهي الخلافة الظاهرية (أي الحكومة والعمل التنفيذي). هذا العمل من بين الأعمال التنفيذية هو في صدر الأعمال، بأن يصبح شخص خليفة المسلمين، ولأنه ليس هناك مقام أعلىٰ من هذا من حيث التنفيذ ـ فإذا تولىٰ أمثال مالك الأشتر منصباً فهو بعنوان نيابة ـ فالخلافة هي أرقىٰ مقام من حيث المناصب التنفيذية. وقد بين أمير المؤمنين عليه السلام جيداً موقعها وقيمتها وقال: إن نفس هذا المقام بمعزل عن مسألة إحقاق الحق وإبطال الباطل يعد من الدنيا، والدنيا ليست إلا (عراق خنزير في يد مجذوم)[2] كما قال بشأن هذا المقام (كعفطة عنز)[3]. فيلزم أولاً توضيح أن الأعمال التنفيذية لا تأتي بالجنة، حتى يقال لماذا ليس للمرأة سهم في هذا القسم وللرجل سهم أكثر. ان قولهم (لو كان العلم منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس)[4] هو علم الفراسة، البعض احتمل انه إشارة إلى أهل الفراسة وليس فارس التي تقع في جنوب إيران، ان الذين هم أهل الفراسة(اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله عز وجل)[5] هم الذين يصلون إلى الثريا. في علم الفراسة وعلم الوراثة ليست هناك أية ميزة لصنف

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.
(٢) نهج البلاغة. فيض الإسلام، الخطبة ٢٢٨.
(٣) نهج البلاغة، فيض الإسلام، الخطبة ٣.
(٤) بحار الأنوار، ج١، ص١٩٥.
(٥) الكافي، ج١، الباب٢٨.

على آخر. وإذا كان هناك امتياز في حيث علم الدراسة فان بعض الأقسام تفهمها النساء أفضل وتعمل أفضل. وقسم آخر، يفهمه الرجال أفضل ويعملون أفضل، وهذا الفرق هو من أجل إيجاد نظام أحسن.

دور الدعاء في الوصول إلى التكامل:

ان الكمالات الإنسانية تحصل في ظل عبادة واطاعة الله، والإطاعة والعبادة مشتركة بين المرأة والرجل فقطع طريق التكامل يكون مشتركاً.

كمثال، الدعاء والمناجاة هي من أفضل طرق التكامل الإنساني، لأن كمال الإنسان هو في أن يتقرب إلى الله وهو العلم المحض والوجود الصرف والقدرة الصرفة، ويتخلق بأخلاق الكامل المحض، وطريق التخلق بالأخلاق الإلهية والتقرب إلى ذلك الكمال، هو بعهدة العبادات والأدعية.

في هذه الأدعية ليس هناك أي فرق بين المرأة والرجل، وقد جوزوا وعلموا أهم المناجاة والأدعية للنساء والرجال بالتساوي لم يقل للرجال: إقرأوا دعاء كميل أو المناجاة الشعبانية ولا يحق للنساء مثل هذه الأدعية.

إذا كانت امرأة انجح من رجل في قراءة المناجاة الشعبانية أو الجوشن الكبير يكون نجاحها في التكامل أكثر من الرجل أيضاً، وفي البحوث السابقة اتضح أن نصيب النساء من مسألة المناجاة والموعظة إذا لم يكن أكثر من الرجال فليس أقل، لأنها كائن عاطفي أرق قلباً، ورقة القلب والعاطفة والشعور لها دور مؤثر في طريق الله. بناء على هذا فالنساء تستطيع ان تكون أنجح من الرجال في هذا الطريق.

التقوىٰ معيار الكمال وحصن المؤمن:

في القرآن الكريم هناك أساس هو معيار الكمال، وتوزن سائر

الكمالات في ضوء ذلك الأساس وهو، التقرب إلى الله، الذي ذكر بعنوان التقوىٰ.

الإنسان المتقي لديه وقاية، الإنسان المتقي مسلح بدرع، التقوى التي تعطي الإنسان رؤية عرفانية، الإنسان المتقي لا يذنب، والرؤية الكونية للإنسان المتقي تحفظ هذا الدرع كاملاً في المحل المناسب في اتجاهه الخاص، فإذا رآىٰ خيراً في العالم يوجه الدرع فوراً لنفسه لكي لا يسند الخير إليه بل يرتبط بالله مباشرة، حتى يتضح أن هذا العمل، هو عمل الله، وإذا ظهر شر وآفة وضرر في العالم هذا يوجه الدرع مباشرة نحو الله لئلا يسند هذا الشر والسوء والقبح والضرر والآفة إلى الله.

فرق الخير والشر في الانتساب إلى الله:

سورة النساء تبين أمر المتقين:

﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً *، ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلنك للناس رسولاً وكفىٰ بالله شهيداً﴾[1] .

أي: رغم ان الخيرات والشرور كلها من عند الله، وجذورها التكوينية من الله، ولكن فرق الخير والشر هو أن الخير (من عند الله) وكذلك (من الله)، أما المصيبة والشر فهي (من عند الله) ولكن ليست (من الله).

إذا كان الشخص متقياً يعطيه بيده وقاية ودرع نظرة كونية جيدة مثل بستاني ماهر يسعىٰ ويجهد من أجل تنمية الورود وفي يده حاجز حديدي كلما

---

(١) سورة النساء، الآيتين: ٧٨ ـ ٧٩.

وجد ماء عذباً ومناسباً لا يسمح للأوساخ ان تذهب ويسد الطريق حتى يسقي الورد هذا الماء العذب والشفاف والزلال، وكلما جاء ماء مالح ومر ومضر يضع الحاجز الحديدي باتجاه الورود ولا يسمح بأن يصل الماء المالح أو الماء الملوث والطيني إلى بستانه، المتقون لهم في رعاية مزارعهم نفس هذا العمل الذي للبستاني الماهر في رعاية الورود، أي أن البستاني المتقي في يده قفل الماء، وعندما يصله ماء حلال هو سهمه يحفظه من التوسخ والتلوث، ولا يسمح أن يصرف الماء الحلال والمباح بلا فائدة ويضع الحاجز حتى لا يذهب إلى محل آخر ويصب في مزرعته ومرتعه فقط، وإذا وصله ماء هو سهم الآخرين وليس مباحاً وحلالاً له، يضع قفل الماء هذا حاجزاً ولا يسمح بان يجري في بستانه، ويسعىٰ ان يذهب هذا الماء الذي هو سهم الآخرين إلى مزارعهم.

الإنسان، سواء في تغذية الورود ـ في المسائل الطبيعية ـ أو في تغذية مزرعته ـ في مسائل الحلال والحرام ـ في يده قفل ماء وهذا القفل هو الوقاية الذي هو درعه، والإنسان صاحب الرؤية الكونية مسلح بهذا الدرع التوحيدي، وعندما يرىٰ خيراً. فضيلة، بركة، رحمة، نعمة، ونجاحاً يجعل هذا الدرع فوراً حائلاً؛ لئلا تعتبر هذه الخيرات والبركات ناجمة من نفسه ولئلا يصبح مغروراً ويقول إنني أصبحت مصدر حدوث هذه الخيرات والبركات، أو أنني الذي صمت في شهر رمضان وقمت بالعبادات في النهار والأدعية في الليل وأمثال ذلك؛ لأنه **﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾**.

وإذا تعرض إلى ضرر، آفة، معصية، فشل، حرمان وأمثال ذلك يوجه هذا الدرع فوراً نحو الله لئلا تسند هذه المصيبة والآفة إلى الله، بل ينسبها إلى نفسه ويقول: أنا الذي لم أكن أهلاً للنجاح. وهذه تسمىٰ التقوى، التقوى ليست في أن لا يذنب الإنسان، لا يكذب، هذه أعمال ابتدائية ويقال للمسلم

في الصف الأول والثاني: لا تنظر إلى غير المحرم، لا تكذب لا تغتب، والتي هي من المسائل الابتدائية والأولية في الدين، ويجب أن لا يقال للشخص الذي ارتفع سنه وتعرف على هذه المسائل الإسلامية عدة سنوات، لا تكذب، لا تغتب لا تنظر إلى غير المحرم وأمثال ذلك.

إن هذه صغيرة للشخص الذي هو من أهل الطريق، يجب أن يصل إلى حد يصبح فيه من أهل التقوىٰ أي أن يمتلك وقاية ودرعاً في اليد، وتكون رؤيته الكونية رؤية كونية واعية، وهذا المعنىٰ تعلمه للناس الأدعية وخاصة أدعية شهر رمضان المبارك وفي هذا التدرع الذي هو رؤية كونية عرفانية ليس هناك أي فرق بين المرأة والرجل، بل إن المناجاة والدموع والأنين التي هي رأسمال وسلاح هذا الطريق لدى النساء أقوىٰ من الرجال.

سلاح المؤمن في الجهاد الأكبر:

اتضح في بحوث أُخرى ان الشخص إذا أراد ان يحارب عدواً خارجياً يجب أن يستفيد من الحديد، من الدبابة، ولكن إذا أراد ان يحارب العدو الداخلي يجب ان يستفيد من (الآه) وليس من الحديد. يجب الاستفادة من (الآه) في مكافحة الهوىٰ؛ لأن الحديد لا يستطيع ان يعمل في ذلك المكان. الإنسان الذي يجلس على دبابة أو مقاتلة أُخرىٰ حديدية الهيكل لا يستطيع ان يحارب الهوىٰ، بل إن الشخص الذي يعيش إلى جانب الدعاء والمناجاة، هو مسلح حيث ورد في دعاء كميل:

«وسلاحه البكاء»[1].

أي ان أسلحة الإنسان في محاربة العدو الداخلي، في جبهة الجهاد الأكبر هي الآه وليس الحديد، البكاء وليس السيف، والسلاح الحاد والمفيد

---

(١) مفاتيح الجنان، دعاء كميل.

في الجهاد الأكبر هو تهذيب النفس والأنين، وهذه الأسلحة لدى النساء أكثر من الرجال.

في طريق تهذيب النفس سلح الله سبحانه النساء أكثر من الرجال، لأن البكاء له مبادىء، الأنين والبكاء ليس في كل شخص، كثير يجلسون في مجالس عزاء سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام، ولكن ليس لديهم ذلك الفن والإدراك في أن يبكوا، وعلى فرض ان لديهم إدراكاً، فان رقة القلب ليست فيهم، حيث ان تحصيل رقة القلب، ليس عمل كل شخص وليست الفضيلة التي يحظىٰ بها كل شخص، على هذا فرأسمال الجهاد الأكبر هو البكاء. (وسلاحه البكاء) وهذا السلاح المفيد أعطاه الله تعالى للجميع، ولكن النساء أكثر تسلحاً من الرجال، الشخص الذي ينكسر قلبه بسرعة ويبكي، لماذا لا يئن في طريق تهذيب النفس.

في دعاء أبي حمزة الثمالي الذي هو من أكثر أدعية شهر رمضان المبارك تفضيلاً، يدعو الإمام السجاد عليه السلام الله تعالىٰ (وأعني بالبكاء على نفسي)[1].

أعني أن أفهم أفضل وأئن أفضل، أعني أذا انتهت دموعي بأن تخرج الدموع مرة ثانية؛ لأن الأنين هو السلاح الوحيد في الجهاد الأكبر، وهذا الأنين لدىٰ النساء أفضل من الرجال، في أية آية قرآنية وفي أية رواية جاء أن الرئاسة أو قيادة القوات المسلحة وأمثال ذلك يؤدي إلى الدخول إلى الجنة، هذه هي أعمال تنفيذية هي وظيفة، هي أمانة وليست طعمة، فإذا لم تكن المرأة متواجدة في الأقسام المختلفة للأعمال التنفيذية أو مسائل الجبهة والجهاد والأقسام العسكرية، لم يدل ذلك على أن يكون سهماً أقل من

---

(١) مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي.

الرجل في التقرب إلى الله.

بناء على هذا يجب أن تكون النساء عارفات بالحق؛ لأن الله أعطى هذا السلاح لهن أكثر من الرجال، كل ما في الأمر أنه يجب عليهن صرف هذا في محله.

البكاء في محله:

أحياناً يحمل شخص سيفاً في يده ولكنه يضرب به صخرة، في حين أن هذا السيف الحاد يجب ان يضرب به العدو، أحياناً أيضاً يبكي شخص، ولكنه يبكي من أجل الدنيا، قلبه رقيق ومن أهل الأنين والبكاء، ولكنه يئن في غير محله، التعاليم الدينية من أجل أن يستعمل الإنسان هذا السلاح في محله.

يقول للرجال: هيئوا أسلحة واستعملوا الأسلحة في محلها، ويقول للنساء: إن الله اعطاكن أسلحة، غاية ما في الأمر استعملنها في محلها. يجب أن يتحمل الرجال مشقتين والمرأة مشقة واحدة، مثل بلد غير مسلح في الحرب ويقال له اكتفي وهيّيء أسلحة، ثم استعلمها في محلها، ولكن لا يقال للبلدان التي وصلت حد الاكتفاء الذاتي في انتاج السلاح أن تتسلح، بل يقال لديك سلاح ولكن استعمليه في محله.

من هنا يقول الإمام السجاد عليه السلام: (فما لي لا أبكي، أبكي لخروج نفسي، أبكي لظلمة قبري، أبكي لضيق لحدي»[1].

فيتضح ان الإنسان ما لم يبكِ لا ينجو، وهذا البكاء هو سلاح الإنسان أيضاً، وهذا السلاح اعطاه الله للجميع، ولكن اعطاه النساء أكثر من الرجال، وقال لهن ان يستعملن هذا السلاح في محله.

(١) مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي.

فنحن عندما نلاحظ ان الإمام السجاد عليه السلام يسأل من الله توفيق البكاء ويدعو الله أن يعينه بالبكاء على نفسه، فسر ذلك هو أننا نواجه عدواً أقوى، عدواً في نفس الدار، وهو الهوىٰ، ومن أجل أن يتضح هل ننتصر في هذه الحرب أم نخسر، يجب أن يكون كل كلام يقوله الناطق باسمنا معياراً لنا، الفم هو ناطق باسمنا، إذا قال شخص انني اعمل ما أريد، وأقول كل ما أريد، يتضح أنه فشل وأسر، كيف يكون الإنسان عبد الله، ثم يقول: انني اعمل ما أريد، وأقول ما أريد، هذا الذي يتكلم هو الشيطان وهو ناطق باسم الشيطان.

ولكن الإنسان إذا وصل إلى درجة بحيث يقول: كل ما أراده الله، أقوله، واطيع كل ما أراد الله. يجب أن يكون شاكراً؛ لأنه ناطق باسم الملائكة والأنين لازم من أجل الانتصار في جبهة الجهاد الأكبر، القوة لا تفيد شخصاً، فهي خارج حدود القلب والحرب، هي في داخل القلب، والقبضة القوية والأموال والمقام ليست لها علاقة بميدان القلب والنفس، في مكان تقع حرب، وهو لديه مقام في مكان آخر، هذا ليس قابلاً للطرح أساساً، الحرب في القلب يلزمها سلاح واحد وهو انكسار القلب في محضر الله، وفي هذا السلاح، النساء أنجح من الرجال. يجب أن تجرب النساء عدة أيام ويقطعن هذا الطريق حتى ترى ان بإمكانهن ان يكن أسوة للمجتمع.

وفي البحوث السابقة اتضح أيضاً ان منطق القرآن هو ان المرأة الجيدة هي نموذج للناس الجيدين وليس فقط نموذجاً للنساء.

التقرب إلى الله أساس سائر الكمالات:

كل كمال يذكره الله تعالى في القرآن، يعتبره فرع تقرب إلى الله. حتى العلم، حتى الفقه والأصول، التفسير، الفلسفة والعرفان التي هي من أفضل

العلوم الإسلامية، يعتبرها فرع تقرب إلى الله.

هل العلم نفسه هو كمال وهل القرآن الكريم الذي يعتبر العالم أفضل من الجاهل ويقول: **﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾**(١).

يبين أصلاً من أصول دستور الدين أم هو ملحق لأصل لآخر؟ في الجواب يجب القول: إن هذا ليس أصلاً، بل هو ملحق، الفرق بين الأصل والملحق هو أن الأصل مستقل والملحق يكتب في آخر الأصل.

في إحدىٰ آيات سورة الزمر هناك أصل وملحق الأصل هو الأنين والضجة والتقوى والبكاء والعبودية في محضر الله تعالىٰ، وذيل هذا الأصل، هي مسألة العلم.

﴿أمَّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾(٢).

والقرآن يطرح أولاً أصلاً ويقول: هل إن الذين يعبدون في الليل يستوون مع الآخرين؟ هل أن الذين هم من أهل الركوع والقنوت والخشوع والتواضع والعبودية في ساحة الله تعالىٰ. يستوون مع الآخرين؟ الذين يرجون رحمة الله ويقلقون على مستقبلهم هل يستوون مع الآخرين؟ ثم يقول في آخر هذا الأصل بعنوان ملحق: هل يستوي العالم وغير العالم؟.

يتضح أن المقصود هو العلم الذي يكون ملحق ذلك الأصل، أي القنوت والخضوع والعبودية في ساحة الله، والأنين ليلاً، رجاء رحمة الله وخشية عقابه. هذا أولاً، ثم مسألة العلم ثانياً، ولو لم يكن ذلك الأصل فهذا

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

العلم ليس أكثر من وبال.

(رُبّ عالم قد قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه).[1]

أمير المؤمنين عليه السلام يبين أنه رب عالم قد قتله جهله، عالم ولكنه ليس عاقلاً، ولأنه ليس عاقلاً، فهو جاهل - أي الجهل مقابل العقل وليس الجهل في مقابل العلم - فرغم انه عالم، لكنه خسر في جبهة جهاد الداخل وهلك. (رُبّ عالم قد قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه) العلم ليس بتلك الاستطاعة، بل العقل والعقل يظهر بالأنين.

فإذا اعتبر القرآن. العلم بوصفه ميزة وفضيلة، يعتبر هذا ملحق ذلك الأصل.

يمكن ان يكون هناك فرق بين المرأة والرجل في المسائل العلمية، ولكن في مسألة الأنين والبكاء، إن لم تكن المرأة أكثر نجاحاً، فهي ليست أكثر حرماناً، **﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾**. ثم **﴿قل هل يستوي الذين يعلمون﴾** هذه الآية الكريمة تشخص التقوىٰ وتعطي للإنسان العارف درعاً، لم يقل: إن الذي يعبد آناء الليل يخاف من الله، بل ينسب الرجاء إلى الله والخوف إلى عاقبة عمله لم يقل: (يحذر ربه ويرجو رحمة ربه)؛ لأن الله كمال محض والكمال المحض ليس لديه خوف.

ورد في دعاء السحر:

(اللهم إني أسألك من بهائك بأبهاه)[2].

كل هذا الدعاء هو جمال، وبما أن الله تعالى كله جمال، فلا محل

---

(١) نهج البلاغة، الفيض، الحكمة ١٠٤.

(٢) مفاتيح الجنان، دعاء السحر.

للخوف حتى يخاف شخص من الله، لذا تعطي الآية درعاً بيد الإنسان وتقول: إذا رأيت جمالاً وجه هذا الدرع نحوك حتى لا يسند الجمال إليك. ويصل مباشرة إلى الله، وإذا رأيت خوفاً أو سمعت كلاماً عن جهنم وجه هذا الدرع فوراً نحو الله لئلا يُنسب الخوف إلى الله، الإنسان يخاف من عاقبة عمله وإلا فالله هو جمال محض (كل جمالك جميل)[1]

الخوف العقلي والنفسي:

إذاً الكلام عن ﴿**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوىٰ * فإن الجنة هي المأوىٰ**﴾[2]، فالمقصود هو الخوف العقلي وليس الخوف النفسي، الخوف العقلي هو أن الإنسان عندما يذهب إلى محل عظيم يخاف خوفاً عقلياً ويشعر بالحقارة والصغر، أحياناً يسافر الإنسان لوحده في صحراء ويخاف من اللص والسارق والحيوان المفترس هذا الخوف هو خوف نفسي ولن يدخل أحياناً إلى الحرم المطهر لثامن الحجج ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ ويخاف، وهذا هو خوف عقلي، أي يشعر بالصغار، الخوف العقلي هو عين المحبة. في دعاء أبي حمزة الثمالي نقرأ:

(اللهم أني أسألك أن تملأ قلبي حباً لك وخشية منك)[3].

وكما أن صفات الله تعالىٰ عين بعضها البعض وعين ذاته، كذلك صفات العبد الكامل التي هي مظهره هي عين بعضها البعض وعين ذاته، ولكن مع هذا الفرق وهو أن الصفات في العبد الكامل، ممكنة، وعينيتها إمكانية، وفي الذات المقدسة الواجبة، صفاته واجبة، وعينيتها وجوبية أيضاً، لذا ورد في هذا الدعاء (اللهم إني أسألك أن تملأ قلبي حباً لك

---

(١) مفاتيح الجنان، دعاء السحر.
(٢) سورة النازعات، الآيتين: ٤٠ ـ ٤١.
(٣) مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي.

وخشية منك)، حتى يتضح أن الخشية خشية محبة لا خشية خصام. أحياناً يخاف الإنسان من العدو، وأحياناً يخاف من الصديق، هنا المحبة هي عين الخشية، هذه الخشية هي عين تلك المحبة.

العلم النافع:

إذا طرح العلم بوصفه فضيلة فان العلم فرع وأصله هي التقوىٰ، من هنا يتضح ان العلم الذي أمر الله تعالىٰ رسوله ﷺ بطلب زيادته، إذ قال:

﴿وقل ربّ زدني علماً﴾(١).

يقصد به العلم الذي يكون نافعاً. ونفع العلم هو في ظل التقوىٰ.

بعض العلوم ليست مفيدة في الدنيا فقط، بل تزدهر في البرزخ والقيامة أيضاً، وبعض العلوم لها جنبة عملية ودنيوية فقط، إذا استفاد الإنسان منها في الدنيا بشكل صحيح فهي مفيدة، وإلا فنفس العلم يرحل بعد الموت مثل علوم الزراعة، والبيطرة والطرق والبناء المعماري وأمثال ذلك؛ لأنه ليس في الجنة محل للزراعة حيث تنمو الشجرة في كل مكان يريده المؤمن، وفي كل مكان يريده تفور عين.

﴿عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً﴾(٢)

ولكن معرفة الله واسماء الله، معرفة مواقف القيامة وأمثال ذلك تزداد ازدهاراً في القيامة. العلم الذي يكون مفيداً للمجتمع البشري. تحصيله إما واجب عيني أو واجب كفائي في الدين، ولكن الأهم من الكل هي المعارف الإلهية التي قال الله تعالىٰ لرسوله: **﴿وقل رب زدني علماً﴾** نموذج هذا العلم علمه له وقال:

---

(١) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٢) سورة الإنسان، الآية: ٦.

﴿فاعلم انه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾[1] . ليس هناك أعلى من علم التوحيد.

(التوحيد، ثم الجنة)[2] .

ولكن هذا العلم إلى جانب طلب المغفرة وإلى جانب ذلك الدعاء، وهذا ليس من أجل ان العلم هو هدف أصيل، بل لأن الاعتقاد التوحيدي هو أصل؛ لأنه نفسه عمل ويهيىء أرضية ذلك الاستغفار ﴿فاعلم انه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾[3] . وبمناسبة هذه الآية الكريمة ورد:

(خير العلم. التوحيد) و (خير العبادة، الاستغفار)[4] .

في هذه الناحية أيضاً ليس هناك امتياز بين المرأة والرجل، بل ان النساء أكثر نجاحاً في أقسام الدعاء.

مقام الأم الرفيع في القرآن:

عندما يطرح الإسلام احترام الوالدين، يطرح اسم الأم منفصلاً وبالاستقلال، من أجل تكريم مقام المرأة، ومع انه تعالىٰ يقول:

﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً﴾[5] .

وقال تعالىٰ:

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.
(٢) بحار الأنوار، ج٣، ص٣.
(٣) سورة محمد، الآية: ١٩.
(٤) أصول الكافي، ج٢، ص٥١٧، الباب ٣٦.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً﴾[1] .

﴿وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلا إيّاه وبالوالدين إحسانا﴾[2] .

وقال تعالىٰ :

﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾[3] .

ولكن مع كل هذا التكريم المشترك، عندما يريد ان يذكر مشقات الوالدين، يتكلم على مشقة الأم، لا على مشقة الأب، فقوله :

﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾[4] .

نرىٰ انه تعالىٰ يتكلم على مشقات الأم ثلاثين شهراً. ففترة الحمل والولادة وفترة الرضاعة صعبة على الأم. ويذكر كل هذه كشرح لخدمات الأم. وفي هذا القسم من القرآن لا تسمعون الله تعالىٰ يقول : إن الأب تحمل مشقة.

بناء على هذا فان الآيات القرآنية الواردة في مسألة معرفة حق الوالدين على قسمين : قسم من الآيات يبين معرفة الحق المشترك للوالدين، وقسم آخر هي الآيات التي تخص معرفة حق الأم، وفي المحل الذي يبين القرآن الكريم حكماً خاصاً بشأن الأب فهو من أجل بيان الوظيفة فقط. مثل :

---

(١) سورة الاحقاف، الآية : ١٥ .
(٢) سورة الإسراء، الآية : ٢٣ .
(٣) سورة لقمان، الآية : ١٤ .
(٤) سورة الاحقاف، الآية : ١٥ .

﴿وعلى المولود له رزقهن وكسهوتهن بالمعروف﴾[1] .

ولكن حين الكلام على التكريم وبيان الجهود، يذكر اسم الأم بالخصوص.

الوظائف التربوية للمرأة:

هناك مجموعة مسؤوليات تربوية بعهدة الأم، محروم منها الأب، المرأة لديها مجموعة مسؤوليات لمدة ثلاثين شهراً على الأقل، والرجل ليس لديه هذه. والله سبحانه يتكلم مع المرأة خلال هذه الثلاثين شهراً كلاماً لا يتكلمه مع الرجل. هناك وظائف وأوامر وتوجيهات مقررة للمرأة في مدة ثلاثين شهراً ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ الحد الأقل لفترة الحمل ستة أشهر ـ وأكثره تسعة أشهر ـ وسنتين أيضاً يرضع هذا الطفل في حضن الأم فيصبح المجموع ثلاثين شهراً.

﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾[2] .

في هذه الثلاثين شهراً التي يتغذىٰ الطفل فيها من الأم مباشرة، الأم مسؤولة عن حفظ شخصين، ولها تكليفين، أحدهما لها والآخر للطفل. الأب موظف في أصل النطفة ان يأكل حلالاً، وإذا ابتلىٰ في ما بعد بحرام فليس له ارتباط قريب بتربية الطفل، لأن الغذاء الحرام للأب يهضم في معدة الأب. أما غذاء الأم ففي معدتها يتبدل إلى لبن ويتغذىٰ به الطفل.. هيٰ موظفة ان تعطي للطفل حلالاً وان تأكل هي حلالاً. هذه ترتبط بالأغذية الجسمانية.

أما في الأغذية الروحانية فكذلك أيضاً، إذا خطرت للرجل خاطرة

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

سيئة، فكر بخيال وهوىٰ سيّىء فيؤذي نفسه. خيال الذنب والخاطرة السيئة عند الرجل هي ضد الرجل نفسه، أما الخيال الباطل والحرام والتفكير بالذنب والخواطر المرّة عند المرأة فتكون ضد شخصين.

الآن يجب السؤال: أليس هذا عظمة للمرأة؟ أليست هذه مسؤولية أعطاها الله تعالىٰ للمرأة؟ قال للمرأة إن مسؤوليتها في حفظ خواطرها وأفكارها وعقائدها أكثر من الرجل، الرجل يؤذي شخصاً واحداً والمرأة تؤذي شخصين، لذا عليها مراقبة أفكارها، لأن كثيراً من المسائل تصل إلى الابن عن طريق الفكر.

لماذا مقام المعلم أعلىٰ من مقام المتعلم؟ لأن له وظيفتين، أحداهما إصلاح نفسه، والأُخرىٰ إصلاح الآخرين، أما الآخرون فلهم وظيفة واحدة فقط وهي إصلاح أنفسهم.

إذا عرفت الأم أن أفكارها تؤثر في الطفل فسوف تحرص على أن تعيش أكثر عرفانية في الفكر والرؤية التوحيدية وظيفة الأمومة ليست في ان ترضع الطفل وهي على وضوء فقط وتقول بسم الله عندما تضع الثدي في فم الطفل، فهذه أعمال تنفيذية، وهي مجموعة أعمال ظاهرية وعبادات ظاهرية، بل الدين يقول للمرأة ان تراقب أفكارها أيضاً، كما يوصي الرجل بأن لا يفكر بامرأة أجنبية رآها في شارع أو صحراء، حين مواقعة زوجته، لأن الله مطلع، أحياناً يحرص الإنسان على أن لا يفعل فعلاً سيئاً. هذه هي المراقبة المعروفة، وهناك مراقبة المراقبة، أي يرىٰ ان آخر يراه:

﴿ألم يعلم بأن الله يرىٰ﴾[1].

تارة يقال لنا:

---

(١) سورة العلق، الآية: ١٤.

(عباد الله زنوا أنفسكم قبل ان توزنوا وحاسبوها من قبل ان تحاسبوا)[1] .

وأُخرىٰ يقال: على الإنسان ان يكون منتبهاً إلى أنه مراقب ﴿**ألم يعلم بأن الله يرىٰ**﴾ .

بناء على هذا فمسؤولية المرأة في هذه الشهور الثلاثين هي أكثر من الرجل وكل من كانت مسؤوليته أكثر يكون توجهه إلى الله أكثر في حالة العمل بها، وكل من كان أكثر توجهاً إلى الله فهو أكثر نجاحاً، لذا نلاحظ في القرآن الكريم انه في الوقت الذي يوصي الناس بأن يكرموا الوالدين، يذكر مكرراً اسم الأم؛ لأنها كانت مراقبة ثلاثين شهراً. إذا لم ترتكب الأم عقوقاً في فترة الثلاثين شهراً، لم ترتكب عصياناً، فان أولادها أيضاً لا يبتلون بالعقوق.

هذه هي أوامر علمها الله تعالىٰ للنساء عن طريق الوحي بواسطة النبي كبرنامج خاص لأن تكون النساء مراقبات لأفكارهن إن الأفراد العاديين ليسوا مسؤولين بذلك القدر ولكن الأئمة لديهم مسؤولية أكثر، القادة لديهم مسؤولية أكثر، أفكار المعلم تؤذي مجموعة أو تربي مجموعة، ولكن الآخرين ليسوا هكذا. كل شخص لديه مسؤولية أكثر، إذا نظر إلى هذه المسؤوليات بنظرة تكريم يصبح أقرب إلى الله وفترة المسؤولية لمدة ثلاثين شهراً هذه مكررة للمرأة، من قال إن مقام النساء في الجنة هو أقل من مقام الرجال؟ المنصب والمقام يبلغ بخط، ويعزل بخط.

والمقام الذي يأتي بإبلاغ ويذهب بإنذار يفيد صفحة الورق تلكِ وَلا يفيد الإنسان، وأي مقام ومنصب دنيوي ثابت دائماً، فهذه ليست مقاماً

---

(١) نهج البلاغة، الفيض، الخطبة ـ ٨٩.

حقيقياً.

إذا كان البحث عن الأعمال التنفيذية، يجب أن لا ينظر الإنسان بنظارة الغرب وهو يعيش في الدائرة الإسلامية، يجب أن نقف في برج عالٍ، ونأخذ بنظر الاعتبار الماضي البعيد والمستقبل غير المحدود لنرىٰ هل المرأة أكثر نجاحاً في هذا المسير غير المحدود أم الرجل. إذا لم تكن المرأة أكثر نجاحاً فهي ليست أقل.

وان هذه الأوامر تدل أنها أكثر من الرجل تحت مراقبة الله.

الاختلاف في الحَمل والحِمل:

قد لا تستطيع المرأة رفع حمل يعادل ما يحمله الرجل أو يزيد عليه، ولكن حمل الطفل ليس عملاً سهلاً، البعض حِملهم (بالكسر) قويّ، والبعض أقوياء في الحَمل (بالفتح). الحِمل هو ثقل على الكتف، الحَمل هو ثقل في داخل الإنسان. النساء قويات حَملاً والرجال أقوياء حِملاً، وقد بين القرآن الكريم (الحَمل والحِمل) كليهما[1]. الثقل الذي على الكتف والظهر يسمىٰ حِمل، (حِمل البعير)، والثقل الذي في الداخل هو حَمل، فإذا لم تستطع المرأة ان تكون مثل الرجل في الحِمل. فالرجل أيضاً ليس مثلها في الحَمل، لا يستطيع ذلك ولا يصلح له أساساً، لذا في كثير من هذه المسائل ليس للقرآن كلام مع الرجل، وعندما يعطي للرجل المجال في المسائل التنفيذية، يأمره بمجموعة وظائف ويلزمه بالقيام بها.

أن أهم رأسمال للمرأة هو الانجذاب والمناجاة مع الله. عندما تعرض

---

(١) ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عمّا أرضعت وتضع كلّ ذات حمل حملها﴾ سورة الحج، الآية: ٢.

﴿ولا تزر وازرة وزر أُخرىٰ وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل...﴾ سورة فاطر، الآية: ١٨.

هذه المعارف وتفهمها النساء وتعمل بها، عند ذلك يعرفن أين يصرفن البكاء هذه الذخيرة الإلهية، صحيح أن الجمال هو رأسمال لهن، ويجب أن يصرفنه في محله، الكل يعلم بأنه يجب ان تكون النساء ذوات حجاب، وزكاة الجمال هي العفاف، لكن جمالهن الحقيقي هو الانجذاب نحو الجمال المحض.

(زكاة الجمال، العفاف)[1].

ولكن ما هي زكاة ذلك الأنين والآه ورقة القلب؟ أين يجب صرفه؟ (سلاحه البكاء) هذا يجب ان يعلم أن يبكي في الأدعية والمناجاة ولا يبكي بلا فائدة، هذا الرأسمال لم يعطه الله حتى يبكي الإنسان من أثر التنافس على مظاهر الدنيا واللباس والزينة؛ لأنه من الحيف أن يصرف الإنسان هذه الأسلحة في غير محلها. وفي هذه الأدعية لم يشترط أن يقرأها الرجل ولا تقرأها المرأة، والمناجاة الفلانية خاصة بالرجل وليس للمرأة سهم، ليس هكذا.

إذا جمعنا كل هذه المسائل نرىٰ ان الله تعالىٰ اعتبر المعيار شيئاً، وفي ذلك المعيار تشترك المرأة والرجل. وإذا لم تكن لدىٰ ملايين الأشخاص الدارسين وغير الدارسين اعمال تنفيذية، فذلك لا يعني عدم وصولهم إلى الهدف.

كثير من العلماء والمحققين يقولون: بالنظر لأن هناك أشخاصاً عاملين في الأمور التنفيذية بمقدار الكفاية، فلماذا نقبل نحن بعمل تنفيذي؟ هؤلاء إذا لم يكونوا أكثر نجاحاً في المعارف الدينية وفي خدمة الإسلام والمسلمين، فليسوا بأقل. فيتضح ان التكامل هو في شيء آخر. ونحن

---

(١) غرر الحكم، الفصل ٣٧، الرواية ٥.

نبحث عن الاختلاف في شيء آخر هذه القضية المنطقية نكررها أيضاً، وهي ان ما هو معيار الكمال ليس فيه فرق بين المرأة والرجل، وما هو فرق بين المرأة والرجل، ليس معيار الكمال.

رعاية الله الخاصة للنساء:

النكتة التي يجب الالتفات إليها هي أن الدين يرىٰ للمرأة حساباً خاصاً، في كتاب من لا يحضره الفقيه للمرحوم ابن بابويه القمي ـ رضوان الله تعالىٰ عليه ـ والذي يعد من الكتب القيمة واحد الكتب الأربعة، باب في أبواب الصلاة بعنوان ـ أدب المرأة في الصلاة ـ كيف تقف، كيف تركع، كيف تتشهد، كيف تنهض بما يكون مناسباً لعفافها ـ في نهاية الباب يروي رواية عن الإمام السادس عليه السلام وهي أن المرأة إذا أرادت ان تسبح فلتسبح بأصابعها (فإنهن مسؤولات)[1] ، لعله ليس هناك أمر بشأن الرجل أن يسبح بأصبعه ولكن في هذه الرواية يؤمر بأن تسبح المرأة بأصبعها ـ طبعاً أفضل تسبيح، وعد للتسبيح سواء للمرأة أو للرجل هو التربة الحسينية. ولكن لا يعني ذلك أنه إذا سبح الرجل برأس إصبعه لا يكون مقبولاً، ولكن لم يرد بذلك أمر، أما بشأن المرأة، فعدا ان التسبيح وعد التسبيح بالتربة الحسينية له فضيلة كثيرة، فقد ورد أمر بأن يسبحن برؤوس أصابعهن ، لأن رؤوس الأصابع هذه سوف تكون مسؤولة في القيامة، هذه رعاية من الله للمرأة في أن تحسب عدد التسبيح بإصبعها حتى يقوم أصبعها أيضاً بالعبادة؛ لأن الله تعالىٰ يحشر البدن في القيامة بجميع الخصائص:

﴿بلىٰ قادرين على أن نسوي بنانه﴾[2] .

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٣٧٤، الرواية ١٠٨٩.
(٢) سورة القيامة، الآية: ٤.

هـذه رعـايـة للمـرأة مـن قبـل الله حتـى تنتبـه إلـى أنهـا سبحـت بهـذه الأصابع، عند ذلك لا ترتكب معصية بهذه اليد. صحيح أنها إذا ذكرت الله بالمسبحة تحصل على ثواب ولكن ليس هناك دور لكل الأصابع، وأما إذا استعملت رأس الاصبع في التسبيح فان هـذه الإصبع ورأس الإصبع يقـوم بالعبادة، وإذا كان هذا الموضوع كمثال وتمثيل لا تخصيص وتعيين ـ لأن التعليل له عمومية ـ يمكن الإدعاء بأن الله تعالىٰ كان تأكيده(على أساس هذه الرواية) على أن تكون المرأة بجميع أعضاء بدنها عبدة لله، ولهذا السبب جعلها موضع رعايته ٦ سنوات قبل الرجل.

الله تعالىٰ استقبل المرأة ست سنوات قبل الرجل ـ كما هو في الفقه ـ أوجب عليها الصلاة وأوجب عليها الصيام وأوجب عليها الحج، الأحكام التي لم يطلبها من الرجل قبل البلوغ ويقول بأن هذا الإنسان منشغل باللعب الآن، أوجبها على المرأة واستقبلها، أليست هذه دلالة على فضيلة المرأة؟ إذا لـم نشعر ونستنبط من هـذه الشـواهـد عظمـة المـرأة وأفضليـة المـرأة على الرجل فعلىٰ الأقل يتضح ان للدين اهتماماً خاصاً بالمرأة، طبعاً الأيام التي تحرم فيها المرأة من الصلاة إذا تداركتها بهذه السنوات الست فليس أمامها مشكلة، ولكن يجب ان تدرك المرأة موقفها عند ذلك ولا تفكر بالزينة، ولا تفكر بمسائل الثياب والطعام، ولا تفكر مـاذا لبس الآخرون ومـاذا لبست هي، . هذه المسائل حقيرة بالنسبة للمرأة إذا تربت تربية دينية وفهمت أنها ان لم تكن أفضل من الرجل فهي ليست بأقل. ترىٰ جمالها في شيء آخر، ترىٰ عفتها في شيء آخر، ترىٰ ان الدين يقول بصراحة للرجل اذهب والعب ست سنوات، ولكنه يستقبل المرأة. كما يقال للأطفال في مجمع علمي اذهبوا والعبوا فهنا ليس مكانكم، ولكن يسمح للكبار بالدخول. إن هذا ليس من أجل ان المرأة ناقصة بل من أجل أن المرأة رقيقة، والرقيق يجب الاعتناء به

في ضمن البحوث السابقة أشير إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إن المرأة ريحانة. هذه الزهرة يجب عدم تركها، هذه الزهرة يجب أن تكون بيد البستاني فقط، وبستاني هذه الزهرة، هو الله تعالىٰ. بستاني كل إنسان، هو الله الذي يقول:

﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾[1].

وهو يعلم أية زهرة يحفظها أفضل من أُخرىٰ وقبل أُخرىٰ، وأية زهرة يجب العناية بها أكثر.

هذه الفسائل من الرجال والنساء خلقها الله، وهو يعلم أن بعض الفسائل يجب رعايتها قبل فسائل أُخرىٰ، وتلك الفسيلة التي يجب وضعها تحت رعاية الدين بسرعة هي المرأة لئلا تتلوث، لا سمح الله. وهذا دليل على عظمتها، فهي تعرف عظمتها عندما يقال لها: إن الله يقبلك قبل الرجل بست سنوات، في الوقت الذي يلعب الرجال مثل الأطفال في ميدان اللعب، فان الله قبلك وسمح لك.

إن الرواية المروية عن الإمام الصادق عليه السلام في أن تسبح المرأة برأس أصبعها فـ ((إنهن مسؤولات) تدل على أن جميع أعضاء وجوارح المرأة خاضعة لبرنامج الله تعالىٰ.

تتمة البحث:

أساس العرفان وهو الشهود للواقع وكشف الحقيقة ينشأ من السير والسلوك في درجات الوجود ومراقبة سالكي طريق الوصال ومشاهدة مسير الأسفار المتنوعة، كثير من منجزات العرفان يؤيدها البرهان، كما ان خلاصتهما يراها القرآن جائزة ولائقة وذلك بانسجام مع البرهان المتين

(١) سورة نوح، الآية: ١٧.

والعرفان الصادق. ما يراه العارف هو أن جميع الأشياء تتجدد كل لحظة. وفي هذا التجدد ليس هناك امتياز بين الثابت والسيال، المجرد والمادي، وهدف جميع السالكين هو لقاء الله، كما أن سير جميع المسافرين هو تجليات الله المتنوعة. اختلاف السائرين في اختيار تجلي خاص ونيل اسم خاص الذي يجعل كلاً منهم مظهره الخاص. مجموعة لها انس باسماء الجمال واللطف والعاطفة، وبعض تطبع باسماء الجلال والقوة. لذا حشر الجماليين في الجنة وحشر الجلاليين في جهنم، وفي النتيجة كل منهم يلقىٰ اسماً خاصاً من الأسماء الإلهية ويسكنون تحت ولاية ذلك الاسم.

الآية الكريمة ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾[1]. هي بمثابة رأس فصل في بحث كتاب سفر سالكي طريق الله، حيث يبين في آخر ذلك التقرير عمل السعداء بصورة استلام كتاب الأعمال باليد اليمنىٰ، والالتحاق بنظائرهم وأهلهم، ويبين تقرير عمل الفاسقين بصورة استلام كتاب الأعمال من خلف الرأس، وصياح طلب الموت مع الاحتراق.

ليس هناك أي امتياز بين الموحد والملحد في أصل الكدح والسير والتولد، لكن الملحد يسير دائماً في كثرة، ويسعى من الخلق إلى الخلق ومع الخلق وفي الخلق ولأجل الخلق (أي المادة)، ولا ينظر في كل مرحلة من مراحل سفره إلى هدفه الأصيل ومرافقة الصادق وهو الحق، ولا يطلع أبداً على الوحدة، ولا يخرج الرأس من الكثرة، بل يدور حول نفسه مثل دودة القز ولا يرىٰ خالقه، والنتيجة يصبح مظهر إضلال ويدخل الرأس في جهنم مثل الشيطان المضل. وهو باطن كل كثرة خبيثة، وكل مادة بلا روح. وفي هذا السير السقوطي ليس هناك فرق بين المرأة والرجل؛ لأن التوحيد

(١) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

والالحاد للروح، والروح ليست من صنف الذكور ولا من صنف الإناث.

الموحد الصادق يواصل سيره مع الحق ويعبر جميع مراحل سلوكه في صحابة الحق ولا ينظر أبداً إلى الكثرة بدون شهود الوحدة، ولا تصبح رؤية الخلق حجاب شهود الخالق أبداً، بل يعتبر الخلق آية للحق دائماً ويستفيد استفادة صحيحة من هذه المرآة وينظر جمال الخالق في أنحاء مرايا السماء والأرض، وبالنتيجة يصبح مظهر هداية، ويستقر في الجنة مثل ملك هادٍ، فباطن كل وحدة منزه وداخل كل صورة مع الروح وحيّ. وفي هذ الحركة ليس هناك أي امتياز بين المرأة والرجل، لأن السفر الحقيقي في مراحل التوحيد يكون بعهدة الإنسانية المبرأة من الذكورة والأنوثة.

وقد قسم سالكوا الطريق، والسالكون الشاهدون للغيب والشهود، مراحل السفر إلى أربعة أقسام، حيث للحق حضور في جميع تلك المراحل.

الأول: السفر من الخلق إلى الحق ومن الكثرة إلى الوحدة، **الثاني**: السير من الحق إلى الحق والسفر في بحر الوحدة وشهود أسماء وأوصاف الواحد الأحد، **الثالث**: السفر من الحق إلى الخلق ومن الوحدة إلى كثرة الآثار والأفعال. **والرابع**: السير من الخلق إلى الخلق بصحبة الحق والسفر من الكثير إلى الكثير في صحبة الواحد الأحد. وقد ورد شرح هذه الأسفار الأربعة وحصيلة كل مرحلة والنتيجة النهائية للمراحل الأربع في موطنها المناسب. إن ما هو لازم الذكر هنا: أن المراحل المذكورة تتولىٰ رسم الخطوط العامة للولاية وآثارها الولائية، والمسافرون في هذا السير هم من الرجال والنساء. في هذا الوفد نحو الحق، ليس هناك أي فرق بين المذكر والمؤنث. وما هو مطروح في السفر الثالث والرابع هو الدرجات المتنوعة للولاية والتي ليس فيها أي فرق أبداً بين المرأة والرجل ولا ترتبط بمسألة النبوة والرسالة، أي أن السفر الثالث والرابع يؤمن أيضاً بدون النبوة

والرسالة؛ لأن الرجوع من الحق إلى الخلق والرجوع من الوحدة إلى الكثرة رغم انه لا يرافقه نبوة انبائية وتعريفية ولكن لا يستلزم أيضاً النبوة والرسالة التشريعية. بناء على هذا فإن ما حرمت منه المرأة، أي النبوة والرسالة التشريعية ليست لازمة للعودة من الحق إلى الخلق. وما هي لازمة لهذه العودة (أي النبوة الانبائية والتعريفية) ليس فيها فرق بين المرأة والرجل. وعدم التمييز بين هاتين المسألتين العميقتين صار عاملاً للحكم بحرمان المرأة من السفر الثالث والرابع.

الغرض ان ظهير النبوة والرسالة هي الولاية، وفي الولاية ليس هناك أي امتياز بين المرأة والرجل رغم ان هناك فرقاً بين هذين الصنفين في بعض أثارها التنفيذية وهي النبوة والرسالة التشريعية. المسألة الأُخرىٰ التي ضمن التكرار يمكن انهاء كل نزاع فيها هي انه رغم ان هناك فرقاً بين الرجل والمرأة في النبوة والرسالة التشريعية، أي أن المرأة لا يمكنها ان تصبح نبياً وصاحب شريعة، وهو عمل تنفيذي، والرجل يستطيع ذلك، ولكن بعد ختم النبوة التشريعية فقد أنسد هذا الطريق على الجميع سواء الرجال أو النساء لذا قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد)[1].

من هنا لا تترتب على ذلك الفرق أية ثمرة، الذين يعتزمون إخراج النساء من الساحة السياسية: الاجتماعية، الثقافية والاقتصادية ليس لديهم أية حجة، لأنه إذا كان الحرمان من الرسالة التشريعية نقص فالرجل هو كالمرأة أيضاً محروم بعد ختم النبوة، وإذا كان التمتع بالظهير الأصيل للنبوة، أي الولاية هو مسألة ذات قيمة، وهي حصيلة السير نحو الله. فان

---

(١) نهج البلاغة.

المرأة هي كالرجل تتمتع بهذه الكرامة، وإذا كان المطروح هو توزيع العمل وتقسيم، المناصب التنفيذية بدون اختلاط المرأة والرجل، فالمرأة كالرجل أيضاً صاحبة حق، وإذا كان الكلام عن الاختلاط غير الصائب والتعامل غير المشروع، فالرجل هو كالمرأة ممنوع أيضاً، وإذا كان التقسيم العادل للمناصب التنفيذية، مع الأخذ بنظر الاعتبار قابليات وتقييم خاصية كل صنف من هذين الصنفين هو المقصود، فان كلاً منهما لديه استطاعة تحمل مسؤوليات مناسبة، طبعاً في الأعمال التنفيذية للرجل وظائف أكثر.

يقول القيصري في شرح الفصّ المحمدي من فصوص محيي الدين:

(إعلم ان المرأة باعتبار الحقيقة عين الرجل وباعتبار التعين يتميز كل منهما عن الآخر....)[1]

ولأن أصلهما واحد وليس هناك تمايز بينهما من حيث الحقيقة فجميع المقامات المتصورة للرجل تستطيع المرأة نيلها أيضاً. كما قال الشيخ الأكبر.

(ان هذه المقامات ليست مخصوصة بالرجال فقد تكون للنساء أيضاً، لكن لما كانت الغلبة للرجال تذكر باسم الرجال)[2] .

ولكن هل أن هذه الغلبة تتعلق بالقابلية الذاتية للرجل وعدم قابلية المرأة؟ أم هي من أثر تربية البيئة والأسرة والعادات و.. التي تتطلب بحثاً منفصلاً؟ ان بعض الرجال ليسوا فقط أقل قابلية من الرجال الآخرين، بل أنهم سوف يكونون أكثر نزولاً من بعض النساء أيضاً.

يرىٰ محيي الدين أن سر محبوبية المرأة هو ان الله تعالىٰ منزه عن أن

---

(١) شرح القيصري، ص٤٧٣ ـ ٤٧٨.

(٢) الفصّ الموسوي، ص٤٥٢.

يشاهد بدون تجلي ومظهر وكل مظهر يكون جامعاً أكثر للأسماء والأوصاف الإلهية يدل على الله بصورة أفضل، والمرأة هي أكمل من الرجل في مظهرية الله، لأن الرجل هو مظهر القبول والانفعال فقط، والمرأة عدا أنها مظهر القبول والانفعال الإلهي، فهي مظهر الفعل والتأثير الإلهي أيضاً؛ لأنها تتصرف في الرجل وتجذبه ويحبها، وهذا التصرف والتأثير هو نموذج من فاعلية الله.

من هذه الناحية المرأة أكمل من الرجل. إذا أراد الرجل مشاهدة الله في مظهريته، فشهوده ليس تاماً، ولكن إذا أراد أن يشاهد الله في مظهرية المرأة، يصل شهوده إلى الكمال والتمام، لذا كان النبي ﷺ يحب المرأة وقد قال في الحديث المعروف بأنه حبب إليه من دنيانا المرأة والعطر وقرة عينه في الصلاة[1].

النكات اللازمة التبيين كلام محيي الدين هي عبارة عن:

١ ـ المقصود من المحبة في هذا البحث هو الحب الإلهي وليس الشهوة الحيوانية، حيث قال ابن عربي نفسه: (ومن أحبهن على جهة الشهوة الطبيعية خاصة نقصه علم هذه الشهوة فكان صورة بلا روح...)[2].

٢ ـ المقصود من فاعلية ومنفعلية المرأة يختص بالرجل، أي ان المرأة منفعلة بالرجل وفاعلة فيه، لا أن تكون منفعلة منه وفاعلة في الجنين ـ لأنه تصبح هناك مظهر خالقية الله ولها دور في تنظيم الجنين في الرحم ـ لأن هذه المسألة رغم ان لها أهمية إلا أنها خارج محور البحث الحالي؛ لأن البحث هو في شرح محبوبية المرأة عند النبي ﷺ وكلام ابن عربي في بداية الفص

(١) الفصّ المحمدي، ص٤٧٧ ـ ٤٧٨ شرح القيصري.
(٢) الفصّ المحمدي ص٤٨٠.

المحمدي هو تفسير للحديث المذكور الذي جعلت فيه المرأة والعطر محبوبين عند رسول الله ﷺ.

٣ ـ ما ورد في شرح القيصري لهذا الموضوع أوضح جداً من المسائل التي وردت في سائر الشروح مثل مؤيد الدين الجندي وملاّ عبد الرزاق الكاشاني و. . . .

بعض آخر من كلام محيي الدين في كتاب الفتوحات هو عبارة عن:

١ ـ ظهور المرأة يعتبر من الرجل، لذا لا تصل المرأة إلى درجة الرجل أبداً والآية: ﴿**وللرجال عليهن درجة**﴾ يعتبر تأييداً لهذه المسألة[١]. طبعاً في ظهور المرأة من الرجل مسألة تستحق تحقيقاً وتجديد نظر.

٢ ـ الواصلون نحو الله هم من الرجال والنساء ولا يختص الوصول إلى الله بالرجال[٢].

٣ ـ الحيض الشيطاني الخبيث يجب الاغتسال منه. وجميع أهل الطريقة والرياضة متفقون على ان الكذب هو حيض النفوس (أي الإنسان الكاذب هو حائض). بناء على هذا (الصدق) هو غسل من حيض (الكذب)[٣].

٤ ـ في حالة أن يكون جثماني المرأة والرجل قد تهيئا للصلاة والدفن في القبر وأراد الإمام الصلاة عليهما صلاة واحدة فهل يجعل جثمان المرأة قريب من القبلة ومقدماً ويجعل جثمان الرجل إلى جهته؟ أم بالعكس يجعل جثمان الرجل قريباً من القبلة ويضع جثمان المرأة قريباً منه؟ هنا رأي ابن

---

(١) الفتوحات، الباب السابع، ص٢٨٧ و ٢٤٨ ج٢، تحقيق عثمان يحيىٰ.
(٢) الفتوحات، الباب الرابع والأربعون ج٤ ص١٠٦. تحقيق عثمان يحيىٰ.
(٣) الفتوحات، الباب السادس والستون ج٥ ص٣٩١.

عربي هو أنه بالنظر لأن المرأة هي محل تكوين الطفل وهي أقرب من الرجل إلى المكوّن الحقيقي أي الله تعالىٰ، لذا الأجدر هو أن تقدم المرأة على الرجل وتكون أقرب إلى القبلة حتى يولد طفلها بالفطرة التوحيدية[(١)] .

٥ ـ في تفسير ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. .**﴾ صرح بأن درجة الكمال ليست محجورة بالنسبة إلى النساء والمرأة مشمولة، بشكل من الأشكال بالآية الكريمة، وإن لم يأتِ اسمها صريحاً[(٢)] .

٦ ـ وردت هذه المسألة (أي عدم محجورية المرأة عن الكمال مع ملاحظة تقدم الرجل) في الباب الثاني والسبعين، ج١٠ ص٣٤٨ تحقيق عثمان يحيىٰ.

٧ ـ في الباب الثامن والسبعين يقول: تختلف المرأة عن الرجل في كثير من أحكام الحج، لأنه وان اجتمعا في الإنسادنية لكنهما امتازا عن بعهضما البعض من أثر عروض الذكورية والأنوثية. (أي أن الإنسانية تشكل جوهرتهما والذكورة والأنوثة عارضية).

٨ ـ في الباب المذكور يقول: أحياناً تصل المرأة في الكمال إلى درجة الرجال وأحياناً ينحدر الرجل إلى درجة بحيث يصبح[(٣)] أسفل من المرأة[(٤)] .

٩ ـ يطرح في الباب الثالث والسبعين رجالاً ونساء معروفين وصلوا إلى مقامات منيعة وفي بحث الحافظون والحافظات للحدود الإلهية، وفي بحث الحلم يقول:

---

(١) الفتوحات، الباب التاسع والستون ج٨، ص٨٩.
(٢) الفتوحات، ج٨ ص١٥١.
(٣) الفتوحات، ج١ ص١٤٢.
(٤) الفتوحات، ج١ ص١٤٣.

(ما من صفة للرجال إلا وللنساء فيها مشرب تولاهم الله بالحلم. .).

ثم يطرح بتكريم اسم شمس المُسنّة في صف الأواهين.

وهناك مسائل كثيرة أُخرىٰ يمكن الحصول عليها في كتابات هذا العارف من حيث تقديم خطوط عامة للبحث، ومن ناحية الإشارة إلى المصاديق البارزة لذلك من نساء معروفات التقين بابن عربي أو ذهب هو للقائهن.

نماذج من المقامات العرفانية للمرأة

النساء اللواتي كان لهن ذوق عرفاني ازدهر في الإسلام، واللواتي قلن جملاً وكلمات عرفانية رفيعة، أو نظمن شعراً، كن كثيرات في التاريخ ونشير إلى عدة حالات كنماذج.

رابعة الشامية[1] :

مخاطبة ملك الغيب:

رابعة الشامية هي زوجة أحمد بن أبي الحواري، وفضيلة وكرامة هذه المرأة لم تكن قابلة للإنكار، كان زوجها يقول: عندما نفرش مائدة الطعام، كانت رابعة تقول لي: كُل (فإنها ما نضجت إلا بالتسبيح). ما المقصود من هذه الجملة؟ هل المقصود أنها كانت تسبح أثناء الطبخ ـ مثل الكلام الذي ورد بشأن بعض مراجع التقليد، بأن أمه كانت تقول: لم أرضعه الحليب إلا باسم الله ـ أي أنني كنت أقول سبحان الله أثناء طبخ الطعام؟ أم أن المقصود هو أن هذا الطعام طبخ بالتسبيح؟ وأساساً هل يمكن طبخ الطعام بالتسبيح؟

---

(١) الدر المنثور، ص٢٠١.

أي أنه إذا قال شخص (سبحان الله) يكون الطعام جاهزاً.

في سورة يونس المباركة، جاءت كيفية تناول أهل الجنة للطعام هكذا:

﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾[1].

إن قوله: إن دعوىٰ أهل الجنة هو التسبيح ماذ يعني؟ هذه الكلمة تبين مسألتين، **الأولىٰ**: ان هؤلاء مدعون ويطلبون أمراً، **والثانية**: أنهم يسبحون **﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم﴾**. معنىٰ الجملة الوسط واضح إلى حد ما ولكن ما هي الجملة الأولىٰ والجملة الأخيرة؟ وما هو التناسب الموجود بين الإدعاء والتسبيح والتحميد؟

ما هو مسلم أن هؤلاء كائنات ممكنة ومحتاجة، لذا يريدون غذاءً، ولكن عندما يريد أهل الجنة طعاماً وفاكهة لا يقولون لشخص: هيىء لنا فاكهة، أو يدخلون إلى البستان ويقطفون فاكهة، بل إن **﴿داعوهم فيها سبحانك اللهم﴾** كل ما يريده هؤلاء يهيأ بالتسبيح، إذا أرادوا ماء كوثر، يقولون: **﴿سبحانك اللهم﴾**، وإذا أرادوا فاكهة يقولون: **﴿سبحانك اللهم﴾** فيثبتون الدعوى بالتسبيح.

التناسب بين إثبات تلك الدعوىٰ والتسبيح هو أنهم عندما يرون أنفسهم محتاجين إلى نعمة من النعم في الجنة، يجدون ان الله تعالىٰ منزه عن هذه الحاجة، فلا يقولون: أعطنا فاكهة أو ماء، بل يقولون: بأن الله منزه عن حاجة، أي أنهم محتاجون. والله مبرأ من الحاجة إلى الفواكه والكوثر، والأدب يقتضي ان يكون للإنسان هذا النوع من السلوك مع الكرماء، فكيف

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠.

بالسلوك مع الله الذي هو خالق الكرماء، لا يقول: أنا محتاج، أعطني بل أنت لا تريد، أنت لست محتاجاً وهكذا يتكلم أهل الجنة أيضاً (سبحانك اللهم) أنت منزه عن أن تكون محتاجاً آنا، أي اعطنا، هذا بيان العلاقة بين الأدعاء والتسبيح.

أما الجملة الثالثة ـ العلاقة بين الادعاء والحمد ـ **﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله﴾** أي بعد ذلك التسبيح، عندما تلقوا أنعاماً من الله، يبرزون في مقام الشكر ويقولون: **﴿الحمد لله رب العالمين﴾**، الحمد بعد التسبيح، التسبيح هو بمعنىٰ الطلب تلويحاً وعندما استجيب للطلب وحصل هذا المحتاج على ما يحتاجه، يأتي دور الشكر والحمد، لذا يقولون: **﴿الحمد لله رب العالمين﴾**.

وتقول رابعة الشامية لزوجها: كل هذه المائدة (فإنها ما نضجت إلا بالتسبيح)، قد لا يكون مقصودها أنها عندما كانت تذهب إلى المطبخ تسبح في لسانها وتقول في حال طبخ الغذاء (سبحان الله). بل قد يكون مقصودها إن هذا الطعام طبخ بالتسبيح.

فالمرأة يمكن أن تحصل على مثل هذا المقام.

وهذه المرأة لها شعر تربوي أيضاً، يقول زوجها: إن لها حالات متنوعة. كما أن أصحاب الرأي لهم أفكار متنوعة، بسبب أن مقدمات متنوعة تظهر في أذهانهم ـ أصحاب القلوب أيضاً لهم انجازات متنوعة، لأن واردات متنوعة تظهر في قلوبهم، أحياناً واردة الحب، وأحياناً واردة الخوف، وأحياناً واردة الأمل، ويقولون كلاماً مناسباً لكل واردة كان حب الله يرد عليها وتقول:

حبيــــب ليـــس يعـــد لــــه حبيـــب
ومـــا لســـواه فـــي قلبـــي نصيـــب
حبيـــب غـــاب عـــن بصـــري وشخصـــي
ولكـــن عـــن فـــؤادي مـــا يغيـــب

حبيبـي هـو الـذي ﴿لا تـدركـه الأبصـار﴾[1] أمـا «وقلبـي بحبـك متيماً»[2] فهو مستور عن العين لأنه منزه عن أن تراه العين، ولكن له محل في القلب.

كانت أحياناً تعيش حالة أنس بالله، وتنظم فيه شعراً وتقول:

ولقـــد جعلتـــك فـــي الفـــؤاد محـــدثـــي
وأبحـــت جسمـــي مـــن أراد جلـــوســـي
فـــالجســـم منـــي للجليـــس مـــؤانـــس
وحبيـــب قلبـــي فـــي الفـــؤاد أنيســـي

وأحياناً تتغلب عليها حالة الخوف وتقول:

وزادي قليـــل مـــا أراه مبلغـــي
أللـــزاد أبكـــي أم لطـــول مســـافتـــي
أتحـــرقنـــي بـــالنـــار يـــا غـــايـــة المنـــىٰ
فـــأيـــن رجـــائـــي فيـــك؟ أيـــن مخـــافتـــي؟

وهناك كلام لأمير المؤمنين عليه السلام في الأدعية حيث يقول:

«آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر وعظيم المورد»[3].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.
(٢) دعاء كميل.
(٣) نهج البلاغة، الفيض، الحكمة٧٤.

رابعة البصرية العدوية[1] :

هناك كلمات تربوية عن رابعة العدوية في هذا المجال، فقد ذكر أنها كانت تبكي كثيراً، وكانت تندهش عندما يرد كلام عن النار وكانت تقول: (استغفارنا يحتاج إلى استغفار)، هذه هي المعرفة الرفيعة التي يقولها سيد الشهداء عليه السلام في دعاء عرفة:

(إلهي من كانت محاسنه مساوىء فكيف لا تكون مساوئه مساوىء)[2].

الشخص الذي يعرف محاسنه جيداً، يتضح ـ بخياله ـ انه وصل إلى درجات رفيعة، الشخص الذي يصلي ويتصور أنه عمل عملاً، ولا يعلم ان كل هذا التوفيق هو ببركة اللطف الإلهي، الشخص الذي يبكي ويستغفر ويتصور أنه عمل عملاً مهماً، هذه هي (محاسنه المساوىء)، حسنته سيئة، فكيف بسيئته؟ هذه المرأة تقول إن استغفارنا يحتاج إلى استغفار، لأن هذا الاستغفار غير خالص أيضاً، لم تكن تقبل من الناس شيئاً وكانت تقول (مالي حاجة بالدنيا). عندما سمعت أن سفيان الثوري يقول: (واحزناه) إلى متىٰ يجب أن نكون حزينين؟ قالت (واقلة حزناه). أنا أتألم لماذا ألمي قليل، أنت تقول لماذا أصل الحزن؟ أما أنا أقول لماذا قلة الحزن؟

نقل عن هذه المرأة كلام تربوي آخر، إذ قالت:

(اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم).

لأن إظهار الحسنة نقص عند الإنسان، لأنها تظاهر.

---

(١) الدر المنثور، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣.

(٢) دعاء عرفة، القسم الأخير.

يقول أهل المعرفة: إن ظهور أولياء الله في العبودية أولى لهم من الظهور في الربوبية. إذا لم تقتضِ الضرورة فان أي ولي من أولياء الله لا يبين معجزة، لأن الاعجاز هو ظهور الربوبية، لذا يقول الذين وصلوا إلى المقصد: إن ظهور أولياء الله في العبودية ألذّ من ظهورهم في الربوبية، ولو لم تقتضِ الضرورة لا يظهرون في الربوبية، أي لا يأتون بمعجزة أبداً، لأن المعجزة هي مظهر الربوبية.

﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾[1].

لو لم يكن إذن الله لم يستطع أي رسول الاتيان بمعجزة وآية، والمقصود من الإذن هنا هو الإذن التكويني أيضاً. ويشرع بـ **﴿كن فيكون﴾** التي يقولها الله، وإلا فأي كائن سواء كان ملكاً أو إنساناً لا يستطيع أي عمل بالاستقلال. كل العالم يدار بأمر الله. وعندما يظهر اعجاز فهذه ربوبية الله تظهر في كسوة الإنسان الكامل، وطبعاً انفصال الظاهر، عن المظهر، محفوظ، ثم إن هذا هو مقام فعل لا مقام الذات. الفرض ان سيرة السالكين الواصلين هي ظهورهم في العبودية لا في الربوبية.

وأسند الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب عوارف المعارف بيتين منسوبين إلى رابعة الشامية، إلى رابعة العدوية وهذان البيتان عبارة عن:

إنـــي جعلتـــك فـــي الفـــؤاد محـــدثـــي
وأبحـــت جسمـــي مـــن أراد جلـــوسـي
فـــالجســـم منـــي للجليـــس مـــؤانـــس
وحبيـــب قلبـــي فـــي الفـــؤاد أنيســـي

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٨.

كثير من أولئك النساء كنّ يستيقظن طوال الليل، بعضهن كانت تقول: رأيت في عالم الرؤيا آثار خيرها تصلني في أطباق نور، كانت أحياناً تخاطب نفسها وتقول:

(يا نفسي كم تنامين وإلى كم تنامين يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور) كما كانت تقول:

(إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك بل حباً لك وقصداً للقاء وجهك).

هذا الكلام المنسوب إلى الأولياء يتأسىٰ بهم تلاميذهم، كما نظمت الأبيات التالية:

أحبـــــك حبيـــــن حـــــبَّ الهـــــوىٰ
وحبــــاً لأنــــك أهــــل لــــذاك
فــــأمــــا الــــذي هــــو حــــب الهــــوىٰ
فشغلــــي بــــذكــــرك عمّــــن ســــواك
وأمــــا الــــذي أنــــت أهــــل لــــه
فكشفــــك لــــي الحجــــب حتــــى أراك
فــــلا الحمــــد فــــي ذا ولا ذاك لــــي
ولكــــن لــــك الحمــــد فــــي ذا وذاك

رابعة بنت إسماعيل:

في شرح حياة هذه المرأة[1] ورد أنها كانت تقول: (رأيت أهل الجنة يذهبون ويجيئون وربما رأيت الحور العين يستترن مني بأكمامهن). وكما أن

(١) الدر المنثور، ص٢٠٣.

الرجال يصلون أحياناً إلى محل يسترون أنفسهم عن الأئمة عليهم السلام كذلك بعض الملائكة يصلون أحياناً إلى محل يسترون أنفسهم عن أولياء الله من الرجال. كما أن النساء يصلن أحياناً إلى محل تستتر الحور العين عنهن. ولكن هل يختفين أم يصبحن تحت شعاع نورهن؟

إن ما ورد في الرواية من أن الشخص الذي يتوضأ يخلق ملك بماء وضوئه، أي يصبح بعملهم الصالح ﴿كن فيكون﴾ وإلا فالملائكة لا هي من النار ولا من الطين، يخلقون بالصلاة. مثل نهر عسل الجنة الذي يُخلق بالعمل الصالح.

﴿وأنهار من عسل مصفىً﴾[1] .

عسل الجنة ليس من النحل، بل يخلق بالصوم والصلاة. كما أن حور الجنة ليست مثل الإنسان حتى تكون ﴿خالق بشراً من طين﴾[2] ، وليست مثل الجن، حتى تكون ﴿والجان خلقته من قبل من نار السموم﴾[3] ، بل هي تخلق بالصلاة، بالعبادة والإطاعة. بناء على هذا إذا كان الملك كائن يُخلق بالصلاة، والمصلي أعلىٰ من الصلاة لأن:

(فاعل الخير خير منه)[4]

فالنساء من أهل الجنة أعلى من الحور، وهذا هو الموقع الواقعي للمرأة، وإذا توهم شخص أن بعض القيود التنفيذية لا تسمح بأن تصل المرأة إلى هذه المواقع العميقة، فهذا توهم باطل.

---

(١) سورة محمد، الآية: ١٥.
(٢) سورة ص، الآية: ٧١.
(٣) سورة الحجر، الآية: ٢٧.
(٤) نهج البلاغة، الفيض. الحكمة ٣١.

الخلاصة هي أن الطريق مفتوح للرجل والمرأة بالتساوي وليس هناك أي فرق بينهما في مجال سير الكمالات.

من هم الأبدال والأوتاد؟

لذا عندما سُئل عارف: كم عدد (الأبدال)؟ قال: (أربعون نفساً)، وسُئل لماذا لم تقل (أربعون رجلاً)، وقلت: أربعون نفساً؟ أجاب: ليس جميع هؤلاء رجال، بل توجد بينهم نساء، هذا أولاً، وثانياً: إن الشخص الذي ينال مقام الأبدال هو إنسان والإنسانية لا تختص بالمرأة أو الرجل[1].

الابدال، في الاصطلاح. هم سالكون ليسوا تحت تدبير شخص معين. ويذكرون بوصفهم (مفرِد) أو (مفرَد)، حيث انهم يقطعون الطريق لوحدهم. وان هو صعب ولكنه قابل للمسير فيه، ورغم أن سير الإنسان تحت نظر مدير ومدبر يكون أكثر، ولكن يمكنه قطع هذا الطريق وحيداً.

هناك مجاميع كثيرة لكل منها اسم خاص، ولكن هذا السؤال والجواب طرح بشأن (الابدال) خاصة، ولذا قال ذلك العارف في الجواب (أربعون نفساً) ولو طرح سؤال كم عدد الأقطاب والأوتاد؟ يمكن أن يقال في الجواب (أربعون نفساً). أي أن الذي يصل إلى هذه المقامات ليس (رجلاً)، بل هو (إنسان) والإنسانية ليست امرأة ولا رجلاً.

وعلى أساس هذه النكتة قيل:

(ولو كان الرجال كمن ذكرنا   لفضلت النساء على الرجال
فلا التأنيث لاسم الشمس عيب   ولا التذكير فخر للهلال)[2]

---

(١) تفسير روح البيان ذيل الآية: ٤٢ من سورة آل عمران ج٢، ص٣٤.
(٢) تفسير روح البيان ذيل الآية: ٤٢ من سورة آل عمران ج٢، ص٣٤.

على أية حال هناك نماذج كثيرة إذا ذكرت سوف يتضح ويتبين كم كان ميزان دور المرأة في صدر الإسلام بالمقارنة مع الرجل، وفي البحوث القادمة سنذكر إن شاء الله تعالىٰ أنه كانت هناك في طول التاريخ نساء بمستوىٰ أويس القرني ولكن بسبب أنهن لم يطرحن بقين مجهولات.

قضية الفضيل بن عياض الذي اشتهر في التاريخ وتذكره العارفون، وتطرح قصته في ذيل الآية الشريفة:

﴿ألم يأنِ للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله﴾.

هي من الحوادث العرفانية الرفيعة، وقد وقعت حادثة تشبهها لامرأة عارفة كانت لها سابقة فنية، حيث قيل: إن مولاها أرسلها إلى المستشفىٰ بسبب شدة الحيرة و. . لأنه رأىٰ انها كانت تقول: شعراً رفيعاً بشأن المحبوب يحير العقلاء، احتار الجميع في من هو ذلك المحبوب؟ ولم يفهم مولاها من أثر سوء الظن من هو محبوب هذه المرأة الذي تقول من أجله هذا الشعر وتبكي وتضج. وعندما ذهب بعض العارفين في ذلك العصر للالتقاء بها فهموا أن هذه المرأة وصلت إلى مقام بحيث لا ترىٰ إلا الله، وتنظم هذا الشعر الأدبي الرفيع في فراقه، وفي النتيجة أخرجوها من المستشفىٰ وفهموا أن طريق القلب، لا يختص بالعارفين الرجال، فالنساء إذا لم يكن كالرجال في هذا الطريق فإنهن في نفس اتجاههم وكفؤهم.

المرأة في البرهان

أشير في بداية البحث إلى ان تنظيم البحوث يقع في ثلاثة فصول، **الفصل الأول**: بنظر القرآن، **الفصل الثاني**: بنظر العرفان، **الفصل الثالث**: بنظر البرهان، ورغم ان البرهان والعرفان مدينان للقرآن ويستعينان به، ولكن طريقة تنظيم البحث بالاستفادة من المصطلحات أدت إلى طرح البحوث في ثلاثة فصول.

عدم الفرق بين المرأة والرجل بنظر البرهان[1]:

من حيث المسائل العقلية ليس هناك فرق بين المرأة والرجل في أصل الكمال، طبعاً يمكن ان لا تنال المرأة القمة التي وصلها رجل مثل رسول الله ﷺ، ولكن هناك رجال كثيرون حتى أنبياء ومرسلون وأولياء وأوصياء كثيرون لم يصلوا ذلك المقام أيضاً، هذا ليس لأن المرأة لكونها امرأة لا تصل إلى ذلك المقام، بل من أجل أن ذلك المقام يكون من نصيب قليل من الناس الكاملين، لذا لم يصل كثير من الرجال إلى تلك الدرجة، بناء على

(١) إلهيات الشّفاء، المقالة الخامسة، الفصل الرابع. وان بعض المطالب الواردة في المقالة العاشرة، الفصل الرابع، قابلة للتوجيه.

هذا فانه باستثناء مقام الإنسان الكامل الذي هو أمر منفصل، ليس هناك فرق بين المرأة والرجل في الكمالات المترقبة[1] .

الذكورة والأنوثة ليست فصلاً مقوّماً.

دليل هذه المسألة حسب ما ورد في الكتب العقلية، وكما ذكره ابن سينا في الشفاء وذكره تلميذه بهنميار في التحصيل، هو أنهم يعتبرون الناطق فصلاً في الكتب العقلية من حيث كشف الحد ومعرفة الرسم ومعرفة الذاتي والعرضي، طبعاً ليس فصلاً منطقياً بل من لوازم الفصل، كما أن المقصود من الناطق ليس النطق الظاهري ولا النطق الباطني، بل المقصود هي النفس الناطقة، وهذا النطق يشتق من النفس الناطقة، يعتبرون الناطق فصلاً مقوماً الإنسان، أما الأنوثة والذكورة فيعتبرونهما مصنفاً، وليس مقوماً، ولذا حين يقسمون الفصول إلى فصل قريب واقرب، بعيد وأبعد ليس هناك كلام عن الذكورة والأنوثة، الكلام هو عن الناطق والصاهل والخائر و. . الذي ينوع الحيوانات، على هذا، عندما تكمل الذات، أي إنسانية الإنسان ويصل إلى نصابه عند ذلك تطرح مسألة الذكورة والأنوثة، وتشخيص الذاتي والعرضي وعلاماتهما يحصل عن هذا الطريق. هذا قسم من البحث تتولاه الكتب العقلية.

عدم تأثير الذكورة والأنوثة في فعلية الإنسان:

وقسم آخر من البحث ذكر في الفرق بين الجنس والمادة، قيل: إن الذكورة والأنوثة تعودان إلى المادة لا إلى الصورة، ولأن صورة كل شيء تشكل شيئيته فالذكورة والأنوثة للأشياء ليست دخيلة في فعلية وشيئية الأشياء وتوضيح المسألة هو أنه إذا أردنا معرفة كائن بفعليته، فان صورته

---

(١) التحصيل، المقالة الرابعة، الفصل الرابع.

تبين فعليته وتبين لنا حقيقته، ولكن لأن مادته مشتركة ويمكن ان تظهر بصورة أُخرىٰ أيضاً. فهي ليست علامة حقيقته، التراب هو مادة لصور متنوعة، يمكن ان يظهر بصورة شجرة أو بصورة معدن أو فواكه متنوعة أو حبوب وأحجار مختلفة أو بصورة إنسان أو حيوانات، وما لم تظهر في صورة من الصور لا تحصل على فعلية خاصة، وليس المقصود من الصورة هو الهيكل لأن ذلك عرضي بل المقصود هي الفعلية الجوهرية التي تؤمن حقيقة الشيء وتعود إلى كيفية وجوده من ناحية.

يقول أهل الحكمة: ان الذكورة والأنوثة هي من شؤون مادة الشيء وليس من شؤون صورته، أي ليس لها دور في قسم الصورة والفعلية، ولها دور في قسم المادة فقط، عندما يذكرون الفرق بين الجنس والمادة. يقولون: إن المادة لها أصناف، بعض تلك الأصناف مذكر وبعضها مؤنث، وعلامة الذكورة والأنوثة تعود إلى المادة وليس الى الصورة، لهذا لا يختص هذان الصنفان بالإنسان، بل يوجدان في الحيوان أيضاً وكذلك في النباتات. والشيء الذي تتمتع به الكائنات التي هي أقل من الإنسان واضح انه لا يعود إلى صورة إنسانية؛ لأنه لو كان يعود إلى صورة الإنسان لما كان يتمتع به الكائن الذي هو أقل من الإنسان. قبل مرتبة الإنسانية هناك مرتبة الحيوانية التي لها ذكورة وأنوثة أيضاً وقبل الحيوانية هناك مرتبة النباتية التي تطرح فيها مرتبة الذكورة والأنوثة أيضاً، لو كانت الذكورة والأنوثة تدخل في قسم الصورة وجزء من فعلية الإنسان لما كانت توجد في كائنات أقل من مستوىٰ الإنسان، ولانها توجد في مستوىٰ أقل من الإنسان، يتضح أنها مرتبطة بمادته وليس بصورته -.

كما ان الحيوانات إذا أرادت ان يكون لها كمالات فان كمال الحيوانات ليس في ذكورتها وأنوثتها، كل حيوان له نفس وكمالاته متعلقة

بها، إن ذكورة أو أنوثة الحيوان يمكن ان يكون لها تأثير في قواه البدنية، ولكن هٰذه القوىٰ البدنية ليست كمالات حيوانية. الكمالات الحيوانية هي في الأوصاف والخلقيات الخاصة بنفس الحيوان، والأنوثة والذكورة موجودة في كائنات أقل من الحيوان، لأنها تعود إلى المادة، أي أنها موجودة في درجة النباتات أيضاً. جاء في القرآن:

﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾[1] .

كان هذان نموذجين من المسائل العقلية. ولكن لأن القرآن الكريم هو جذر هذه المعارف يجب أن يؤيدها. حين يمدح القرآن الكريم الروح ويعرفها، يقول بانها من أمر الله ويسندها إلى الله، والشيء الذي له إضافة تشريعية إلى الله وهو من عالم الحق، ومفصول عن عالم الخلق، وهو نشأة أُخرىٰ، يكون منزهاً عن الذكورة والأنوثة.

خلق الأرواح قبل الأجساد:

في بداية الفصل كان البحث في ان الذكورة والأنوثة تعود إلى المادة لا إلى الصورة وهي جزء من المصنفات وليس المقومات، الآن سيُثبت بالشواهد القرآنية ان الروح لا هي مذكر ولا هي مؤنث كما مر بالتفصيل في البحوث القرآنية.

الآيات القرآنية التي تتكلم عن روح الإنسان عدة طوائف، بعض الآيات تبين ان الروح كانت موجودة ثم تعلقت بالبدن، مثل الآيات التي وردت في خلق آدم أبي البشر عليه السلام . قال تعالىٰ:

﴿إني خالق بشراً من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له

(١) سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

ساجدين﴾[1] .

هذا دليل على أن الروح كانت موجودة سابقاً وبعد أن وصل البدن إلى نصابه الخاص تعلقت تلك الروح بهذا البدن ـ طبعاً هناك كلام كثير في تعلق موجود مجرد مادي، وحدوث نوع حقيقي، وحسب تعبير المرحوم صدر المتألهين إن هذه المسألة هي من أصعب المسائل الفلسفية في كيف ينسجم موجود مجرد وموجود مادي وينتج نوع حقيقي ـ فقسم من الآيات القرآنية تدل على أن الروح كانت موجودة سابقاً ثم تعلقت بالبدن وحصلت على إضافة وإفاضة إشراقية، والروايات التي وردت في هذا المجال من أنه:

(خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام)[2] .

تؤيد هذا القسم من الآيات.

الروح جسمانية الحدوث:

وهناك طائفة أُخرىٰ من الآيات تبين أن الروح تظهر من نشأة الطبيعة والبدن وتنهض أي أن هذا الموجود المادي الذي عبر مراحل وأطواراً يصل إلى مرحلة الروح، وهذه الطائفة من الآيات تؤيد كون الروح جسمانية الحدوث وروحانية البقاء. في سورة المؤمنون يقول تعالىٰ:

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سُلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[3] .

أي ان الله تعالىٰ بدل ذلك الموجود إلى شيء آخر، فقوله **﴿ثم أنشأناه**

---

(1) سورة ص، الآيتين: ٧١ ـ ٧٢.

(2) بحار الأنوار، ج٦١، ص١٣٢.

(3) سورة المؤمنون، الآيات: ١٢ ـ ١٤.

خلقاً آخر﴾ أي ليس من سنخ السابقين، ليس من سنخ التحولات المادية وتطورات المادة وإلا لما قال: ﴿خلقاً آخر﴾ لو كان أمراً مادياً ولو كان قابلاً للشرح والتبيين، ولو كان في متناول العلوم التجريبية لما قال ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ أي أوجدنا شيئاً آخر ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[1].

في التفسير الترتيبي أشير ضمن البحث إلى ان الآية المباركة ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ هي من الآيات القرآنية المليئة بالمضمون؛ لأن الإنسان هو (أحسن المخلوقين)، فالله تعالىٰ هو ﴿أحسن الخالقين﴾. بعد خلق هذه المجموعة قال الله سبحانه: إنه أحسن الخالقين. عندما نحلل نرىٰ أن الإنسان له بدن مرّ بمراحل تطور مرت بها حيوانات أُخرىٰ، أي إذا كان الكلام هو عن النطفة والعلقة والمضغة والعظام و ﴿فكسونا العظام لحماً﴾ وتكون الجنين، فهذه المراحل موجودة لدى الحيوانات الأُخرىٰ أيضاً، في حين أن الله تعالىٰ لم يقل بشأنها ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾. وإذاً فالكلام هو عن الروح، فالملائكة لديهم الروح في كمال العصمة والطهارة، ولكن لم يقل بعد خلق الملائكة ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾، إذن كون الله تعالىٰ أحسن الخالقين الذي يستلزم كون عمل الله لأحسن المخلوقين لا يتعلق ببدن الإنسان ولا يتعلق بروحه، لأن هذه التطورات البدنية في الإنسان لدىٰ الحيوانات الأُخرىٰ أيضاً، والروح المجردة في الإنسان تتمتع الملائكة بها أيضاً. ما هو مهم هو أن يهبط ذلك الموجود المجرد بدون تجافي وينسجم معه هذا الموجود المادي ويصبح الاثنان معجوناً واحداً باسم (الإنسان). وهذا الإنسان بتمتعه بالعقل والعلم وتعرضه لهذه العقبات وقطاع الطريق الكثيرين التي تنشأ من نشأة ﴿التراب﴾ و ﴿الطين﴾ و ﴿حمأ مسنون﴾ و ﴿طين لازب﴾ و ﴿صلصال كالفخار﴾ يعبر هذه العقبات الصعاب ويصبح

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

معلم الملائكة، هذا الإنسان هو أحسن المخلوقين ويعمل عملاً لا يستطيعه أي مخلوق، لذا يقول الله تعالىٰ بعد خلق مثل هذا المخلوق: **﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾**.

طبعاً الناس الذين لديهم إخلاد إلى الأرض مع امتلاك هذه الثروات الثمينة، أولئك **﴿كالأنعام بل هم أضل﴾**[1] . والله تعالىٰ لم يمدح نفسه بوصفه (أحسن الخالقين) من أجل خلق أولئك، كما ان الذين لهم قلوب **﴿كالحجارة أو أشد قسوة﴾**[2] ، لم يقل بشأن خلقهم **﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾** بل أولئك الذين هم مصداق **﴿إن في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد﴾**[3] يتمتعون بهذه المزايا.

ان الآية المباركة من سورة المؤمنون تبين ان الروح نهضت من نشأة الطبيعة، لأن الله تعالىٰ قال إنه أخرج هذا الإنسان وهذا الجنين إلى خلق آخر، وأعطاه صورة أُخرىٰ، وطبعاً كل تطور يتطلب محركاً، وكل حركة لها محرك، وليس ممكناً أن يكمل الشيء الناقص بشكل تلقائي، نفس الحركة هي كمال أول والهدف كمال ثانٍ، فلو أراد موجود ناقص أن يتحرك فانه يتطلب محركاً، وإذا أراد ان ينال هدفاً يتطلب مبدأ غائياً خاصاً يعطيه هذا الكمال.

حدوث الروح بعد خلق الجسم:

في سورة آل عمران المباركة ورد شبيه لهذا التعبير، أي أن التعبير الموجود في سورة المؤمنون يتعلق حسب الظاهر بنسل آدم، ولكن في سورة آل عمران ورد شبيه هذا التعبير في مسألة آدم نفسه، أي ان آدم وابناءه

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٧٤.
(٣) سورة ق، الآية: ٣٧.

متساوون في هذه الناحية، حيث تتكامل في البداية مراحل بناء أبدانهم، ثم تتبدل تلك المرحلة إلى مرحلة الروحانية. قال تعالىٰ:

﴿إن مثل عيسىٰ عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾[1].

الافراطيون والتفريطيون لديهم رأيان متضادان بشأن المسيح عليه السلام، وهذه الآية يمكن ان تكون جواباً عليهما رغم ان شأن نزولها هو الرد على الإفراطيين، الذين قالوا بالألوهية أو التثليث أو أنه ابن الله، وقد أجاب الله بالجدال الأحسن حيث ذكر تعالىٰ ان العمل الذي قام به بشأن آدم لم يقم به في شأن عيسىٰ لأن عيسىٰ كانت له أم، ولكن آدم عليه السلام لم تكن له أم ولا أب. فلماذا لم يقولوا كلاماً فارغاً بشأن آدم عليه السلام، ولم يقولوا انه ابن الله، وقالوه بشأن المسيح؟

﴿ان مثل عيسىٰ عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾.

أي أن خلق آدم كان في مرحلتين، مرحلة تعود إلى التراب، ومرحلة إلى **﴿كن فيكون﴾**، المرحلة التي تعود إلى التراب يمكن ان تكون ذات زمان ـ طويل المدة أو قصير المدة ـ أما بعد التحول والتطور إلى مقام الروحانية التي هي مرحلة التجرد، عند ذلك ليس للزمان دور في ذلك فليست ذات زمان، وتسمىٰ هذه المرحلة بـ **﴿كن فيكون﴾**. قال تعالىٰ: إنه خلق آدم من تراب، أي أن بناء بدنه شرع من التراب، ثم قال لأدم **﴿كن فيكون﴾** أي ان التعبير **﴿كن فيكون﴾** هو حين إفاضة الروح، هذا التعبير يفسره ما ورد في نهج البلاغة من ان كلام الله ليس حروفاً:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

(يقول لمن أراد كونه، كن، فيكون، لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ومثله)[1] كلام الله فعل، لذا جميع العالم الذي هو عمل الله، هو كلمات إلهية، عندما يريد الله تعالىٰ أن يأمر السحاب بالمطر يمطرها، لا ان يقول: أُمطري، كلمة ﴿كن فيكون﴾، هي عبارة عن (الايجاد والوجود).

على أساس هذا الكلام، فان الروح رغم انها حسب ظاهر الآيات من القسم الثاني، وأن لها سابقة مادية، ولكن في الدهليز الانتقالي من نشأة المادة إلى التجرد تبعد عنها العلامات المادية، وعندما لا تكون معها علامات مادية، عند ذلك لا مجال للكلام عن الذكورة والأنوثة، يمكن ان يكون البدن مذكراً أو مؤنثاً، من أجل الوصول إلى نصابه، ولكن عندما يصل في ظل الحركة الجوهرية إلى مقام الدخول إلى مرحلة الوجود الرفيعة ـ طبعاً بنحو التجلي وليس بنحو التجافي ـ عند ذلك ليس الكلام عن الذكورة والأنوثة، رغم ان إدراك انخفاض الروح إلى عالم الطبيعة والانسجام مع الموجود الطبيعي من جهة وارتقاء هذه المجموعة إلى مقام (النفس) ليس أمراً سهلاً.

الحركة الجوهرية وعلاقة الروح بالبدن:

إن مسألة الوجود وارتباط هذه الدرجات والحركة الجوهرية وان جوهر الذات يتحرك في مسير هذه الوجودات. يمكن أن يبيّن إلى حد ما مسألة جسمانية حدوث الروح وروحانية بقائها، حيث ورد في قسم من روايات المعاد أنه بنزول المطر يذهب البدن إلى الروح، وقد كان لدىٰ بعض علماء الحكمة قاعدة خاصة في طرح مسألة المعاد الجسماني استناداً لذلك

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٦.

الحديث.

على أي حال بالنظر لأن للوجود درجات، وهذه الدرجات تكون بلا طفرة وبعض الدرجات مادية، وبعضها برزخية، وبعضها مجردة تامة، والحركة هي في متن هذا الوجود، أي في متن الوجود وليس الماهية، على هذا فالشيء الذي يريد الوصول من مرحلة المادة إلى مرحلة الروحانية والتجرد، يجب أن يسير في مسير الوجود بالتدقيق في هذا المعنىٰ قد يمكن تعقل مسألة ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ بمقدار أسهل. في هذه الآية لم يقل تعالىٰ إنه أعطاه شيئاً آخر، قال: إنه أبدله إلى شيء آخر. هذا التعبير في شأن آدم وكذلك في شأن نسل آدم في هذا التبديل الجديد، ليس الكلام على الذكورة والأنوثة، لأنه إذا كان هذا الانتقال بنحو التجافي أو شبيهاً بالتبدلات الفسادية والمادية، لكان يمكن القول: بالنظر لأن هذا البدن خلق هكذا ثم أصبح بصورة مجردة، فان روح المرأة والرجل تختلف قطعاً، ولكن ليس الأمر هكذا، الكلام ليس عن حركة مادية وزمانية، كما أن الكلام ليس عن حركة كمية وكيفية، وأن بدن (المرأة) يتحرك ويصل إلى مقام الروح. وبدن (الرجل) يتحرك ويصل إلى مقام الروح. (الذكورة والأنوثة) في حركة، بل إن جوهر وجود هذا الشيء هو الذي لديه طريق في متن هذه الحركة، وجوهر الوجود ليس مذكراً ولا مؤنثاً، متحرك وجود هذا الشيء ليس مادته ولا صورته ولا أوصافه ولا مسائله الماهوية وأوصافه وعوارضه، وجوهر الشيء لا مذكر ولا مؤنث بناء على هذا لا يكون هناك فرق بين المرأة والرجل في مرحلة ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾.

الروح، كل حقيقة الإنسان:

إذا كانت مسألة الذكورة والأنوثة ذكرت جزء من الصنف في الكتب العقلية ـ وليس فصلاً ـ وربطوها بحريم المادة ـ لا بحدود الصورة ـ يمكن

أيضاً ذكر شواهد قرآنية لذلك، حيث ان الروح اعتبرت مجردة في القرآن الكريم، وان الله تعالىٰ يتوفىٰ كل الروح عندما يموت الإنسان[1] ، وإذا فقد الإنسان البدن فإن كل حقيقته تبقىٰ محفوظة، ونتيجة هذا الكلام هي أن البدن ليس عين الذات ولا جزء من الذات ولا من لوازم الذات، بل هو أداة الذات، ورغم ان الإنسان لديه بدن سواء في الدنيا أو في البرزخ أو في القيامة، ولكن البدن في كل هذه المراحل الثلاث هو أداة عمل. دليل هذا الكلام هو تحليل آيات الشهادة، قال تعالىٰ في آيات الشهادة:

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء﴾[2] .

هذا الحي هو الشهيد الذي وقع بدنه في ميدان القتال، وقوله تعالىٰ بانه حي هل يعني أنه حي مع البدن؟ هل البدن هو كل الحقيقة أم جزء من الحقيقة أو من لوازم الحقيقة؟ إنه حي بدون البدن والبدن لم يكن أكثر من أداة عملية، فإذا لم يصبح مفيداً، يختار بدناً آخر، وعلى أي حال هو حي. وقال تعالىٰ في آية أُخرىٰ:

﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء﴾[3] .

لأنهم أحياء بدون بدن، وفي الجواب على أولئك الذين قالوا:

﴿وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد﴾[4] .

قال تعالىٰ:

﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكّل بكم﴾[5] .

---

(١) ﴿الله يتوفىٰ الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ سورة الزمر، الآية: ٤٢ .
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩ .
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٤ .
(٤) سورة السجدة، الآية: ١٠ .
(٥) سورة السجدة، الآية: ١١ .

إن روح الإنسان تشكل كل حقيقته بدلالة آيات الشهادة وأمثالها ـ ولهذا السبب يقول إن الشهيد كالحي. أو بدلالة أمثال هذه الآية الشريفة:

﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾[1].

وهنا الإنسان حيّ مع أنه فقد بدنه الطبيعي.

امتياز المرأة والرجل حسب العلل والعوامل الداخلية والخارجية:

البرهان العقلي يقدم على ان امتياز شيئين مختلفين ومتمايزين هو إما حسب علل وعوامل خارجية أو طبق علل وعوامل داخلية. وإذا لم يكن هناك أي تمايز بين هذين الأمرين من حيث العلل الخارجية والعوامل الداخلية، فإن هذين الأمرين، يكونان صنفين من نوع واحد، أو فردين من صنف واحد، ولكن لا يكونان أبداً نوعين من جنس واحد، لأنهما في هذه الحالة يحصلان على اختلاف جوهري. إن المبدأ الفعلي والغائي للناس سواء النساء أو الرجال هو واحد، والدين الذي جاء لتربيتهم هو واحد لكلا الصنفين، والجزاء الذي هو نتيجة العمل، هو أصل واحد لكليهما ـ هذا الأمر، أي نفي التمايز الخارجي، يقع موضع استشهاد المعصومين عليهم السلام في كثير من المسائل. فقد جاء في الرواية:

(إن الربّ واحد والأب واحد وإن الدين واحد)[2].

أي ان العرق ليس عامل اختلاف، والقومية والزمان واللغة لا تهيىء أرضية امتياز، حيث يستشهد في هذه الرواية بتساوي العلل والعوامل الخارجية ويقول: بما ان الرب واحد ورجوع الجميع إلى مرجع واحد وجزاء الجميع هو في مقابل العمل فالأقوام والشعوب لا تختلف.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.

(٢) معالم الحكومة، ص٤٠٤.

وأما في مسألة العلل والعوامل الداخلية فقد أشير أيضاً إلى أنه يمكن ان تكون هناك اختلافات ضئيلة بين المرأة والرجل ولكن في النهاية جُبرت، وإذا كان هناك اختلاف بين المرأة والرجل في قسم من الأجهزة المخية، لكن هذا الاختلاف ليس دليلاً على أنهما مختلفان في جميع الفضائل. طبعاً لعله من اللازم لبعض الأوصاف النفسانية وجود مقدمات وأداة في مخ الرجل، ولنيل بعض الكمالات الإنسانية الأُخرىٰ من اللازم ان توجد أداة في جهاز مخ المرأة.

بناء على هذا إذا بحث شخص العلاقة بين جميع الفضائل النفسانية وذرات المادة واتضح له بشكل كامل أي قسم من تلك الأقسام المخية لازم للوصول إلى الفضيلة الفلانية، عند ذلك يستطيع أن يدّعي، أنه نظراً لوجود اختلاف بين جهاز مخ المرأة والرجل، ونيل الكمالات ليس متساويا فيهما، ففي النتيجة يكون مقام المرأة أقل من مقام الرجل، في حين أن إقامة هذا الدليل صعبة، وهذا الادعاء بدون دليل ليس قابلاً للقبول.

طبعاً هناك نوع اختلاف في جهاز مخ المرأة، ولكن هل أن جميع الفضائل النفسانية والكمالات الروحية تتوزع على أساس هذه الاختلافات المخية، أم لا؟ هذا يلزمه فحص وتخصص آخر. قد يلزم لقسم آخر من الكمالات ذلك المقدار من الذرات التي لدىٰ المرأة وليس الرجل، فقد أشير في بحوث سابقة أن نسبة قبول الموعظة لدىٰ المرأة أعلىٰ منها لدىٰ الرجل وقطع طريق القلب أسهل لدىٰ المرأة. وبناء على أنه ليس هناك اختلاف من حيث العلل والعوامل الداخلية أو ان الحكم بالاختلاف صعب، لا يمكن القول: إن للرجل فضيلة على المرأة.

طبعاً أشير في البحوث السابقة إلى أن البحث هو حول الرجل في

مقابل المرأة والمرأة في مقابل الرجل وليس المرأة في مقابل الزوج، وبعض الاختلافات والأوامر والآيات أيضاً من قبيل:

﴿الرجال قوّامون على النساء﴾[1] أو ﴿وللرجال عليهن درجة﴾[2].

تتولى بيان مقام المرأة في مقابل الزوج. ومرت نماذج من ذلك أيضاً حيث نلاحظ أحياناً أن للمرأة أفضيلة على الرجل، مثل الأم بالنسبة إلى الابن الذي يجب عليه إطاعة أوامرها، وعقوقها معصية، وهذه المسائل الداخلية والعائلية لا تدخل بحساب ذلك البحث العام؛ لأن البحث العام هو بشأن المرأة في مقابل الرجل، والاختلافات النسبية والأحكام الخاصة تتعلق بداخل الأسرة، وأحياناً يكون للرجل فضيلة على المرأة أيضاً، وأحياناً لا يختلفان مثل الأخ والأخت.

إذا لم تختلف العلل والعوامل الخارجية في هذا المجال فليس هناك طريق لتمايز هذين الصنفين، هناك شواهد كما يستفاد من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام تقوم على أن بني إسحاق وبني إسماعيل متساوون، عندما دخل شخص على أمير المؤمنين عليه السلام وقال اعطني عطاء أكثر، فرفع الإمام ـ طبق ما نقله صاحب (الغارات)[3] مقداراً من التراب من الأرض وقال بأن جميع الناس هم من التراب وليس في التراب تمايز واختلاف. ثم قال في قسم آخر بأن القرآن الكريم لم يفرق بين بني إسحاق وبني إسماعيل، لم يفرق القرآن بين الذين هم من أبناء إسحاق وولدوا من أم حرّة. وبين الذين هم أبناء إسماعيل وولدوا من أم أَمَةٍ.

يتضح من هذه الآية ان العلل والعوامل الخارجية ليس لها دور (فمن

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٣) الغارات، ج١، ص٧٠.

حيث العلل والعوامل الخارجية ليس هناك فرق بين المرأة والرجل والمهم ان يكون هناك اختلاف بينهما في العلل والعوامل الداخلية، وإثبات ذلك صعب أيضاً).

على أي حال فان البحث يقع في محور الروح وليس الجسم والعوامل الخارجية، ومن هنا يتضح خطأ الذين أقاموا شواهد من أجل المساواة المادية بين المرأة والرجل، وكذلك الذين أرادوا أن يطرحوا المسائل في حد الاختلاف، فأولئك استعانوا بشواهد مادية أيضاً، في حين أن البحث ليس في محور المادة والبدن بل هو في محور الروح التي هي منزهة عن الذكورة والأنوثة، والروح سواء على أساس قاعدة الافلاطونيين أو على أساس قاعدة الأرسطوئيين أو على أساس الحكمة المتعالية فمن الواضح أن روح المرأة والرجل لا تختلف من هذه الناحية. طبعاً هناك بين الرجال أشخاص كرسول الله ﷺ لم تصل امرأة إلى مقامه، وحتى أنوار أهل البيت أيضاً - الذين هم نور واحد - في ذلك العالم - لم يصل شخص منهم إلى مقام رسول الله ﷺ، وليس هذا لأن الرجل هو أعلىٰ من المرأة؛ إذ لم يصل إلى هذا المقام حتى الأنبياء والمرسلون. ويجب الالتفات إلى أن هذا البحث هو بحث علم علمي محض وليس له أية ثمرة عملية؛ لأنه ليس هناك شخص يتوقع نيل هذا المقام الرفيع لرسول الله ﷺ. في مجتمع المرأة والرجل لا يمكن القول: إن الرجل لديه مقام لا تناله المرأة، هل يمكن القول: إن كمالاً من الكمالات النفسانية ممكن للرجال وليس ممكناً للنساء؟ إن ادعاء هذه المسائل ليس قابلاً للإثبات أبداً.

الاختلاف العقلي في المرأة والرجل:

يقال أحياناً: إن جانب عقل الرجل هو أكثر من عقل المرأة، والتجارب الماضية والحالية مؤيدة لهذه المسألة. وقد ذكر المرحوم العلامة

الطباطبائي ـ رضوان الله تعالىٰ عليه ـ هذا الموضوع في تفسير الميزان وذكر ان العقل الذي هو في الرجل أكثر من المرأة هو فضيلة زائدة وليس معيار فضل.

أما بيان السند فهو ان العقل في الإسلام هو معيار الكمال الإنساني، أي ان كل شخص اعقل هو أقرب إلى الكمال الإنساني وأكثر قرباً عند الله، وكل شخص أبعد عن العقل هو أقل استفادة من الكمال الإنساني وأكثر حرماناً من مقام القرب الإلهي، ولكن تقع أحياناً مغالطة من أثر الاشتراك اللفظي الموجود، ويستدل على أن الرجال أقرب إلى الله من النساء بأن معيار الاختلاف ومعيار الكمال الإنساني هو العقل، وهذا العقل عند الرجل أكثر من المرأة، في حين ان هذا الاستدلال ليس كاملاً، بل إنه مغالطة تقع من أثر اشتراك اللفظ.

نظراً لأن العقل يطلق على معاني متنوعة بصورة اشتراك، لذا يجب أولاً أن يتضح أي عقل هو معيار الكمال الإنساني والقرب الإلهي، وثانياً أي عقل تختلف فيه المرأة والرجل عن بعضهما.

دفع مغالطة:

منشأ هذه المغالطة هو ان الحد الوسط في هذا القياس لم يتكرر، وعندما لا يتكرر الحد الوسط في القياس لا يكون القياس منتجاً، ورغم ان لفظ العقل يتكرر في الحد الوسط ظاهراً، ولكن ذلك المعنىٰ والمقصود في المقدمتين مختلف، أي رغم انه يقال: إن الرجل والمرأة يختلفان في العقل، والعقل هو معيار القرب إلى الله، وكل من كان عقله أكثر فهو أقرب إلى الله، ولكن العقل الذي يذكر في المقدمة الثانية هو غير العقل الذي ورد في المقدمة الأولىٰ، بعبارة أُخرىٰ إن العقل الذي يختلف فيه الرجل والمرأة

هو غير العقل الذي هو سبب التقرب إلى الله.

إذاً يجب أن نفصل هذين المعنيين للعقل عن بعضهما، وحينئذ لا يتكرر الحد الأوسط، فلا يمكن أبداً ترتيب قياس يستنتج منه فضيلة الرجل على المرأة؛ لأن العقل الذي يختلف بين المرأة والرجل هي العقول الاجتماعية، أي في كيفية الإدارة، في المسائل السياسية، الاقتصادية، العلمية، التجريبية، الرياضية، وعلى فرض انه ثبت أن عقل الرجل هو أكثر من عقل المرأة في هذا النوع من العلوم والمسائل التنفيذية - (وإثبات هذه المسألة ليس أمراً سهلاً) - فهل أن العقل الذي هو سبب التقرب إلى الله هو هذا العقل الذي هو موضع ميزة بين المرأة والرجل؟ هل يمكن القول إن كل شخص يفهم أفضل في مسائل الفيزياء، والطب، والمسائل الرياضية وأمثال ذلك هو أقرب إلى الله؟ هل أن هذا العقل هو سبب التقرب أم أن العقل الذي (عُبد به الرحمن واكتسب به الجنان) هو سبب التقرب؟

إن العقل الذي هو سبب تقرب إلى الله، (وكل إنسان لديه استفادة أكثر من ذلك العقل يكون أقرب إلى الله وله في القيامة نصيب أكثر وأفضل) ذلك العقل هو الذي ذكر في هذه الرواية المعروفة بوصفه وسيلة عبادة وكسب الجنة.

ذلك العقل هو الذي ورد عن رسول الله ﷺ بشأن تسميته بهذا الاسم أن الإنسان العاقل يعقل بواسطة تلك القوة الغرائز والميول - العقال هو حبل تربط به ركبة البعير الهائج حتىٰ لا يرفس ولا يذهب خارج المكان. إن قول رسول الله ﷺ لرجل لم يعقل ناقته ودخل المسجد فأخذوا تلك الناقة:

(اعقلها وتوكل)[1] .

ليس بمعنىٰ أن يتعقل ثم يتوكل، بل يعني اعقِل وتوكل، أي احفظ هذه الوسائل العادية، وتوكل على الله في تلك الوسائل التي هي خارج استطاعتك. (اعقلها وتوكل) طبق تلك الرواية الأُخرىٰ عن رسول الله ﷺ أن العقل يسمىٰ عقلاً لأنه يمنع الميول والغرائز ويعقل ركبة الجهل والشهوة المحرمة.

في هذا العقال كلما استطاع الإنسان ان يربط هذه الغرائز بشكل أفضل وأكثر يصبح أكمل، ومعنى ربط الغرائز هو توازنها لا تعطيلها. بناء على هذا فان ما يؤدي إلى التقرب إلى الله، هو العقل الذي (يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان) والعقل الذي يمكن ان يكون لدى الرجل أكثر من المرأة هو عقل العلوم وعقل السياسة وعقل الأعمال التنفيذية. وإذا كان شخص اعقل في المسائل السياسية أو في سائر المسائل التنفيذية. فهذا ليس دليلاً على أنه أقرب إلى الله، ولعل ذكاءه السياسي أو ذكاءه العلمي هذا يجره إلى جهنم، وقد يكون الرجل أفهم من المرأة في العلوم التنفيذية، ولكن ليس لديه استطاعة عقال غرائزه.

بناء على هذا، إذا كان لشخص فكر أفضل في المسائل العلمية أو في المسائل السياسية والتنفيذية فهذا ليس دليلاً على التقرب إلى الله، الشخص الذي يستطيع ان يكبح جماح هذه الغرائز أفضل من غيره والذي يوازن هذه الميول ويكسب الجنة، فهو أعقل.

عندما اتضح ان العقل يطلق على عدة معانٍ، عند ذلك يتضح ان الحد الوسط لم يتكرر في هذه الاستدلالات والقياسات. وإذا كانت المقدمة

---

(١) نهج الفصاحة، الحديث ٣٥٩.

الأولى هي ان نقول ان الشخص الفلاني أكمل من الآخرين في العقل بمعنىٰ (ما يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان)، عند ذلك تكون المقدمة الثانية التي هي كبرىٰ القياس هكذا: ان كل شخص كان أكمل في العقل بمعنىٰ (ما يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان) فهو أقرب إلى الله وهذا قياس منطقي وصحيح.

ولكن إذا قلنا ان الشخص الفلاني اعقل في المسائل الرياضية، الفلسفة، الفقه، أو الفيزياء، ثم نقول: إن كل من هو اعقل هو أقرب إلى الله، هنا لم يتكرر الحد الوسط، لأنه في الكبرىٰ حيث نقول ان كل من هو اعقل، أي كل من كانت تلك الجنبة النورانية (ما يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان) فيه أقوىٰ هو أقرب إلى الله، وليس كل من كان أفقه أو أفهم في الفلسفة، لأنه يمكن ان يكون الشخص أقوىٰ في المسائل العقلية، ولكن حين العمل ينحرف عندما تصل يده ورجله إلى الذنب، عندما لم يتكرر الحد الوسط فهذا القياس يصبح مغالطة بدون نتيجة.

إذا أراد شخص ان يدعي أن عقل الرجل في تلك الجنبة (يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان) هو أقوى من المرأة فليس بمقدوره إثباته أبداً؛ لأنه لا التجربة تدل على ذلك ولا البرهان يؤيده وفي البحوث السابقة اتضح ان المرأة إن لم تكن بمستوىٰ الرجل من حيث المسائل الفكرية، فهي من حيث المسائل القلبية أما بمستوىٰ الرجل أو أقوىٰ منه، أي أن الموعظة تؤثر في المرأة أكثر من الرجل، لو جلست عدة نساء وعدة رجال واستمعوا إلى موعظة نبي لأثرت موعظة النبي في النساء أكثر من الرجال، لأن طريق القلب، طريق الجذب، طريق الانعطاف، طريق القبول، طريق الموعظة يكون في النساء أقوىٰ منه في الرجال؛ لأن الطريق إلى الجنة ليس الفكر والبرهان فقط، بل هناك القلب والموعظة أيضاً، وإذا لم تكن النساء أقوىٰ

من الرجال في قبول الموعظة فعلى الأقل هن بمستوىٰ الرجال. فلا يمكن القول: ان عقل الرجل أكثر من عقل المرأة؛ لأن العقل الذي هو بمعنىٰ (ما يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان) ليس أقوىٰ في الرجل أبداً.

ذكر المرحوم العلامة الطباطبائي ـ رضوان الله تعالىٰ عليه ـ في تفسير الميزان ضمن قبول هذه المسألة ـ بنحو الغلبة، وليس بنحو دائم ـ انه إذا كان عقل الرجل كثيراً في المسائل العلمية، فهذه فضيلة زائدة وليست بمعنىٰ فضل وكمال مثل حديث الثلاثة المعروف:

(إنما العلم ثلاثة: آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنة قائمة، وما خلاهن فهو فضل)[1].

أي أن الزائد على هذه الفروع الثلاثة هو فضيلة إذا كانت لدىٰ شخص فهي فضيلة زائدة وإذا لم تكن لديه لا يتضرر لأنه:
(ذاك علم لا يضرّ من جهله)[2].

أي أنه إذا كان هناك فرق فهو في مجموعة من المسائل التي لا تضر ولا تنفع، لأن الإنسان له سير أبدي، وهذا السير الأبدي، والحياة الأبدية لها ممر للدخول هو عمر الإنسان في الدنيا، وعندما يدخل نشأة أُخرىٰ فان مثل هذه المسائل الاعتبارية والذكاء السياسي أو التنفيذي ليس له سوق. الإنسان يستفيد من تلك الأداة الفكرية ما دام في الدنيا وعندما يدخل إلى عالم البرزخ عند ذلك تنتفي هذه العلوم بل إن هذه العلوم الحصولية تتبدل إلى علوم شهودية.

---

(١) أصول الكافي، ج١، الباب٢.
(٢) أصول الكافي، ج١، الباب٢.

شبهات في البقاء على تقليد الميت:

إن ما يقال من أنه هل يجوز البقاء على تقليد الميت أم لا؟ الاشكال المهم في هذه المسألة ليس هو أن فقيهاً أو مرجع تقليد إذا مات تموتُ أفكاره وآراؤه؛ لأن الموت ليس عبارة عن فناء الروح، الموت هو عبارة عن انفصال الروح عن البدن، البدن هو الذي يموت؛ لأنه فقد متوليه، لا أن الروح تموت. والأفكار والآراء تتعلق بالروح، فمن هو صاحب رأي لم يمت، ومن مات لم يكن صاحب رأي.

بناء على هذا ليس هناك بحث في إمكان البقاء على فتوىٰ المرجع الذي كان يقلده في زمان الحياة.

تبديل العلم الحصولي إلى حضوري بعد الموت:

الاشكال الأساسي هو انه إذا تبدلت فتوىٰ ورأي مرجع التقليد لا يمكن العمل بفتواه السابقة بل يجب العمل بفتواه الجديدة. وعندما كان مرجع التقليد هذا في الدنيا كانت له مجموعة من الآراء والأفكار، ولكن بعد رحلته من الدنيا لا نعلم هل أن مرجع التقليد السابق ظل على الرأي الأولي أم أن فتواه تبدلت بعد الموت وكشف الحقائق له: لأنه بعد الموت يتضح أي من الآراء كان حقاً، قبل الموت كان يستلم الفتوىٰ من كتاب ولكن بعد الموت ليس الكلام عن كتاب ومدرسة وحوزة بل إن الواقع نفسه يتضح له وعليه فهل تبقىٰ فتوىٰ ورأي هذا الشخص بعد الموت على نفس الرأي السابق أم أن مسائل جديدة اتضحت له؟ هذا هو الاشكال الأساسي رغم ان البعض قالوا: إننا نستصحب؛ لأننا لا نعلم هل تبدلت فتواه أم لا.

شبهة أُخرىٰ هي ان العلم المعتبر في مرجع التقليد، والمقلدون يقلدون مراجع التقليد من أثر ذلك العلم الخاص، هو معارف حصولية

واستدلالية تهيأت على أساس الاستنباط من ظواهر الكتاب والسنة أو الاجماع أو البراهين الحصولية للعقل. هناك مجموعة أسس لمرجع التقليد ومجموعة مصادر، حيث يستنبط هذه الأسس والقواعد من تلك المصادر ويفتي بالاستناد إلى هذه الأسس والقواعد الأصولية والفقهية المستنبطة من تلك المصادر، ولكن عندما يرحل من هذه الدنيا عند ذلك لا يستعين بالأسس والقواعد الفقهية عند ذلك لا يستعين بظواهر الكتاب والسنة أو الاجماع، بل تتبدل كل هذه العلوم الحصولية إلى علوم شهودية وحضورية، ويرحل علم المدرسة ويظهر العلم القلبي. والاشكال الموجود هو أن الفقيه إذا حُلت له مسألة بالكشف والشهود يمكن أن تكون حجة له، ولكن هل يستطيع الآخرون أيضاً أن يقلدوا فتوىٰ هذا الفقيه أم لا؟ قيل: أن فتوىٰ الفقيه المعتبرة هي المستنبطة من الأسس والمصادر الحوزية والمصطلحة ولكن إذا ثبتت الأحكام لشخص في ظل تهذيب النفس وتزكية الباطن بدون طريق المدرسة وطريق الفقه والأصول لا يمكن تقليده فيها.

وغاية الأمر بالنظر لأنه يرىٰ عين الواقع فهو مجاز في ان يعمل بفتواه ولكن العلم المتعلق بالكشف والشهود وليس بالاستدلال والأسس والمصادر ليس موضع ثقة للتقليد. نعم هناك فرق بين العلم الذي ينشأ من البداية بواسطة الكشف والشهود مع العلم الذي يستنبط من الأسس والمبادىء الحوزوية في زمن الحياة ويتبدل بعد الموت إلى علم حضوري، والاختلاف هو في أنه بعد رحلة المجتهد أو المرجع وتبديل علمه الحصولي إلى علم حضوري وكشف وشهود هل يمكن أيضاً العمل بفتواه أو البقاء على هذه الفتوىٰ أم لا؟ وهل في مثل هذه الحالات يكون هناك محل للاستصحاب وأمثال ذلك أم لا؟.

الفرض هو انه إذا كان هناك كلام بشأن البقاء على تقليد الميت وأمثال

ذلك فهو ليس لأن البدن له دور بل لأن الروح لها دور، وهذه العلوم الحصولية تتبدل بعد الموت إلى علوم حضورية وهذه العلوم الحضورية ترتبط بالكشف والشهود وتهذيب النفس.

طبعاً إذا لم يكن الشخص من أهل نزاهة الروح فان الحق لا يتضح له بعد الموت بهذه السهولة، لأن هناك بعض الناس لا يعلمون بعد الموت أنهم ماتوا، فهم يرون أن النشأة تغيرت ولكن لا يعلمون ماذا حصل. إن تلقين الموتىٰ في القبور، والقول للميت اعلم أن الموت حق، ليفهم أنه ميت، طبعاً الخواص يفهمون أنهم ماتوا، ولكن كثيراً من الأفراد المتوسطين والضعفاء يرون فقط أن النشأة تغيرت، يرون مجيء عدد من الأشخاص فيحشرون مع آخرين، ولكن ماذا حصل؟ أين هم؟ ما هي الحادثة التي وقعت؟ فلا يعلمون. بعد ذلك يفهمون شيئاً فشيئاً أنهم ماتوا؛ لأن مسألة الموت من أعقد المسائل. الإنسان الذي يدخل في نشأة أُخرىٰ هو كالطفل المولود لا يفهم في البداية أنه انتقل من رحم الأم إلى عالم الطبيعة، وبعد ذلك يفهم أنه قد ولد وحصل على حياة جديدة.

معيار الأفضلية:

الخلاصة انه إذا كان هناك فرق بين المرأة والرجل من الناحية العقلية ففي العقل بمعنىٰ كونه أداة القيام بأعمال الدنيا، أي العقل الذي يستطيع الإنسان به تهيئة العلوم الحوزوية والجامعية حتى تدور عجلة الدنيا، لذا لا تعثرون في أي مكان على شخص يقول إن الأعلم هو أقرب إلى الله، ولكن يقولون: إن الأتقىٰ هو أقرب إلى الله. لو كان هناك مرجعان أحدهما أعلم أو أفقه أو أعرف أو أحكم والآخر أقل منه، ففي كل هذه الفروع ليس الأفضل أقرب إلى الله، فالأفضل في الفقه والأصول، والأفضل في الفلسفة والعرفان، والأفضل في السياسة والأفضل في الأعمال التنفيذية الأُخرىٰ،

أي من هذه ليس دليلاً على التقرب إلى الله، أما الشخص الذي يصبح أتقىٰ فهو أقرب إلى الله. وهذه التقوىٰ تعود إلى العقل العملي.

اتضح في البحوث السابقة أن هناك شأنين أساسيين لهما ظهور في الإنسان حيث يفهم بشأن ويقوم بالعمل بشأن آخر. اليقين، الجزم، المظنة، الوهم، الخيال، وأمثال ذلك هي من شؤون وشعب العقل النظري، أما النية والعزم، والاخلاص، والإرادة، والمحبة، والتولي، والتبري، والتقوىٰ والعدل وأمثالها فهي جزء من العقل العملي، هذا هو معيار الفضيلة، لذا فالأعلم، ليس أفضل عند الله، ولكن الأتقى، هو أفضل عند الله، وإذا كان شخص أعقل في المسائل العلمية فرغم أنه مكرم ومحترم أكثر في المسألة التنفيذية، والشؤون الدنيوية ويجب تسليمه الأعمال، ويجب تقليده حتى تدور عجلة الدنيا بانتظام ولكن لا يعني ذلك أن هذا الشخص يكون أقرب عند الله.

السفاهة في قاموس القرآن:

القرآن الكريم يعتبر بعض الأشخاص من الذين يمكن ان يكونوا أقوياء في المسائل العلمية ولكنهم ضعفاء في المسائل العملية، يعتبرهم سفهاء، فمثلاً إذا كان شخص قوياً في المسائل الرياضية، أو في مسائل العلوم التجريبية وأمثالها ولكن يده وقدمه تزلان في ما يتعلق بالذنب، ويرتكب بعض الذنوب الواردة في النصوص الإسلامية، فان الروايات التي وردت في آخر الآية:

﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾[1].

تعتبر هؤلاء الأشخاص سفهاء، وقد ورد أنكم إذا أردتم أن تزوجوا

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥.

امرأة لشخص فانظروا ان لا يكون هذا الصهر سفيهاً، إذا كان الشخص الفلاني أو الصهر الفلاني مبتلىٰ بالذنب الفلاني، معاذ الله، فهو سفيه ولا تزوجوه.

إن السفاهة في مدرسة القرآن وقاموس الدين غير السفاهة في المسائل العادية، إذا كان شخص متخصصاً في فرع علمي ولكن يده ترتجف عند الامتحان العملي فهذا سفيه، وان هو متخصصاً في الفيزياء. هناك علماء في الفيزياء في البلدان الملحدة يطلقون سفناً فضائية تحير العقول، ولكن عندما تصل أيديهم إلى الذنب تزل وليس لديهم قدرة ضبط، أوانهم يعتقدون بالمبادىء الإلحادية، هؤلاء يعتبرهم القاموس القرآني سفهاء، قال الله تعالىٰ في القرآن:

﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾[1].

الشخص الذي يعرض عن أسلوب إبراهيم عليه السلام هو سفيه رغم انه مخترع أم مبتكر، القرآن يعتبره سفيهاً لماذا؟ لأن هذا السفه هو في مقابل ذلك العقل الذي (يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان) فالشخص إذا (لم يعبد الرحمن ولم يكتسب الجنان) فهو ليس بعاقل أي هو سفيه.

بناء على هذا إذا أراد شخص الحكم بين المرأة والرجل وأن يرىٰ هل المرأة أقرب عند الله أم الرجل، لا يجعل العقل بمعنىٰ العلم المصطلح معياراً فتلك فضيلة زائدة نظمت لإدارة عجلة الحياة، وجميع هذه العلوم الحوزوية والجامعية يفقدها الإنسان بموته، لأن الإنسان يبقى بعد الموت إلى الأبد، لذا يجب ان يأخذ معه شيئاً يكون أبدياً، والشخص الذي هو خطيب جيد أو كاتب، مدرس، مؤلف أو مصنف جيد، كل هذه الصناعات والحرف ترحل

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٠.

بـالمـوت؛ لأن سـوق العلـم الحصـولـي هنـاك معطـل، وعيـن الـواقـع واضـح لـلأفـراد، هنـاك لا يقـال للشخـص ان يـدرس؛ لأن كـل شخـص يـرىٰ كـل مـا موجود، والشيء الذي يفيد هناك هو الذي له سهم من البقاء والأبدية وهو إخلاص العمل لله.

بناء على هذا فإن ما له زبون هنا ليس له زبون هناك وسوقه راكد، وما له سوق هناك لا فرق بين المرأة والرجل فيه.

جمال الإنسان بالعقل:

إذا ورد في بعض الروايات أن:

(عقول النساء في جمالهن، وجمال الرجال في عقولهم)[1].

فهذا ليس أمراً دستورياً، بل هو أمر تعريفي وهو العقل النظري وليس العقل الذي (يعبد به الرحمن)، قال ان عقول النساء في جمالهن، وجمال الـرجـال فـي عقـولهـم، وليـس المـراد أن المـرأة يجـب أن يكـون عقلهـا فـي الجمال، والرجل يجب ان يكون جماله في العقل، بل جمال كل شخص بعقله. هذا دعاء السحر يقرأه الرجل والمرأة، والجمال الذي يسأله الإنسان في الأسحار هو الجمال العقلي.

(اللهم إني أسألك من جمالك بأجمله وكل جمالك جميل. اللهم إني أسألك بجمالك كله)[2].

إن جمال الرجل وجمال المرأة هو في العقل الذي (يعبد به الرحمن ويكتسب بـه الجنـان) وفـي هـذا العقـل أيضـاً (جمـال الـرجـال فـي عقـولهـم) وكذلك (جمال النساء في عقولهن).

(١) بحار الأنوار، ج١٠٣، ص٢٢٤.
(٢) مفاتيح الجنان، دعاء السحر.

معنىٰ العقل في قاموس القرآن:

فسر القرآن الكريم وكذلك روايات المعصومين عليهم السلام ـ، العقل بالشيء الذي يفهم الإنسان بواسطته الحق ويعمل به، فمجموعة الإدراك والعمل تسمى (العقل) في قاموس الدين، والذي لا يدرك صحيحاً ليس عاقلاً، والذي يدرك وهو عالم ولكنه لا يعمل بعلمه فهو ليس عاقلاً أيضاً. مجموعة هاتين الفضيلتين التي بينت في الآيات بصورة العقل ذكرت في الحديث المعروف بصورة (العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان)[1]، الشخص الذي لا يعلم لا يستطيع كسب الجنة، والشخص الذي يعلم ولكنه لا يعمل لا يستطيع كسب الجنة. حقيقة (العقل ما عبد به الرحمن) هي خلاصة الجزم والعزم أي إذا وصل الإنسان إلى مقام الجزم بالبرهان النظري ووصل إلى مقام العزم من أثر قوة العقل يصبح ذلك العزم بإضافة هذا الجزم العقل المصطلح الذي عبر عنه بـ (يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان).

قال تعالىٰ:

﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾[2].

هذا اللسان هو علامة على أن الواعظ غير المتعظ ليس عاقلاً، وإن كان عالماً. الذين يدعون الناس إلى البر، أو يدرسون، أو يؤلفون، أو يخطبون أو يرشدون ويعظون هم علماء ولكنهم ليسوا عاقلين، لذا يقول تعالىٰ:

إن الشخص الذي يفكر بإصلاح الآخرين وينسى نفسه ليس عاقلاً؛

---

(١) أصول الكافي، ج١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

لأنـه لا هـو يصبـح صـالحـاً ولا ينجـح فـي اصـلاح الآخـريـن، لأن إصـلاح الآخرين ليس مجرد الأمر بالمعروف اللفظي، بل ورد في هذا الحديث:
(كونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم)[1] .

أي كـونـوا أسـوة، أي عنـدمـا تعيشـون فـي المجتمـع بـوصفكـم علمـاء صالحين، فأنتم أسوة للمتقين، بسيرتكم ادعوا الناس إلى الاقتداء بكم، وليس مراد الحديث الشريف أن ادعوا الناس إلى أنفسكم واكسبوا قلوبهم إليكم حتى يحبوكم. يجب دعوة الناس إلى الله، وواضح أن الشخص الذي لا ينبض قلبه من أجل حب الناس لا ينجح أبداً في أن يكون أسوة للآخرين.

بناء على هذا إن القرآن الكريم لا يعتبر الواعظ غير المتعظ عاقلاً، فـالعقـل فـي رأي القـرآن الكـريـم هـو مجمـوع العلـم والعمـل الـذي يعبـر عنـه (الإيمان الجامع)، والشخص إذا كان فاقداً لكليهما أو أحدهما فهو ليس عاقلاً في قاموس القرآن بل هو سفيه. كما جاء في القرآن:
﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾[2] .

فمعيار العقل هو ان يتخلص الإنسان من الوهم والخيال في المسائل النظرية ويتخلص من سائر الشبهات والشهوات بالعزم العملي.

ميزة القصص القرآنية:

وبعد ان اتضح العقل في قاموس القرآن نذهب الآن إلى هذه المسألة وهي هل ان المرأة اعقل أم الرجل، أم متساويان، ويجب أن نحلل الشواهد والقصص التاريخية من منظار القرآن الكريم من أجل هذا الفرض. ولكن قبل دراسة قصص القرآن يجب أن نلتفت إلى ان هناك فاصلة غير قليلة بين

---

(١) أصول الكافي، ج٢، ص٧٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٠.

نقل القصة في قاموس القرآن وبيان القصص التاريخية للبشر، حيث ان القصص التاريخية ليست غالباً سنداً قطعياً لأحد الطرفين، لأنها قضايا شخصية ولكن من تقرير عدة قضايا شخصية يمكن استنباط قاعدة عامة، والاستنباط أحياناً قطعي وأحياناً ظني، ولكن يمكن استنباط مسألة جامعة من مجموع عدة قضايا شخصية، وهذه أيضاً يعدها القرآن فلسفة القصة، حين يذكر قصص الأنبياء وأممهم ويقول:

﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾[1].

أي أننا نقوم بهذا العمل أو حين يقول:

﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾[2].

ورغم ان قضية يوسف عليه السلام هي قضية شخصية ولكن القضية الشخصية التي يبينها الوحي تفرق عن القضايا التاريخية التي يعرضها الآخرون، عندما يعرض كتاب التاريخ القضايا التاريخية يتكلمون من منطلق ظني، ولكن عندما يعرض الوحي قضية تاريخية يعرض ويعلن قاعدة عامة بوصفها تقريراً عينياً مع ذكر نموذج جزئي.

قضية يوسف عليه السلام هي من هذا القبيل، عندما وصل يوسف عليه السلام إلى المقصد ورأىٰ أخاه إلى جانبه، بين ان التوفيق لا يختص به، وان فيض الله تعالىٰ لا يختص به، بل هو لجميع المتقين بوصفه قاعدة عامة **﴿من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾**.

ان الاستنباطات من القرآن الكريم إذا كانت شواهدها ملحوظة كاملاً فإنها تعبر حد المظنة وتصل إلى حد الجزم بشرط ان يلاحظ ذلك المستنبط

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٩٠

جميع المسائل. أما الأخبار التي ينقلها المخبرون البشر. فيرافقها الظن أحياناً لأنها تكون غالباً في حد الاستقراء، وإذا حصلت أحياناً بصورة تجربة فهي قليلة جداً، ولكن القصص القرآنية بالنظر لأن الله تعالىٰ يعرض إلى جانبها قاعدة عامة، فيتضح أنه حتى ولو كان هناك نموذج واحد فهو من تلك القاعدة العامة، وليست القضية تصادفية، بل هي مصداق لجامع حقيقي وفرد لذاتي وهذا هو الفرق بين قصة القرآن مع غير القرآن.

ان القرآن الكريم يبين في القصص التي يذكرها أحوال الأنبياء وقضاياهم مع الطواغيت، كثير من الأنبياء جاؤوا ووعدوا طواغيت عصورهم فلم يؤثر فيهم فهددوهم فلم يؤثر حتى:

﴿فغشيهم من اليم ماغشيهم﴾[1].

ولكن عندما أرسل إلى امرأة كتاب دعوة كانت تتضمن وعداً مع وعيد وتهديد مع بشرىٰ، نرىٰ أنها تؤثر. فهل أن هذا هو بسبب أن هذه المرأة خافت أم أنها كانت أعقل من أولئك الرجال؟ كل هذه البيانات الحضورية بينها موسىٰ وهارون عليهما السلام لرجال حكومة آل فرعون ولم تؤثر أي أثر، كل تلك المعجزات الحسية الكثيرة بينوها لأولئك، ولم تؤثر حتى أنهم قتلوا وأسروا كثيراً من قوم بني إسرائيل وكان فخرهم أنهم ذبحوا أبناء هؤلاء القوم واستحيوا نساءهم، كي يعملن لهم كما أشير إلى هذه القضية في القرآن:

﴿يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾[2].

وقد تكررت هذه القضايا بصورة متنوعة في مسألة المسيح والخليل وكثير من الأنبياء بعد إبراهيم عليه السلام.

---

(١) سورة طه، الآية: ٧٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٩

قصة ملكة سبأ في القرآن:

أما حين يأتي دور ملكة سبأ. فنرىٰ أن سليمان عليه السلام أرسل إليها كتاباً فيه وعد ووعيد فتهيأت لقبول الحق. بينما لم تكن قوة تلك المرأة أقل من السلاطين الآخرين، لكنها كانت أعقل من سائر الرجال ـ في البحوث السابقة اتضح أنه إذا ثبت أن المرأة أضعف من الرجل في الفكر، أي ان طريق الفكر والكلام وطريق البرهان وعقل النظر مفتوح أكثر للرجل فلم يثبت أن الرجل أقوىٰ من المرأة في طريق القلب والعرفان والموعظة. ظاهراً المرأة أقوى من الرجل في هذا الطريق والمناجاة والموعظة تؤثر في المرأة أكثر من الرجل، وهذا هو طريق أكثر عمومية وعملية وتأثيراً واستعماله أوسع، ففي الطريق الذي يصل الإنسان بسلوكه إلى المقصد بصورة أسرع وأفضل، في ذلك الطريق نجد المرأة أما هي بالتأكيد أكثر نجاحاً من الرجل أو هي بمستواه.

ووصل كتاب من سليمان عليه السلام إلى هذه المرأة، كانت تحكم في اليمن، حيث جاء في القرآن في شرح هذه القضية على لسان الهدهد يصوره سلطنة ملكة اليمن هكذا:

﴿أني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم * وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾[1] بعد وصول خبر ملكة اليمن بواسطة الهدهد إلى سليمان عليه السلام كتب سليمان عليه السلام كتاباً مختصراً:

﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * الا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين﴾[2]..

(١) سورة النمل، الآيتين: ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) سورة النمل، الآيتين: ٣٠ ـ ٣١.

عندما وصل هذا الكتاب إلى بلاط تلك المرأة قالت:

﴿إني ألقي إليّ كتاب كريم﴾[1] .

كرامة الكتاب لم تكن في ختمه فقط، محتوىٰ الكتاب هو سبب كرامة ذلك الكتاب. ورغم أن الأدب الصوري لمثل كتابة الرسائل تلك وإيصالها له دور أيضاً. ولكن السهم المؤثر في كرامة الكتاب هو مضمون الكتاب. قالت هذه المرأة **﴿إني ألقي إليّ كتاب كريم﴾** هذا الكتاب هو من قبل سليمان ومحتواه الدعوة إلى الإسلام، لذا تشاورت مع أفراد بلاطها فقالوا:

﴿نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد﴾[2] .

نحن أقوياء من حيث المسائل السياسية والعسكرية وليس لدينا نقص ولكن:

﴿والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾[3]

من الأن وما بعده يجب رؤية ما هو التهور وما هي الشجاعة، ما هو الخوف وما هو الاحتياط، ما هو الجهل، وما هو العقل؟ إن عدم التسليم أمام الحق هو تهور وليس شجاعة. وإن عدم الخضوع في محضر الله هو توحش وليس قوة لذا قالت تلك المرأة أنا اختبره لأرىٰ هل ان هدفه هو الحكومات الدنيوية أم أنه قطع طريق الأنبياء: اختبره أولاً بالمسائل المالية.

﴿وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾[4] .

لما أرسلت الهدايا ورفض سليمان عليه السلام الهدايا وقال:

---

(١) سورة النمل، الآية: ٢٩.

(٢) سورة النمل، الآية: ٣٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سورة النمل، الآية: ٣٥

﴿**بل أنتم بهديتكم تفرحون**﴾[1]

أجاب جواباً فهمت تلك المرأة منه ان نظام سليمان ليس نظاماً مالياً حتى يكون تطميعه ممكناً، ليس نظاماً يمكن إرضاؤه باعطاء السلطة والصلاحية ومصالح البلد إليه، حتى يغض النظر عن الدعوة إلى الإسلام. ثم قالت:

﴿**إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون**﴾[2].

هل ان آخر الآية هو كلام تلك المرأة أم توقيع إلهي، هذه مسألة أخرىٰ - وقبل ان تتشرف ملكة سبأ بزيارة سليمان عليه السلام جيء بعرشها باقتراح من سليمان عليه السلام:

﴿**قال عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك**﴾[3].

﴿**قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك**﴾[4].

لما جاءت تلك المرأة أمر سليمان ان يغيروا عرش ملكة سبأ تغييراً قليلاً حتى يختبر ذكاءها وانتباهها فقالت: ﴿**كأنه هو**﴾[5] ولم تقل(أنه هو)، وأخيراً بعد مجموعة مناظرات ومباحثات ومحاورات وأسئلة وأجوبة، قالت:

---

(١) سورة النمل، الآية: ٣٦.
(٢) سورة النمل، الآية: ٣٤.
(٣) سورة النمل، الآية: ٣٩.
(٤) سورة النمل، الآية: ٤٠.
(٥) سورة النمل، الآية: ٤٢.

﴿ربّ إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان للهِ ربّ العالمين﴾[1] .

قال تعالىٰ: ﴿وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين﴾[2] .

(صدّ) مع (صاد) أي (صرف)، الإنسان الذي هو (صارف) ولا يسمح ان يذهب الاخرون إلى طريق الحق هو (صاد عن سبيل الله). الصادّ عن سبيل الله لديه صرف وانصراف. الإنصراف مقدم على الصرف عن طريق الحق، ويصرف سالكي طريق الحق أيضاً، ليس ممكناً ان يكون شخص سائراً في طريق الحق ويصرف الآخرين السالكين عن طريق الحق. الإنسان التائه يقطع طريق السائرين. قوله: (ضلوا وأضلوا) الإضلال مسبوق دائماً بالضلالة، كما ان الهداية أيضاً مسبوقة بالاهتداء، أي الإنسان المهتدي هو هادٍ للآخرين وفي جميع المسائل هكذا. جاء في الآية الكريمة أيضاً:

﴿وصدها ما كانت تعبد من دون الله أنها كانت من قوم كافرين .﴾

أي ان طبيعة الوثنية والصنمية كانت صادة وصرفتها لأن الوثنية نفسها هي انصراف عن طريق الحق، ولكن في نفس الوقت كان طريق الفطرة والفكر واتخاذ القرار مفتوحاً أمامها لذا بعد ان ذكر القرآن بان الوثنية صدتها عن الإيمان، ذكر انها عندما تحدثت مع سليمان عن قرب قالت: ﴿ربّ أني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾، لم تقل (أسلمت لسليمان) بل قالت (﴿أسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ لذا يذكر الله تعالىٰ هذه القضية بوصفها موعظة وفيها عبرة.

إذا أراد شخص أن يفهم هل أن آل فرعون أعقل أم هذه المرأة، آل

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٤.

(٢) سورة النمل، الآية: ٤٣.

نمرود أعقل أم هذه المرأة، السلاطين الذين كان المسيح عليه السلام في مواجهة معهم أعقل أم هـذه المرأة؟ بعد ان تحدد معنىٰ العقل في قاموس القرآن، يتضح أن هذه المرأة التي كانت تحكم في اليمن، كانت أعقل من كثير من الحكام الرجال، كانت تعرف أن الشجاعة هي في التسليم للحق، وميزت الشجاعة من التهور لم تقل إننا لسنا مستعدين للقبول بالأنبياء الغرباء، لأن هذا الطبع والسيرة هو طبع وحشي، فهي قبلت لأنه ليس هناك شيء غريب في الأمر، فسليمان معروف، بأنه نبي جاء برسالة محب وعرض كلام الحق. بناء على هذا يطرح القرآن الكريم هذه بوصفها نموذجاً وإذا كان هناك رجال صالحون فهناك أيضاً رجال قاموا بفساد وإفساد وهلاكِ نسل الناس وحرثهم، قتلوا كثيراً من الناس الأبرياء، ولكن هذه المرأة حفظت كثيراً من الدماء، لذا يذكرها القرآن بعظمة، وعلى أساس هذه القضية قالت نساء كثيرات في صدر الإسلام: (أسلمت مع رسول الله، لله رب العالمين).

النبوغ الفكري والسياسي للمرأة:

من النماذج البارزة للنبوغ الفكري للمرأة، هو تساويها مع الرجل في أهم الفضائل التي يذكرها الله للإنسان وفي هذا الصدد يمكن ذكر نموذجين: (١) النبوغ الفكري والثقافي. (٢) النبوغ السياسي والتواجد في ساحة الساسية والمجتمع.

إن النبوغ الفكري والثقافي ليس هو أن يطلع شخص على موضوع أسرع من الآخرين، فمثلاً إذا طالع شخص كتاباً أسرع من الآخرين واطلع على مضمونه، أو حضر في جلسة علمية قبل الآخرين واطلع على محتوىٰ المحفل، فإن هذا السبق الزماني ليس دليلاً على نبوغه الفكري، لأنه يمكن لو أن هذا الشخص الثاني شارك في ذلك المحفل العلمي في اليوم الأول لكان فهمه أفضل منه. بناء على هذا فإن هذا النوع من السبق والتقدم ليس

دليلاً على فضيلة ونبوغ، ولكن إذا طرحت مسألة علمية عميقة وكانت هذه المسألة العلمية العميقة نظرية لبعض المستمعين، وضرورية لبعض آخر يتبين أن الذين كانت المسائل العلمية واضحة وضرورية لهم يتمتعون بنبوغ خص وهذه المجموعة تفهم أفضل من الآخرين، هنا ليس مجرد السبق الزماني حتى لا يكون عامل فخر، بل هو دليل على السبق الفكري والثقافي العلمي لأولئك الأفراد، فالشخص الذي يفهم مسألة عميقة أسرع من آخر يتضح أنه إما يعرف المبادىء والأسس الاستدلالية لتلك المسألة أو أنه قطع قبل ذلك هذا الطريق أو أنه يقطع هذا الطريق بسرعة. وعلى أي حال يفهم المسألة العلمية العميقة أسرع من الآخرين والسبق هنا دليل نبوغ. كما انه لو قام شخصان بعمل خير مع فارق في الزمن. فان مجرد هذا التقدم والتأخر الزمني ليس دليل فخر، ولكن القيام بالعمل الذي يتطلب إيثاراً وتضحية ليس بمقدور كل شخص وإذا قام شخص من بين هذه المجموعة بذلك العمل بتضحية ونجح، هنا ليس مجرد السبق الزمني، بل انه يحكي عن نبوغ فكري واخلاص خاص، وهذه هي قاعدة عامة سواء بشأن النظر والجزم، أو بشأن العمل والعزم.

علة امتياز السابقين:

بناء على هذه القاعدة العامة فان هناك حرمة خاصة في القرآن الكريم للذين اسلموا أسرع من الآخرين وصدقوا رسالة رسول الله ﷺ، من أجل هذا السبق في اعتناق الإسلام وكذلك الذين نصروا الدين بالأرواح والأموال قبل الآخرين وتواجدوا في ميدان الحرب والدفاع عن الحق قبل الآخرين لهم احترام خاص ودرجة خاصة، في هذا النوع من الحالات، ليس سبب الفضيلة هو مجرد السبق الزمني، بل هو النبوغ الثقافي والفكري في قسم النظر، والنبوغ العملي في مرحلة العمل، وبتوضيح هذه المقدمة يتضح

لماذا يذكر القرآن الكريم المهاجرين والأنصار السابقين بتعظيم ويقول:

﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾[1] .

الذين عرفوا الدين قبل الآخرين ونصروه، والذين هاجروا قبل الآخرين وجاؤوا من مكة إلى المدينة أو نصروا المهاجرين قبل الآخرين، مثل هؤلاء الأشخاص سبقوا بتضحيتهم وإيثارهم، ولكن أولئك ليسوا أفضل من ناحية أن لهم سبقاً زمانياً فقط بل إن لهم حرمة خاصة من حيث أنهم أدركوا الإسلام أفضل من الآخرين.

في ذلك اليوم حيث كان الفكر السائد هو تفكير الجاهلية وعبادة الأصنام وحب المال، إذا استطاع شخص التحرر من تلك الرواسب الجاهلية وعرف الإسلام الخالص وصدق بحقانيته وداس على جميع العادات الجاهلية وأسلم بشهامة كاملة ودافع عن الإسلام العزيز فكراً وعملاً، فهو يتمتع بنبوغ خاص، لذا ذكر الله تعالىٰ هذه الجماعة بتكريم خاص وقال:

﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ .

وكذلك ذكر تعالىٰ هؤلاء بحرمة خاصة في سورة الحديد وقال:

﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنىٰ﴾[2]

أي أن الجميع مأجورون ولكن أجر أولئك الذين نصروا النبي ﷺ في زمن ضعف الإسلام وأعانوه بالمال والأنفس، هؤلاء يتمتعون بحرمة خاصة والذين آمنوا ونصروا الدين بعد انتشار القرآن والإسلام ليس لهم سهم من تلك الحرمة الخاصة، كما جرى في الثورة الإسلامية في إيران. فالذين

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٠.

التحقوا بالثورة قبل الانتصار لا يستوون مع الذين أصبحوا ثوريين بعد الانتصار. إن تحديد حقانية الإسلام يتطلب نبوغاً فكرياً وثقافياً، والخدمة بإيثار قبل الثورة حتى مرحلة انتصارها يتطلب شجاعة خاصة، لذا لا تتساوىٰ إعانة الثورة قبل النصر مع إعانتها بعد النصر، كما أن ما جرىٰ قبل القبول بالقرار ٥٩٨ لمجلس الأمن وبعد قبول القرار ليسا متساويين، الإيثار والتضحية في زمن الحرب لا يستوي مع الايثار والتضحية في زمن السلم، فان تلك تكشف عن شهود ثقافي وشهامة وعزم عملي.

إن الشواهد القرآنية التي تذكر السابقين بعظمة وتذكر طلائع الثورة بتكريم أدت لإدراك المحققين في الروايات التي وردت في مدح علي بن أبي طالب عليه السلام يحلل جيداً إن إحدىٰ الفضائل البارزة لأمير المؤمنين عليه السلام والتي احتج بها الإمام نفسه وكذلك استدل سائر أهل البيت بهذه الفضيلة واستند عليها المحققون والعلماء الشيعة هي ان (أمير المؤمنين أول القوم إسلاماً)[1] ، ان قوله:

(يا علي، أنت أول المؤمنين إيماناً وأول المسلمين إسلاماً)[2] .

إن هذا ليس من أجل ان تقدم أمير المؤمنين على الآخرين كان مجرد تقدم زماني، أي انه اسلم قبل ان يسلم الآخرون؛ لأن مجرد السبق الزماني ليس دليل فخر. ولا حداً وسطاً لبرهان مستدل. لا يمكن ان يستدل للخلافة أو الإمامة أو الولاية أو إثبات مقامات أفضل بمجرد السبق الزمني، ويقال: بالنظر لأن علي بن أبي طالب عليه السلام آمن قبل الآخرين فهو يتمتع بحرمة خاصة؛ لأن مجرد السبق الزمني ليس علامة كمال بل المقصود هو السبق الرتبي، أي أنه في اليوم الذي عرض عليكم القرآن والإسلام ورسالة رسول

(١) أصول الكافي، ج١، ص٤٥٤.
(٢) الغدير، ج٣، ص٢٢٨.

الله ﷺ ، وأنتم لم تستطيعوا تحديد الحقانية أساساً أو كان تحديدكم ضعيفاً، أو إذا كنتم حددتم لم تستطيعوا الدفاع ولم تكن فيكم شهامة الايثار والتضحية، ولم يكن لديكم ذلك الصبر في تحمل المشقة، فهم علي عليه السلام حقانية ذلك بسرعة وآمن به ودافع عنه. هذا النوع من المعرفة والصبر هو علامة نبوغ فكري في قسم النظر، وعلامة شهامة في قسم العمل.

يتضح من هذه المقدمة القصيرة لماذا يتمتع السابقون في الإسلام بحرمة خاصة.

النساء السابقات في الدين:

عندما نراجع إحصاء وأرقام السابقين في الدين نرىٰ أنه كما أن هناك أشخاصاً في الصف المتقدم مثل أمير المؤمنين عليه السلام فان هناك أشخاص آخرين مثل خديجة عليها السلام وسمية آل ياسر. عليها رحمة الله ـ. ان تقدم خديجة في الإسلام هو بسبب سبقها الرتبي، لأن كثيراً من الرجال كانوا يترددون في تشخيص حقانية الإسلام. ولكن خديجة عليها السلام شخصت الحق. قد يكون هناك كثير من الناس شخصوا أن الحق هو مع النبي ﷺ ، ولكن لم تكن لديهم تلك الشهامة، ولكن خديجة كانت لديها تلك الشهامة، إذا أراد شخص ان يدوس على عادة باطلة، وان يقبل بالدين الحق فذلك يتطلب نبوغاً فكرياً وكذلك شهامة كبيرة. في الظروف التي كان كثير من الرجال يفتقدون كلا أو إحدى هاتين القاعدتين، كانت خديجة عليها السلام تحمل كلتا القاعدتين، لذا ضحت بالمال.

ومن النساء الأخريات السابقات سمية التي شخصت حقانية الدين من أثر البلوغ الفكري والثقافي واسلمت وتحملت تعذيباً قاسياً بصبر قل نظيره. وعندما مرّ رسول الله ﷺ على آلِ عمار ورآهم في ذلك التعذيب قال:

(صبراً يا آل ياسر ان موعدكم الجنة).

آمن هؤلاء بالغيب حتى الشهادة، وأصبحت هذه المرأة في صف أول شهيد في الإسلام، وواضح ان المسألة ليست سبقاً زمنياً فقط بل هي سبق رتبي يتطلب نوعاً من النبوغ الثقافي وشهامة عقل عملي. هذه هي نماذج تتعلق بتواجد المرأة في قسم النبوغ الثقافي وإيثار وتضحية عقل العمل.

وأما المقام الثاني للكلام، الذي هو تواجد المرأة في ساحة السياسة والمجتمع فمن اللازم ذكر مقدمة قصيرة في هذا المجال لتوضيح البحث.

ضرورة تواجد المرأة في ساحة المجتمع:

يطرح الدين من خلال نظرته إلى البشر برؤية جماعية، وإن للإنسان هوية جماعية ـ سواء كان للمجتمع وجود حقيقي أم لم يكن ـ مجموعة وظائف بوصفها وسائل اجتماعية، الذين لا يتمتعون بنبوغ، ويفكرون بأنفسهم فقط لا يدركون الخطوط العامة الاجتماعية، أو أنهم إذا أدركوا الخطوط العامة للمجتمع ليس لديهم قابلية التضحية والإيثار، لذا لا يدخلون في ساحة المجتمع، إذا كان هناك شخص من أهل القيام والمبادرة يتضح أنه أدرك مسألة الهوية الاجتماعية للبشر جيداً، وكذلك درس جيداً لزوم التضحية لتكريم الهوية الجماعية. في القرآن الكريم جاء تعريف المؤمنين الصادقين هكذا:

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾[1] . أي ان المؤمنين الصادقين هم المعتقدون بالله ورسوله ويعرفون المجتمع جيداً من حيث إدراك المسائل الاجتماعية والذكاء الجمعي، ويتواجدون دائماً في المسائل الجماعية وليسوا منعزلين

(١) سورة النور، الآية: ٦٢.

﴿وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾. الأمر الجامع، هـي المسـائـل الجمـاعيـة للنظـام مثـلاً مسـألـة صـلاة الجمعـة أمـر جـامـع. المظاهرات ضد الطغيان والاستكبار، والمشاركة في الانتخابات، تأييداً لقيـادة المسـؤوليـن الإسـلاميين، وتـأييـد العـامليـن الصـادقيـن، والأمـر بالمعروف العام والنهي عن المنكر الجماعي، ومئات الأمثلة من هذا القبيل كلها أمور جامعة، لذا يقول الله تعالىٰ في هذا الجزء من القرآن إن المؤمنين الصادقين هم الذين لا يتركون قائدهم وحده في أي أمر جامع ولا يتركون الساحة بدون كسب إذن من القائد حيث أن قضية حنظلة غسيل الملائكة هي في آخر هذا القسم من الآيات حيث ترك ساحة الحرب مؤقتاً بإذن من رسول الله ﷺ[1].

إن امتلاك الذكاء الاجتماعي ومراعاة الحيثية الجماعية محترم إلى درجـة أن القـرآن اعتبـرهـا مـن خصـائـص المـؤمنيـن، وقـال: إن المـؤمنيـن الصادقين هم الذين يتواجدون في المسائل الجماعية للمجتمع ولا يتركون قائدهم لوحده ولا يتركون الساحة بدون عذر مقبول. وإذا كانوا معذورين أيضاً لا يذهبون بدون اطلاع، فلا يقول: ما دمت مريضاً فلن أذهب بل يعلن إنني لا أجيء لأنني مريض، حتى لا يفتح طريق الاعتذار للآخرين **﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾** إذا كان الشخص معذوراً وترك الساحة بإذن القائد يفقد فضيلة، لذا يأمر الله تعالىٰ رسوله ﷺ بان يستغفر للذين يتركون الساحة بعذر ولا يأتون إلى الساحة لأخذ إذن وإعلان عذر، ويصدر أمر الاستغفار في آخر هذه الآية.

بناء على هذا يتبين ان الشخص الذي لم ينجح في التواجد في مسألة

---

(١) أعيان الشيعة، ج٧، ص٣٢٤.

اجتماعية لم يستفد من فيض حيث يجب ان يرحم باستغفار رسول الله ﷺ ، كما ان المرأة محرومة في بعض أيام الشهر من توفيق الصلاة وقيل انه إذا توضأت وجلست في مصلاها نحو القبلة وذكرت بمقدار وقت الصلاة فهناك أمل بتعويض ذلك الثواب، أو المسافر المحروم من الصلاة الرباعية إذا قرأ التسبيحات الأربع ثلاثين أو أربعين مرة بعد إتمام الركعتين فسوف يؤدي إلى تدارك ذلك الثواب، كذلك هنا إذا كان شخص معذوراً ولم يستطع التواجد في الساحة وذهب بإذن، فان القادة الإلهيين مأمورون بأن يطلبوا المغفرة لهؤلاء، لأن طلب المغفرة هذا يكون عامل سكينة. وهدوء وطمأنينة قلوب أولئك؛ لأن استغفارهم مؤثر ودعاءهم مهدىء. هذه هي صورة من الوظيفة الجماعية لأفراد المجتمع يرسمها القرآن، وفي هذا القسم ليس هناك فرق بين المرأة والرجل.

تواجد المرأة في ميدان السياسة:

سودة بنت عمار بن الأسك الهمداني قصتها من القصص المعروفة والخالصة في التاريخ، كانت تتمتع بذكاء اجتماعي، وكذلك كانت تعتبر المشاركة في ميدان السياسة وظيفتها. لم تكن تفكر في إخراج بساطها من الماء، لم تكن تفكر في الخوف من حكومة الأمويين، أو تكتفي بحل مشكلتها خاصة وتقول: ما دمت وصلت المقصد فما شأني بالآخرين الذين ضلوا في الطريق. أساس هذه القصة ذكر بشكل مفصل في كتب التاريخ، ونبينها هنا بصورة إجمالية حتى يتبين ان التفكير السياسي هذا والتواجد في المسائل الجماعية تنتفع به النساء أيضاً كما ينتفع به الرجال.

إن الاعلام بشأن الأشخاص مؤثر جداً. وسر ان أبا ذر ـ رضوان الله عليه ـ اشتهر من حيث الكفاح هو لأن كفاحه القولي والعملي مدون في الكتب ويطرح في المحاضرات، وعرض عدة مرات بشكل افلام وغيرها،

كانت هناك نساء كأبي ذر، كان لهن تواجد في ساحة الحرب ويستعملن آيات من القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ لتشجيع القوات المقاتلة، كان لديهن اطلاع جيد في آيات القرآن ويتلون الآيات في محلها، ويستفدن منها كدليل وكن يتمتعن بحضور ذهني في القرآن بحيث كن يستفدن من الآيات ليس في زمن القوة فقط بل في زمن الضعف أيضاً ويعترضن مثل أبي ذر، كما كن يدافعن عند الشجاعة مثل مالك الأشتر.

لو أن الأعمال التي قامت بها النساء على نمط أبي ذر في الحروب والميادين السياسية في الإسلام، قيلت عشرات المرات، وتحولت في شكل فيلم اعلامي وكتبت عشرات الكتب في ذلك المجال، لكان قد تحدد عند ذلك ان النساء كانت مثل أبي ذر ومالك الأشتر في تقدم المسائل العسكرية في صدر الإسلام.

إن مثل هذه النشاطات للنساء في صدر الإسلام كثيرة في حالات السراء والضراء، حيث نشير في هذا القسم إلى بعض الأمثلة حتى يتبين النبوغ الفكري للنساء وتواجدهن في الميادين السياسية والدفاع.

ذكر في التاريخ ان مرأة دخلت على رسول الله ﷺ وعرضت كلامها وأخذت نتيجة، وان امرأة دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وأخذت نتيجة.

قضية حضور سودة في بلاط معاوية:

استأذنت على معاوية بن أبي سفيان فاذن لها. دخلت عليه قال: هيه يا بنت الأسك ألست القائلة يوم صفين:

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة	يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر علياً والحسين ورهطه	واقصد لهند وابنها بهوان
إن الإمام أخو النبي محمد	علم الهدىٰ ومنارة الايمان

فقــد الجيــوش وســر أمــام لــوائــه　　قــدمــاً بــأبيــض صــارم وسنــان

قالت: أي والله ما مثلي من رغب عن الحق واعتذر بالكذب، قال لها: فما حملك على ذلك؟ قالت: حب علي عليه السلام واتباع الحق، قال فوالله لا أرىٰ عليك من أثر علي عليه السلام. قالت أنشد الله يا أمير المؤمنين واعادة ما مضىٰ وتذكر ما قد نسي. قال هيهات ما مثل مقام أخيك ينسىٰ وما لقيت من أحد ما لقيت من قومك وأخيك قالت: صدق فوك لم يكن أخي ذميم المقام ولا خفي المكان كان والله كقول الخنساء:

وان صخــرا لتــأتــم الهــداة بــه　　كــأنــه علــم فــي رأســه نــار

قال: صدقت لقد كان كذلك، قالت مات الرأس وبتر الذنب وبالله أسأل أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيت منه. قال قد فعلت فما حاجتك؟ قالت: إنك أصبحت للناس سيداً ولأمرهم متقلداً والله سائلك من أمرنا ما افترض عليك من حقنا ولا يزال يقدم علينا من ينوء بعزك ويبطش بسلطانك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس البقر ويسومنا الخسيسة ويسلبنا الجليلة. هذا بسر بن أرطأة قدم علينا من قبلك فقتل رجالي وأخذ مالي. يقول لي: فوهي بما استعصم الله منه والجأ إليه فيه (لعل المراد سب علي عليه السلام) ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فإما عزلته عنا فشكرناك، وإما لا فعرفناك. فقال معاوية: اتهدديني بقومك لقد هممت ان أحملك على قتب أشرس فاردك إليه ينفذ فيك حكمه. فأطرقت تبكي ثم أنشأت تقول:

صلّىٰ الإلــه علــى جســم تضمــه　　قبــر فــأصبــح فيــه العــدل مــدفــونــاً
قــد حــالــف الحــق لا يبغــي بــه بــدلاً　　فصــار بــالحــق والايمــان مقــرونــا

قال لها ومن ذاك: قالت: علي بن أبي طالب، قال: وما صنع بك

حتى صار عندك كذلك؟ قالت: قدمت عليه في رجل ولاه صدقتنا فكان بيني وبينه ما بين الغث والسمين، فأتيت علياً لأشكو إليه ما صنع بنا فوجدته قائماً يصلي فلما نظر إلي انفتل من صلاته ثم قال لي برأفة وتعطف: الكِ حاجة؟ فأخبرته الخبر فبكىٰ ثم قال: اللهم إنك أنت الشاهد عليّ وعليهم إني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك، ثم أخرج من جيبه قطعة جلد وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بيّنة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين، وما أنا عليكم بحفيظ. إذا قرأت كتابي فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام. فأخذته منه، فوالله ما ختمه بطين ولا خزمه بخزام، فقرأته. فقال لها: لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان فبطيئاً ما تفطمون. اكتبوا لها برد مالها والعدل عليها قالت إلي خاصة أم لقومي عامة؟ قال: ما أنت وقومك؟ قالت: هي والله إذن الفحشاء ان كان عدلاً شاملاً وإلا فأنا كسائر قومي. قال: اكتبوا لها ولقومها.

نتيجة البحث:

يستفاد من هذا النموذج: أنه كما انه حضور المرأة في محضر رسول الله ﷺ أثمر ثماراً كثيرة فان حضور المرأة في محضر أمير المؤمنين عليه السلام تضمن هذه الثمار أيضاً. وثانياً: أن تواجد المرأة في المسائل الاجتماعية والسياسية هو مثل الرجل، وثالثاً: ان المرأة تستطيع مراجعة محاكم حكام الجور من أجل استحقاق الحق الضائع وتستطيع ان تكون حامي حقوق الآخرين، بل هي موظفة أن تعتبر الدفاع عن حقوق الآخرين معروفاً والدفاع عن حقوق الأشخاص بمعزل عن حقوق المجتمع بمثابة منكر. إذا اعتبر تواجد جميع الرجال المؤمنين في الساحة لازماً في الآية:

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾[1] .

فإن إطلاق وسياق هذه الآية وتنقيح مناطها، يُدين المرأة والرجل معاً ويعتبر هذا الحكم قابلاً للتنفيذ لكليهما .

بناء على هذا، كان النموذج الأول، تواجد المرأة في ميدان الشهادة، والنموذج الثاني تواجد المرأة في ميدان السياسة والتضحية . الكلام الذي يقوله القادة الإلهيون لم يصدر للرجال فقط ولا آن قبوله خاص بالرجال، وفي صدر الإسلام لم يكن الرجال سابقين في هذا النوع من المسائل .

وفي ما يتعلق بالحوادث التي وقعت للثورة الإسلامية، نتذكر هذا الموضوع من كلام الإمام ـ رضوان الله عليه ـ . ومن كلام سائر المسؤولين لأن رسالة الدين هي ان التواجد في الساحة السياسية، الاجتماعية يكون وظيفة مشتركة للمرأة والرجل، ومع هذه الرؤية والتفكير، لا يقول شخص : يجب أن لا تراجع المرأة جهاز المسؤولين وتسترد حقوق المجتمع لأن إيمانها قليل، أو عقلها ناقص .

عمة رسول الله والتواجد في الساحة :

كانت عمة رسول الله ﷺ بنت عبد المطلب بن هاشم تشجع ابنها في نصرة دين الله، علاوة على أنها آمنت كما آمن أخوها حمزة، وكانت تتمتع بأدبيات رفيعة حيث نظمت شعراً وقطعة أدبية جيدة في رثاء أبيها وعاشت عمرها بكرامة، حتى توفيت في عهد عمر[2] .

إن خلاصة حياة هذه المرأة تدل على انها كانت ترى نفسها مسؤولة

(١) سورة النور، الآية : ٦٢ .

(٢) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ص٢٥ .

مثل حمزة سيد الشهداء ولم تكتف بإسلامها فقط، فإذا كان حمزة سيد الشهداء استشهد فان هذه المرأة كانت تشجع ابنها على التواجد في جبهات نصرة الدين. يمكن أن تقول الأم لولدها ان لا يذهب إلى الجبهة بسبب العاطفة أو لا تشترك في الجبهة ولكن الأم الملتزمة المؤمنة تشجع ابنها على الذهاب إلى الجبهة وتواجد هذه المرأة في ميدان السياسة يظهر عندما تشجع ابنها لينصر دين النبي ﷺ.

وأشير في البحوث السابقة إلى أن نصرة الدين في صدر الإسلام لم تكن عملاً سهلاً، ففي بعض الحالات كانت تعتبر النصرة باللسان بمثابة نصرة حربية، في ذلك الوقت عندما كان الأعداء كثيرين والأصدقاء قليلين وبتعبير القرآن الكريم:

﴿تخافون ان يتخطفكم الناس﴾[1]..

إذا كان الشخص ينصر الدين باللسان فكأنه يريد نصرة الدين مسلحاً، كانت النصرة باللسان تشكل خطراً، وكانت هذه المرأة تشجع ابنها على أن يدافع عن دين النبي كما كانت تتمتع بأدب جيد حيث أمرها عبد المطلب وسائر إخواتها بأن ينظمن شعراً في رثائه قبل وفاته حتى يختبر ذوقهن الأدبي، وقد سعت هذه النساء إلى تربية ابنائهن بهذا الذوق الأدبي، وقد انشدت هذه المرأة قطعة أدبية قي رثاء أبيها عبد المطلب في حياته.

بنت الحرث بن عبد المطلب أمام الحكومة الأموية[2]:

نموذج آخر هي بنت الحرث بن عبد المطلب بن هاشم التي كانت معاصرة لمعاوية، وكانت تدافع عن المدرسة العلوية مثل سائر أصحاب

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٦.

(٢) الدر المنثور في طبقات ربّات الخدور، ص٢٥.

علي عليه السلام. ذات يوم كان معاوية جالساً مع عمرو بن العاص ومروان فدخلت هذه المرأة وكانت كبيرة العمر فسألها معاوية كيف حالكم؟ قالت نحن نعيش في مراحل نواجه فيها حكومة كفرت بالنعمة وأساءت إلينا ولكن:

(كلمتنا هي العليا، ونبينا صلى الله عليه وآله هو المنصور، فوليتم علينا من بعده وتحتجون بقرابتكم من رسول الله ونحن أقرب إليه منكم، وكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون وعلي بن أبي طالب عليه السلام كان من نبينا بمنزلة هارون من موسىٰ وغايتنا الجنة وغايتكم النار).

قالت هذا الكلام في بلاط معاوية بفصاحة وبلاغة، وقد قيل بشأن هذه المرأة انها:

(إذا خطبت أعجزت وإذا تكلمت أوجزت)[1]. في بداية الخطبة قالت: كلمتنا هي العليا، لأن:

﴿وكلمة الله هي العليا﴾[2].

أي أن منطقنا هو منطق الله وهو عالٍ دائماً ومنتصر ومظفر (ونبينا هو المنصور)؛ لأن الله تعالى تكلم عن اعتلاء كلمته في القرآن وتكلم أيضاً عن غلبة رسول الله:

﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾[3].

ثم قالت: (فوليتم علينا بغير حق). وقد عبأت هذه المرأة الخطيبة في هذه الخطبة عدة جمل قرآنية وأحاديث (كلمتنا هي العليا) مقتبسة من

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ص٢٥.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ٢١.

القرآن. (نبينا هو المنصور) مأخوذة أيضاً من القرآن، وكذلك (كنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل..) مقتبسة من القرآن. وبيان منزلة علي بن أبي طالب عليه السلام مأخوذ من حديث المنزلة:

«أفلا ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلاّ أنه لا نبي بعدي»[1] ..

إن الحضور الذهني لهذه المرأة بالنسبة لآيات القرآن والاستفادة منها خلال الخطبة والتسلط على الأحاديث واستعمال جمل من الأحاديث خلال الكلام، دليل على البلوغ الأدبي لهذه المرأة. ثم قالت في آخر الخطبة[2] :

(وغايتنا الجنة وغايتكم النار).

فقام عمرو بن العاص الذي كان جالساً في المجلس باهانتها فأجابت هذه المرأة جواباً شبيهاً بجواب الإمام الثاني الذي ذكره المرحوم الطبرسي في الاحتجاج[3] حيث قالت:

(وأنت يا بن الباغية تتكلم وأمك كانت أشهر امرأة بغي بمكة وآخذهن للأجرة ادعاك خمسة نفر من قريش..). فاعترض مروان فأجابته جواباً مراً ثم التفتت إلى معاوية وقالت:

(والله ما جرأ علي هؤلاء غيرك).

فقال معاوية: (ألك حاجة؟ هاتِ حاجتك) قالت: : (مالي إليك حاجة) وخرجت، فالتفت معاوية لمن حوله بعد ذهاب هذه المرأة وقال: (لإن كلمها كلُّ من في مجلسي لأجابت كل واحد منهم بجواب خلاف الآخر

(١) سورة القصص، الآية: ٣.
(٢) سيرة ابن هشام، ج٢، ص٥٢٠.
(٣) الاحتجاج، ج١، ص٤١١.

بلا توقف). حيث أن (نساء بني هاشم أصعب من رجال غيرهم في الكلام).

إن امرأة كبيرة في السن تدخل بلاط الأمويين وتُدين كل أولئك وتتكلم بجزم، هذا الأمر يبين التواجد السياسي لامرأة عجوز، إن نظم الشعر والتكلم ليس دليل تواجد سياسي حتى يتضح المحتوىٰ، فإذا كان المحتوى رقة ورثاء، فهذا ليس دليلاً على الحضور السياسي في الساحة، ولكن إذا كان المحتوى هو استفادة من الآيات السياسية في القرآن والأحاديث السياسية لأهل البيت، وطريقة التعامل هي إدانة حكام الظلم. فهذا دليل حضور سياسي.

مسألة مهمة أُخرىٰ من اللازم لفت النظر إليها هي ان أبا ذر (رضوان الله عليه) قام بمثل هذا العمل أيضاً، ولكن في قضية أبي ذر كتبت رسالات وكتب وعشرات المقالات في مجال الكلام السياسي لأبي ذر رضوان الله عليه، ولو أن هذه الرسائل الكثيرة والأقوال والمقالات كتبت بشأن التواجد السياسي للمرأة، عند ذلك لا يقول شخص انه ليس للمرأة حق في المشاركة في المسائل السياسية أو انه لم يكن لها سابقة في التواجد السياسي، أو ان المرأة إذا كبرت في السن تفقد نضوجها السياسي وغير ذلك. ان سبب شهرة أبي ذر كان كلامه السياسي وتعامله الحاد وقد قامت هذه المرأة بمثل ذلك العمل أيضاً.

ان تواجد المرأة في ميدان السياسة يستفاد جيداً من قضية بنات عبد المطلب والحرث بن عبد المطلب، وفي هذه الناحية ليس هناك فرق بينهن وبين أبي ذر. ولكن قضية أبي ذر ذكرت مرات وقام عدد من الرجال. بممارسة أسلوبه في التواجد السياسي. ولو أن قضية هاتين الإمرأتين قد ذكرت أيضاً، لتواجدت نساء كثيرات مثلهن في الساحة.

أم حكيم والانتقام من بسر بن أرطأة[1] :

نموذج آخر، هو أنه بعد مسألة التحكيم، أرسل معاوية، الضحاك بن قيس وبسر بن أرطأة إلى اليمن وامرهما بارتكاب مجزرة عامة ضد رجال الشيعة واتباع أهل البيت هناك، فهجموا على بيت أحد الشيعة، وعندما لم يجدوه في البيت ذبحوا ولديه الصغيرين أمام أمهما، ونجد أن أولئك النساء لم يستسلمن حين كن يشاهدن قتل أولادهن، ولم يقلن لا تقتلوا أولادنا ونحن نضحي للأمويين بثروة أدبية. أو يقلن لا تذبحوا أولادنا ونحن نتخلى عن الولاء لأهل البيت. إن تحمل المرأة لتلك المصائب المؤلمة دليل على ان المرأة تستطيع مثل الرجل التواجد في مراسيم الشهادة أيضاً، وليس هناك فرق بين المرأة والرجل في هذه الناحية.

ان تحمل هذا المشهد المؤلم كان صعباً على الأم، وبعد فترة أصيبت هذه المرأة بمشاكل نفسية وأنشدت رثاء رفيعاً في استشهاد ولديها. وكانت تقرأه على كل امرأة، وقد كان الشعر الأدبي لهذه الأم مؤثراً إلى درجة أن أحد الرجال من اليمن قرر أن يأخذ فدية هذين الولدين والانتقام لهما من بسر بن أرطأة، فتقرب إلى بسر بن أرطأة بالنفوذ في جهاز إدارته وأصبح موضع ثقته، حتى حمل معه ولديّ بسر بعد كسب الثقة وذبحهما، وقال إن هذا هو جزاء ذلك القتل الذي قام به بسر تجاه ولدي تلك المرأة.

أم الخير، خطيبة صفين[2] :

نموذج آخر هي بنت حريش بن سراقة الملقبة بـ (أم الخير) وهي من النساء المعروفات في صدر الإسلام وكانت تتمتع بقوة تعبير عالية وتعتبر

---

(١) الدر المنثور، ص٥٦.

(٢) الدرر المنثور، ص٥٧.

خطيبة بليغة. لم تكن هذه المرأة من سكان المدينة بل كانت تسكن في الكوفة.

كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن أوفد عليّ أم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقية برحلة محمودة الصحبة غير مذمومة العاقبة واعلم أني مجازيك بقولها فيك بالخير خيراً وبالشر شراً، فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها فأقراها إياه فقالت: أما أنا فغير زائغة عن طاعة ولا معتلة بكذب ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج في صدري تجري مجرىٰ النفس يغلي بها غلي المرجل بحب البلس يوقد بجزل السمر. فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها يا أم الخير إن معاوية قد ضمن لي عليه أن يقبل قولك فيّ بالخير خيراً وبالشر شراً فانظري كيف تكونين. قالت: يا هذا لا يطمعك والله برك بي في تزويقي الباطل ولا تؤيسنك معرفتك أياي أن أقول فيك غير الحق. فسارت خير مسير فلما قدمت على معاوية أنزلها مع الحرم ثلاثاً ثم اذن لها في اليوم الرابع وجمع لها الناس. فدخلت عليه فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال: وعليكِ السلام، وبالرغم والله منك دعوتني بهذا الاسم. فقالت: مه يا هذا فان بديهة السلطان مدحضة لما يحب علمه، قال صدقت يا خالة. وكيف رأيت مسيرك؟ قالت: لم أزل في عافية وسلامة حتى أوفدت إلى ملك جزل وعطاء بذل فانا في عيش أنيق عند ملك رفيق. فقال معاوية: بحسن نيتي ظفرت بكم واعنت عليكم. قالت: مه يا هذا لك والله من دحض المقال ما تردي عاقبته. قال ليس لهذا اردناك. قالت: إنما أجري في ميدانك إذا أجريت شيئاً أجريته فاسأل عما بدا لك.

قال: كيف كان كلامك يوم قتل عمار بن ياسر؟ قالت: لم أكن والله رويته قبل ولا زورته بعد وإنما كانت كلمات نفثها لساني حين الصدمة، فان شئت أن أحدث لك مقالاً غير ذلك فعلت. قال لا أشأ ذلك ثم التفت إلى

أصحابه فقال: (أيكم يحفظ كلام أم الخير؟ قال رجل من القوم أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظي سورة الحمد. قال: هاته. قال نعم كأني بها يا أمير المؤمنين وعليها برد زبيدي كثيف الحاشية وهي على جمل أرمك وقد احيط حولها حواء وبيدها سوط منتشر الظفرة وهي كالفحل يهدر في شقشقة تقول: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم**﴾[1] ان الله قد أوضح لكم الحق وأبان الدليل ونور السبيل ورفع العلم فلم يدعكم في عمياء مبهمة ولا سوداء مدلهمة، فإلى أين تريدون رحمكم الله أفراراً عن أمير المؤمنين أم فراراً من الزحف أم رغبة عن الإسلام أم ارتداداً عن الحق؛ أما سمعتم لله عز وجل يقول: ﴿**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم**﴾[2] ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول: اللهم قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشر الرعب وبيدك يا رب أزمة القلوب، فاجمع اللهم الكلمة على التقوىٰ وألّف القلوب على الهدىٰ واردد الحق إلى أهله. هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل والوحي الوفي والصديق الأكبر، أنها أحن بدرية وأحقاد جاهلية وضغائن أحدية وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك بها ثارات بني عبد شمس ثم قالت: ﴿**فقاتلوا أئمة الكفر أنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون**﴾ صبراً معشر الأنصار والمهاجرين قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم وكأني بكم غداً وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرت من قسورة لا تدري أين يسلك بها من فجاج الأرض باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وباعوا البصيرة بالعمىٰ وعما قليل ليصبحن نادمين حتى تحل بهم الندامة فيطلبون الإقالة ولات حين مناص، انه والله من ضل عن الحق وقع في الباطل، ومن لم يسكن الجنة نزل

---

(١) سورة الحج، الآية: ١.

(٢) سورة محمد، الآية: ٣١.

النار أيها الناس ان الأكياس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها واستبطأوا مدة الآخرة فسعوا لها. والله أيها الناس لولا ان تبطل الحقوق وتعطل الحدود ويظهر الظالمون وتقوىٰ كلمة الشيطان لما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه، فإلىٰ أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته وإبي بنيه خلق من طينته وتفرع من نبعته وخصّه بسره وجعله باب مدينته وعلم المسلمين وأبان ببغضه المنافقين فلم يزل كذلك يؤيده الله عز وجل بمعونته ويمضي على سنن استقامته لا يعرج لراحة الدأب وها هوذا مفلق الهام ومكسر الأصنام، صلىٰ والناس مشركون واطاع والناس مرتابون فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزي بدر وأفنىٰ أهل أُحد وهزم الأحزاب وقتل الله به أهل خيبر وفرق جمع هوازن فيا لها من وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقاً وردة وشقاقاً وزادت المؤمنين إيماناً قد اجتهدت في القول وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. فقال معاوية: والله يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام إلا قتلي والله، لو قتلتك ما حرجت في ذلك، فقالت: والله ما يسؤني يا ابن هند ان يجري الله ذلك على يدي من يسعدني الله بشقائه. قال: هيهات يا كثيرة الفضول ما تقولين في عثمان بن عفان؟ ثم طرح معاوية قضية الزبير. فقالت: وأنا أسألك بحق الله يا معاوية فان قريشاً تحدثت أنك أحلمها، ان تعفيني من هذه المسائل وامض لما شئت من غيرها.

أن المقصود من ذكر هذا التفصيل هو أولاً: ان هذه المرأة كان لديها عمل عسكري، وعمل إعلامي أيضاً. ثانياً ان كلامها كان مقتبساً من القرآن وسنة المعصومين والعترة الطاهرين عليهم السلام. ثالثاً: كانت مستعدة حتى الشهادة من أجل القيادة وإمامها. رابعاً: ان شعارها كان في حد العقل والوحي وليس في حد العاطفة والشعور. خامساً: ان كلامها هذا كان

مهيجاً، وكان في حضور الولي المعصوم، لأنه لم يكن يحق لشخص التكلم حين الحرب بدون إذن علي بن أبي طالب عليه السلام، وإذا قيل ان الخطابة ليست جهاداً، نقول: هل أن جميع المجاهدين هم في الخط الأمامي، ويحاربون مسلحين؟ هناك عدة لديهم أعمال إعلامية، وعدة لديهم أعمال تموينية، وعدة ينقلون الأسلحة وعدة يقاتلون. في هذه الحروب تقسم الأعمال.

لو بحثتم هذا النوع من النماذج يتضح ان القرآن والعترة الطاهرين عليهم السلام نجحوا في تربية رجال مثل أبي ذر، وكذلك تعليم نساء يتكلمن بالحق ويحاربن العدو، لذا فالكلام في ان الرجل هو أفضل من المرأة لأنه ليس هناك أية امرأة بلغت مقام النبوة، ذلك الكلام ليس فيه دلالة على أن مقام المرأة أقل، ذلك لأن البحث ليس في مقام النبوة، فلا تترتب فائدة على فخر ومباهاة الرجال، ولا يكون له أثر في الشعور بالضعف لدى النساء. ان ما هو مسلم ان الطريق مفتوح لتربية وتكامل كليهما، وكثير من الوظائف مشتركة، وبعضها خاصة بلحاظ طبعهما.

أم خالد، محدثة من النساء: [1]

من النساء النموذجيات في صدر الإسلام بنت خالد بن سعيد - المشهورة بأم خالد - التي روت روايات كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ان أمثال تلك المرأة لم يتولين الأمور التموينية في ميادين الحرب فقط حتى يعتبرن بوصفهن ممرضات وخادمات صاحبات عمل سهل، بل بالإضافة إلى ذلك كان قسم يعتد به من أولئك النساء محدثات وكن قد سمعن أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله مثل سائر الصحابة ويذكرنها للآخرين.

---

(١) الدر المنثور، ص٦٧.

من بين الأحاديث التي ذكرتها في سيرة الله ﷺ .

(انها سمعت رسول الله ﷺ يتعوذ من عذاب القبر) .

ان مدلوله هو ان رسول الله ﷺ كان يتعوذ من عذاب القبر مكرراً، وأهمية حديث أم خالد هذا في تسجيله أن سيرة النبي ﷺ كانت جارية على التعوذ من عذاب القبر .

أميمة، شفيقة على المجاهدين[1] :

كانت بنت القيس بن أبي الصلت الغفاري من المحدثات وقد روت روايات كثيرة عن رسول الله ﷺ وكان عدد من التابعين تلاميذها (روىٰ عنها جملة من التابعين) وهذه المرأة كات شفيقة على المجاهدين .

كانت تتواجد في الحروب وكان لها دور مؤثر في معالجة الجرحىٰ واخلاء الشهداء (ودائماً تحضر الوقائع وتداوي الجرحىٰ وتدور بين القتلىٰ) وعلاوة على أنها كانت محدثة، كانت تفهم الأحاديث جيداً وترويها وكانت ضمن القوة المقاتلة .

هذه هي نفس الكمالات التي يفخر بها سائر الصحابة، وإلا فماذا فعل سائر الصحابة؟ لم تكن هناك للصحابة كتب وتحقيقات، بل روي عن كل منهم عدة أحاديث وأحياناً حديث واحد، وكان من بينهم مجموعة قليلة جداً نجحت في أن تجمع نوع أحاديث وكلمات رسول الله ﷺ .

وكمثال هناك حوالي اثني عشر ألف صحابي فى كتب الرجال والتراجم ـ مثل أسد الغابة والاصابة وغيرها . وفيها توضيح دقيق لاسمائهم وهوياتهم وتواريخ حياتهم ووفاتهم ومدة صحبتهم لرسول الله ﷺ

---

(١) الدر المنثور، ص٦٧ .

ويلاحظ أحياناً أن بعضهم التقىٰ مع رسول الله ﷺ مرة واحدة أو روىٰ عنه رواية واحدة، كان هؤلاء يفخرون بصحبة رسول الله ﷺ، ولكنهم لم يكونوا يقارنون بالإمام علي عليه السلام ولم يكن أي منهم مثله وبدرجته في التتلمذ عند رسول الله ﷺ.

بناء على هذا لو بحثنا مستوىٰ الرجال الصحابة نجد ان بين النساء الصحابيات نساء فاضلات يتمتعن بجميع القيم والكمالات الروحية. ومن الواضح والمبرهن بشكل كامل ان جعل أمير المؤمنين عليه السلام معياراً للوزن عند مقارنة مقام المرأة والرجل ليس صحيحاً، ولكن إذا جعلنا سلمان وأبا ذر معياراً، فهناك بين صحابة رسول الله ﷺ نساء من طرازهما. والفرق الوحيد الموجود هو ان رسول الله ﷺ كان يرسل كل الرجال للجهاد، أما النساء فكانت تذهب تطوعاً، ولأن التواجد في الجبهة لم يكن لازماً على المرأة، لذا كانت تلك النساء تأتي وتطلب الذهاب معهم.

على أي حال كانت هذه المرأة تتولىٰ بالإضافة إلى إخلاء الجرحىٰ، دفن الشهداء والتواجد في ميادين الحرب تتولى الاعلام وترغيب المقاتلين عن طريق الخطابة والشعر وأمثال ذلك (وكانت تحث الناس على ذلك). كان الشعر انذاك له تأثير عند العرب. كما نلاحظ اليوم أحياناً ان أثر الشعر مثل أثر البرهان في بعض الاجتماعات الخاصة. فالمحاضر إذا أقام مسائل برهانية له نفس الدرجة من الأثر الذي للشاعر الماهر الذي يلقي قصيدة أو نثراً أدبياً.

روي أن عدداً من نساء بني غفار دخلن مع هذه المرأة على رسول الله ﷺ وكانت الناطقة باسمهن، قالت:

(انا نريد أن نخرج معك في وجهك هذا فنداوي الجرحىٰ ونعين

المسلمين بما استطعنا)، فأذن النبي ﷺ وشاركن في معركة خيبر وكانت تقودهن بنت قيس ابن أبي الصلت الغفاري. روي انها (تهديهن لما يلزم لذلك حتى انتهىٰ الحرب ورجع المسلمون منصورين) كانت معلمة لهن.

أم كلثوم وهجرة النساء: [1]

نموذج آخر هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي المعيط، كانت من ضمن المهاجرات وقال المؤرخون بشأنها (أسلمت وهاجرت وبايعت الرسول ﷺ).

هاجرت في السنة الهجرية السابعة، ويقال إنها أول مهاجرة هاجرت مشياً على الأقدام من مكة إلى المدينة وكان زوجها زيد بن حارثة الذي استشهد في معركة مؤتة.

عندما هاجرت من مكة جاء عدد من الكفار لإعادتها مرة ثانية فنزلت هذه الآية:

﴿فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾ [2].

حتى وان كانوا من ذويهن، لأنه:

﴿لا هنّ حلّ لهم ولا هم يحلّون لهن﴾ [3].

يتضح من هذه النماذج، أن الشيء الذي يتعلق بالروح الإنسانية تتساوىٰ فيه المرأة والرجل، وقد ابلغ الإسلام دعواته لكلا الصنفين بالاستعانة بهذه القاعدة العقلية والقلبية العامة، وإذا رأينا ان النساء النموذجيات ليست لهن تلك الشهرة، فهو لأنه لم يجرِ إعلام في النبوغ

(1) الدر المنثور، ص٦٢.
(2) سورة الممتحنة، الآية: ١٠.
(3) المصدر السابق.

الفكري للمرأة. وإلا فالأمثلة التي ذكرت تدل على ان النساء الشبيهات بأبي ذر لم تكن قليلات. كانت النساء اللواتي بذلن جهداً أيام الدولة الأموية وفي حرب صفين والجمل وغيرها لصالح ولاية علي عليه السلام وضد الظلم الأموي، والنساء المحاربات للظلم اللواتي دخلن إلى بلاط الأمويين وقمن بادانة الحكومة الأموية الظالمة بإلقاء الخطب الحماسية، كثيرات.

النساء النابغات في الشعر والأدب:

أما من حيث الأدب، فإنه رغم ان الرجال وصلوا إلى درجة من النبوغ الأدبي بحيث كان لهم (المعلقات السبع) وكانوا يعرضون شعرهم في سوق عكاظ ويفوزون في مسابقة عكاظ الدولية، فان هناك نساء كنّ هكذا أيضاً، وكنّ يُنشدن شعراً رفيعاً ويعرضنه في سوق عكاظ.

كان ذلك الوضع في الجاهلية، وفي الإسلام تربىٰ أدباء ليقولوا شعراً بشأن المعارف الإلهية بدل المضامين الجاهلية. وهذه الهداية كانت مؤثرة في النساء الأدبيات مثلما أثرت في الرجال.

فالمرأة التي كانت في الجاهلية تقول أدباً بطريقة تفكير جاهلي وتنشد شعراً في رثاء أعضاء أسرتها، كانت بعد إسلامها ترسل شبابها وأبناءها إلى ميدان الحرب وذلك بإنشاد القرآن.

في هذا القسم نذكر نماذج من أولئك النساء، سواء في الأقسام الأدبية أو في الأقسام السياسية.

الخنساء شاعرة مربية لشهداء[1]:

الخنساء من نساء العرب ويقال انها من أحفاد امرىء القيس الشاعر

---

(١) الدر المنثور، ص١٠٩.

المشهور. كانت تنشد شعراً رفيعاً في رثاء أخويها (معاوية وصخر) اللذين قتلا في إحدى الحروب، ولكنها بعد مقتل صخر اشتد حزنها لأن صخراً كان أرأف وأرق قلباً وكان يعينها في المصاعب المالية، لأن زوجها كان يلعب القمار ويخسر حصيلة عمله، وكان صخر قد حفظ كرامة أخته هذه عدة مرات. كان شعرها في رثاء إخويها أفضل شعر من بين شعر النساء.

رأي الأدباء في الخنساء:

عندما كان الأدباء العرب المعروفون يسألون عن موقع الخنساء في الأدب كانوا يقولون كلاماً رفيعاً. قيل لجرير: (من أشعر الناس) قال: أنا لولا هذه.

كان بشار يقول: هذه المرأة نظمت شعراً بدون نقص أدبي، وقيل لبشار ما هو رأيك بالخنساء؟ قال: (تلك فوق الرجال) أي هي فوق الشعراء الرجال.

أما الأصمعي فكان يرجح ليلى الأخيلية على الخنساء ولكنه كان يذكر الخنساء بتكريم. وكان المبرد يقول: (كانت الخنساء وليلىٰ فائقتين في أشعارهما).

كان النابغة الذبياني يتولى منصب الحكم في سوق عكاظ، وكان الشعراء الذين ينظمون شعراً جديداً يعرضونه عليه في سوق عكاظ حتى يقيمه، عندما سمع القصيدة (الرائية) للخنساء في رثاء صخر قال: (إذهبي فأنت أشعر من كانت ذات ثديين، ولولا هذا الأعمىٰ الذي أنشدني قبلك ـ يعني الأعشي ـ لفضلتك على شعراء هذا الموسم). وعندما سمع حسان بن ثابت الذي كان من المشاركين في المسابقة هذا الكلام من الحكم غضب وقال: (ليس الأمر كما ظننت)، فالتفت إلى الخنساء وقال لها بان تجيب

حسان بن ثابت، فالتفتت إلى حسان بن ثابت وقالت: (ما أجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها آنفاً)؟ قال:

لنـــا الجفنـــات الغـــرّ يلمعـــن فـــي الضحـــىٰ
وأسيـــافنـــا يقطـــرن مـــن نجـــدة دمـــاً

فأشكلت الخنساء ثمانية اشكالات أدبية على هذا البيت[1] **الأول**: أنك قلت: (الجفنات) والجفنات دون الجفان وأقل منها، وكان الحق لو قلت الجفان. **الثاني**: انك قلت: (الغرّ) وهو جمع أغر وهو بياض الجبين، ولو قلت (البيض) لكان مطلق البياض ولكان معناه أوسع. **الإشكال الثالث**: قلت (يلمعن) ولو استعملت (يشرقن) محل يلمعن لكان أفضل لأن الإشراق أقوى من اللمعان. الرابع: قلت بالضحىٰ ولو قلت بالدّجىٰ لكان أكثر اطراقاً). الخامس: قلت: أسياف والأسياف ما دون العشرة ولو قلت (سيوفنا) لكان أكثر وأفضل. السادس: قلت: يقطرن ولو قلت يسلن لكان أكثر. السابع: قلت: دما والدماء أكثر من الدم. بعد هذه الإشكالات، سكت حسان ولم يجب، كانت هذه قوة أدبية لدىٰ هذه المرأة الأديبة التي كانت من أحفاد امرىء القيس.

عندما ظهر الإسلام، ولم يؤمن به كثير من الرجال والنساء. من أثر طبع الجاهلية، أسلمت هذه المرأة بسبب النبوغ الفكري الذي كان لديها (فقدمت الخنساء على رسول الله ﷺ فأسلمت واستنشدها فأنشدته فأعجب بشعرها).

لقد قامت بتربية أبناء في المجتمع الإسلامي، وكانت تجهزهم وتشجعهم وترسلهم إلى الجبهة، وفي إحدىٰ الحروب في صدر الإسلام

---

(١) أشار المصدر إلى وجود ثمانية إشكالات، لكنه ذكر سبعة فقط.

التي وقعت بعد رحلة رسول الله ﷺ أوصتهم بهذه الوصية:

(يا بني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو انكم لبنو رجل واحد كما انكم بنو امرأة واحدة ما هجنت حسبكم ولا غيرت نسبكم. واعلموا ان الدار الآخرة خير من الدار الفانية ﴿**اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾[1].

ورغم ان هناك رواية وردت عن الإمام الباقر عليه السلام في آخر هذه الآية انه قال بان المقصود من هذه الآية هو اصبروا وليكن عندكم رابطة مع إمامكم ـ أو ولي عصركم[2] ـ ولكن مقصودها هو بيان مصداق ـ وهو حق ـ في هذه الآية الصبر هو غير المصابرة والمرابطة، الإنسان يصبر في الحوادث الفريدة أما في الحوادث الجماعية كالحرب وأمثالها فلها مصابرة ولها مرابطة في الارتباط مع القيادة. مضمون هذه الآية أوصته الخنساء لابنائها وارسلتهم إلى الجبهة وقالت: (فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، وجللت ناراً على أوراقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رسيسها).

إن جملة (الآن حمي الوطيس)[3] هي من الكلمات التي ذكرها المرحوم ابن بابويه القمي ـ رضوان الله عليه ـ في نهاية كتاب (من لا يحضره الفقيه) تحت عنوان كلمات موجزة عن رسول الله ﷺ ـ بعض هذه الكلمات الموجزة يقال انها لم يكن لها سابقة بين الأدباء.

خصائص كلمات وأحاديث النبي ﷺ:

ان الكلمات التي صدرت عن رسول الله ﷺ ليست خطابية بل كلها

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

(٢) تفسير الميزان، ج٤، ص١٣٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٧٧.

قواعد مثل الدساتير، لذا فان حفظ كلمات رسول الله ﷺ ليس كحفظ خطب نهج البلاغة الذي يكون منضوداً ومتصلاً. رسول الله يطرح كلمة فكلمة وجملة فجملة بوصفها قواعد دستور.

من الكلمات التي يقال انها لم تكن لها سابقة بين الأدباء هي جملة (الآن حمي الوطيس)، أي بما ان التنور حار الآن، فالوقت هو وقت الخبز. عندما تكون تجارة الشهادة نشطة يجب السعي وملأ الجبهات. وهذه المرأة قالت لأبنائها بأنهم إذا رأوا تجارة الشهادة نشطت وحمي ميدان الحرب فليغتنموا الفرصة وليتواجدوا (فتيمموا وطيسها) تدعو أبنائها للتواجد في الجبهة حتى يغتنموا الشهادة ـ أما ينتصروا والنصر غنيمة أو يستشهدوا والشهادة غنيمة، هناك من يفكر بغنيمة مادية ولكن هذه المرأة تدعو أبناءه' إلى الشهادة والكرامة (تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة)، لأنه:

(الحمد لله الذي أحلنا دار المقامة).

(فلما أضاء لهم الصبح، باكروا إلى مراكزهم، فتقدموا واحد بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية أمهم لهم حتى قتلوا عن آخرهم) وأخبرت هذه الأم بان أولادها الأربعة قتلوا (فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة).

هذا الذوق الأدبي يستطيع ان ينشد شعراً يعجب النبي ﷺ، وهذا الذوق يستطيع ان يؤلف خطابة من آيات القرآن ويحث ابناؤه على الجبهة وهذا الذوق الأدبي يقول بعد تلقي خبر استشهاد أبنائه (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم).

كيف يمكن ان يقول الإنسان أو يصدق ان المرأة جبانة ـ كم لدينا

هكذا من الرجال في صدر الإسلام؟ إذا كان هناك أشخاص مثل أبي ذر ذكرت شهامتهم مرات، فان هناك مثل هذه النساء لو ذكرت قضاياهن لعرف الجميع مقام المرأة وعند ذلك لا يعدونها ضعيفة وجبانة.

نتيجة البحث(١):

هناك نماذج كثيرة من النساء وردت في التاريخ في الأقسام السياسية والدينية والأدبية أشير إلى عدد منهن. وهناك عدد آخر في كتب الرجال ـ خاصة بالنساء مثل الدر المنثور ورياحين الشريعة و.. أو التي تشمل المرأة والرجل ـ يمكن مراجعتها.

عندما تبحثون في أي قسم من الأقسام العسكرية والسياسية والعرفان والحديث ترون أن هناك نساء نموذجيات كثيرات، ولكن عندما يكون اسم محجوباً لا تذيع أخبارها في المجتمع. يجب أن تكون هي في حجاب، واسمها في كتاب حتى تظهر عظمتها. فالله تعالىٰ يعرف المرأة بالحجاب ويذكر اسمها في الكتاب.

ذكر تعالىٰ قوله ملكة سبأ:

﴿وأسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين﴾[(١)] .

فذكرها بعظمة، وفي النتيجة يعرفها بانها عاقلة، الذكاء ليس في ان يشمخ الإنسان أمام الحق ـ لأنه ينكسر رأسه ـ بل الذكاء في ان يخضع الإنسان في محضر الله.

ان ملكة سبأ مع انها كانت تتمتع بقوة كبيرة:

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٤.

﴿وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم﴾[1] .

إن الشخص لذي لديه هذه القوة، ويتمتع بإمكانات وقوىٰ سياسية وعسكرية، يأتي ويسلم، ان هذا هو دليل على العقل، ان الذين يضعون التهور موضع الشجاعة هم أشخاص يفتقدون القدرة على تشخيص الصراط المستقيم.

نتيجة البحث(٢):

يمكن الاستفادة من هذه الشواهد القرآنية والعقلية والقلبية أن الذكورة والأنوثة ليس لها دخل في ذلك القسم الأساسي وهو موضع التكامل، ولو قال شخص: إن المرأة لم تصل إلى مقام النبي ﷺ، فيجب القول: ان كثيراً من الأنبياء أيضاً لم يصلوا إلى ذلك المقام، ثم إن الرجال هل يستطيعون أن يصبحوا مثل رسول الله ﷺ؟ أي فخر هذا؟.

ان كل شخص يكون أقرب إلى رسول الله من حيث السير الكمالي، فذلك فخر، ولكن فخره هو في التواضع، فخره هو في الشعور بالمذلة.

الكلام في بحث حقوق المرأة وتكامل المرأة ومساواة المرأة للرجل في المسائل الأخلاقية والتربوية وغيرها من أجل أن تكون أرضية نضج. فإذا كان لدى الرجال سعي، فالنساء أيضاً أهل سعي وجهاد، والمرأة تستطيع ان تصل إلى أي مقام يصله الرجال العاديون.

إن قول الله تعالىٰ في القرآن الكريم:

﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾[2] .

---

(١) سورة النمل، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

هو خطاب للإنسانية وفي الإنسانية ليس هناك دور للذكورة والأنوثة، ما هو مهم هو ان الإنسان يصل أخيراً إلى لقاء الله، أما إلى لقاء الجمال الإلهي أو إلى لقاء الجلال الإلهي، وفي هذا الطريق تتساوىٰ المرأة والرجل.

حل الشبهات والروايات المعارضة

مقدمة

اتضح حتى الآن ان الإسلام لم يشترط الذكورة في أي كمال من الكمالات المعنوية.

ان طريق الكمال مفتوح لكلا الطرفين وكل شخص يقطع هذه الطريق بدرجة قابليته، وموضع التمايز هو في الأعمال التنفيذية المتعلقة ببناء بدن الإنسان والموزعة على أساس الخصائص الجسمية للطرفين.

المعايير المطروحة لفضيلة الإنسان ليس هناك امتياز بين المرأة والرجل في نيلها، وما هو امتياز بين المرأة والرجل ليس عامل امتياز معنوي، وهذه المسألة تبين بصورة (منطقية) هكذا: ما هو عامل كمال ليس فيه فرق بين المرأة والرجل، وما يؤدي إلى الفرق، ليس له دور في الكمال، وإذا كان نجاح طرف أقل أحياناً من الطرف الآخر في الحصول على التكامل، فهذا النقص من أثر الاختيار السيّء لذلك الطرف نفسه، لا أن الإسلام لم يفتح له الطريق، وهناك فرق بين ان ينسد الطريق أمام طرف من قبل الدين

وبين أن لا يقطع الإنسان الطريق بسوء اختياره.

في التكامل المعنوي ليس هناك فرق بين المرأة والرجل، وأما الفرق الذي يلاحظ في المجتمع فهو يتعلق بنفس الأشخاص، فإذا لم ترغب امرأة ان تهذب نفسها فهذا طريق لم تقطعه هي، وإلا فالطريق مفتوح أمامها. كما ان رجلاً من الرجال إذا لم يهذب نفسه فهذا ليس لأن طريق التكامل مسدود بوجه الرجال بل لأن نفس هذا الشخص لم يهذب نفسه.

الموت الطبيعي والموت الإرادي:

وتوضيح هذا الكلام هو ان الإنسان له حياة وموت طبيعي، وفي هذه الحياة والموت الطبيعي يشترك مع الحيوانات أو أحياناً مع النباتات.

إن للإنسان حركة وتخيلاً وتوهماً وتغذية ونمواً وأمثالها، وبعض هذه الأعمال مشتركة بين الإنسان والنبات وبعض آخر من هذه الأمور مشتركة بين الإنسان والحيوان، وأحياناً تسلب هذه الأمور حيث يعبر عن ذلك الموت الطبيعي، وأحياناً، تثبت هذه الأمور حيث يعبر عن ذلك بالحياة الطبيعية هذه ليست علامة على الكمال إلا في حد الكمال النباتي أو الكمال الحيواني.

ولكن الإنسان له موت وحياة أُخرىٰ أيضاً تتعلق بحسن اختياره أو سوء اختياره. الإنسان يستطيع ان يميت نفسه بسوء الاختيار أو إحياء نفسه بحسن الاختيار. الذين يميتون أنفسهم بسوء إختيارهم يذكرهم القرآن بوصفهم كافرين حيث يذكر أن الكافرين هم الذين فقدوا الحياة المعنوية بسوء الاختيار أو لم يسيروا في اتجاه تهيئة تلك أو اعتزموا على دفعها أو قاموا برفعها أو لم يستعدوا لأن يصلوا إلى حياة معقولة، أو أنهم سقطوا بعد الحياة المعنوية والعقلية، كأولئك الذين يرتدون بعد الإسلام معاذ الله. هذه هي أنواع من الموت من أثر سوء الاختيار.

هناك مجموعة من أنواع الموت بحسن الاختيار حيث يميت الإنسان نفسه قبل ان يموت. ان الذي قال انني أموت من الإنسانية مرة أُخرىٰ وادخل في عالم الملائكة يشير إلى هذا الموت الاختياري حيث يموت الإنسان بحسن اختيار، وهذا النوع من الموت هو بأن يميت غرائز الأنانية ويحطم حالة الوحشية والتمني، فإذا حطم حالة الغرور والأنانية، وانقذ نفسه من قبضة الحيوانية بحسن اختياره، فهذا موت حسن حصل عليه بحسن اختياره ويقال لذلك موت إرادي. وفي هذا الحد يصل الإنسان إلى مستوىٰ الملائكة. وهذه المسألة وردت في بعض الكتب الفقهية مثل الجواهر وغيره من الكتب الفقهية حيث ذكرها المرحوم السيد محمد كاظم (ره) في كتاب العروة، وقال في أحكام الصيام المستحب في باب فضيلة الصوم في أواخر البحث، في فضيلة الصوم يكفي ان الإنسان يصبح شبيه الملائكة.

انسجام لسان الأحاديث مع فهم المخاطبين:

تكلم الأئمة المعصومون عليهم السلام معنا بعدة طرق، أحياناً يقولون لنا بان نصوم حتى نجوع لنعرف ألم جوع الفقراء. وهذا التعليل هو للأشخاص الضعفاء جداً، لماذا نكون جاهلين بأحوالهم، ونتذكرهم في شهر رمضان المبارك فقط ونتيجة الشعور بالجوع؟

وفي مرحلة أعلىٰ من هذه المرحلة قالوا لنا: أن نصوم حتى نتذكر الجوع والعطش يوم القيامة، وهذا التعليل هو للمتوسطين. لماذا نحن غافلون عن القيامة في أيام السنة، ونتذكر المعاد بسبب الجوع والعطش.

مجموعة أُخرىٰ، هم الذين يصومون حتى يصيروا في مستوىٰ الملائكة، أي ان الإنسان إذا صام فليس من أجل أن يتذكر الفقراء بسبب الجوع والعطش أو يتذكر الجوع والعطش يوم القيامة، بل ليقول بانه أكبر من

أن يستهلك وقته في الطعام والشراب، وهو أكبر من أن يعيش من أجل الأكل.

والمقصود من الأكل هو مطلق التصرفات الحيوانية وليس الأكل في مقابل الشرب أو النوم، حين يقول تعالىٰ:

﴿لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراضٍ﴾[1].

فالمقصود ليس خصوص الأكل بل هو مطلق التصرف وهذا تعبير أدبي رائج.

فإذا غصب شخص بساط شخص آخر يقال: أكل مال الناس، وإذا غصب دار شخص يقال: أكل مال الناس. المقصود من الأكل في هذا النوع من الحوار هو مطلق التصرفات المادية والطبيعية والحيوانية. ان قولهم لنا بأن نصوم ونصرف النظر عن الأكل والشرب حتى نصبح مثل الملائكة، يعني أن نتجنب مطلق الأعمال الحيوانية، وليس أن لا نأكل أو لا نشرب فقط، لذا فالكذب يبطل الصوم، ليس فقط الكذب على الله والنبي، لأن هذه المسائل تشير إلى البطلان الفقهي، بل هي هذه الأكاذيب المصطلحة حيث إذا كذب شخص فصومه صحيح يقيناً من الناحية الفقهية ولكن لأن هذا الشخص لم يصبح في مستوىٰ الملائكة، فليس له صوم، مقبول رغم ان صومه صحيح في الفقه الأصغر، أو إذا قام بذنب آخر فهو ليس صائماً؛ لأنه لم يسر في مستوىٰ الملائكة، إذا اغتاب فهو ليس صائماً. ان القول بأن لا نأكل حتى نصبح ملائكة، أي ان نترك مطلق التصرفات النباتية والحيوانية، حتى نكون كالملائكة كما ان ورقة التوت إذا وقعت في معمل حرير تصبح حريراً،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٩.

فكيف تصبح الورقة حريراً واستبرقاً ولا يصبح الإنسان ملكاً؟ إن الإنسان يستطيع ان يتحرك في مستوىٰ الملائكة.

بناء على هذا فإن المجموعة الثالثة هم الذين قالوا بحسن اختيار، وغضوا النظر عن العالم الحيواني والنباتي بموت إرادي. كما ان الإنسان يموت أحياناً بسوء اختياره. وبعض الآيات تعتبر الكافرين أمواتاً. وقال أمير المؤمنين عليه‌السلام بشأن العالم بلا عمل:

(ذلك ميت الأحياء)[١].

هذان الطريقان مفتوحان للجميع سواء الرجال أو النساء، كل من يختار الطريق الأفضل ويقطعه بصورة أسرع يكون أكثر نجاحاً.

في البحوث السابقة تبين ان المرأة إذا كانت مثلاً ضعيفة في المسائل النظرية والتفكيرات العقلية، فهي أكثر قبولاً للموعظة في المسائل القلبية، ويؤثر طريق المناجاة فيها أكثر. خاصة ان القرآن الكريم عرّف بوصفه موعظة قال تعالىٰ:

﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدىً ورحمة للمؤمنين﴾[٢].

شبهة نقصان ايمان المرأة:

يطرح أحياناً ان المرأة حرمت من بعض المزايا الدينية لأنها لا تستطيع ان تؤدي الفرائض الدينية في بعض أيام السنة. وهذا الأمر يحسب عامل نقص فيها. كما أشير لذلك في الروايات أيضاً، وفي نهج البلاغة ذكر أمير المؤمنين عليه‌السلام النساء بسوء:

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار، صبحي الصالح.
(٢) سورة يونس، الآية: ٥٧.

(معاشر الناس، ان النساء نواقص الايمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول، فاما نقصان أيمانهن، فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن، وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد، وأما نقصان حظوظهن فموارثيهن على الانصاف من مواريث الرجال. . . .)[1] .

ومثل هذا المضمون روي عن رسول الله ﷺ أيضاً[2] .

للإجابة عن هذه الشبهة من اللازم ذكر مقدمة في مجال المدح والذم الذي ورد في بعض الآيات والروايات.

مدح وذم:

أحياناً يتعرض الأشخاص في حادثة ما، وتتعرض ظروف وعلل وأسباب تلك الحادثة، كمكانها وزمانها، إلى ذم أو مدح بسبب مجموعة وقائع تاريخية، ان معنىٰ ذم أو مدح بعض الحوادث أو الأمور الجانبية لتلك الحادثة ليس لأن أساس طبيعة ذلك الشيء قابل للذم أو المدح، بل إن تلك الأرضية الخاصة سببت هذا المدح أو الذم، أحياناً تمدح قبيلة من القبائل وذلك بسبب ظهور صالحين من هذه القبيلة في ذلك العصر، ثم لا تمر فترة طويلة حتى يتغير الوضع، حيث يظهر أشخاص آخرون من هذه القبيلة يتعرضون للذم، وأحياناً بالعكس.

في إيران كانت هناك بعض المدن التي تعرضت لذم كثير، ولكن عندما تغير ذلك التفكير ببركة أهل البيت، أصبحت تلك المدن وتلك المناطق من المناطق النموذجية والبارزة في هذا البلد، وظهر في تلك المناطق أشخاص كانوا ممتازين من ناحية الفضائل الأخلاقية والعلمية والنبوغ. هذا الذم

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، الخطبة ٨٠.
(٢) بحار الأنوار، ج١٠٣، ص٢٥٩.

والتوبيخ ليس ملازماً لتلك المنطقة إلى الأبد، بل هو مرحلي. ودليله هو أن الرأي السابق يمكن ان يتراجع بتحول فكري ومسألة عقائدية. كما حصل ذلك وإذا كان هناك ذم للمرأة في نهج البلاغة، فيظهر ان بعض ذلك الذم يعود إلى قضية حرب الجمل، كما ذمت البصرة والكوفة وغيرهما مع أن البصرة خرجت رجال علم كثيرين، وقدمت الكوفة رجالاً ثواراً كثيرين للإسلام، وكثير من الذين قاموا بالمطالبة بدم سيد الشهداء عليه السلام كانوا في الكوفة. والكوفة الآن هي مكان يُصلّى فيها بانتظار ظهور الإمام، فيها مسجد تقع فيه مقامات كثير من الصالحين والصديقين، ولا يمكن القول: إن البصرة والكوفة سيئتان إلى الأبد وتستحقان الذم لأنهما ذمتا سابقاً. إن قضايا تاريخية في مرحلة حساسة تؤدي إلى الذم أو المدح ثم مع مرور تلك المرحلة ينتفي المدح أو الذم أيضاً.

رؤية الوحي:

وشأن المرأة هكذا أيضاً، فتأكيد القرآن الكريم بشأن نساء النبي صلى الله عليه وآله دليل على رؤية مسبقة للوحي لحادثة تاريخية مرة. ان القرآن يقول باصرار لنساء النبي:

﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولىٰ﴾[1].

وأمثال ذلك دليل على ان الله تعالىٰ كان لديه رؤية مسبقة لحادثة، الله تعالىٰ عالم الغيب والشهادة مطلع على المستقبل، وكان يحذرهن من النتائج المرة لذلك الخروج الذي في غير محله.

لذا قال تعالىٰ: **﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولىٰ﴾**، وبعد ذلك وقعت قضية الجمل وحاربوا ولي الله الإمام علي بن أبي

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

طالب عليه السلام. افرزت تلك المرحلة مجموعة من الكلام في الذم ورافقها مجموعة من الكلام في المدح، فقد مدحت منطقة وقوم لأنهم عملوا جيداً في تلك الحادثة، ووبخت مجموعة ومنطقة لأنهم عملوا سيئاً في هذه الحادثة. هذا الذم والمدح يجب أن لا يحسب على جوهر الشيء، ولهذا السبب ظهر في البصرة رجال ونساء خيرون وصالحون، ومدحت الكوفة كثيراً وستكون في زمان ظهور الإمام عليه السلام مركز بركة، فكما أن ذم البصرة والكوفة لا يعود إلى جوهر هاتين المنطقتين، فإذا ذمت المرأة بعد قضية الحرب فهو لأن تلك المرأة وقفت في مقابل علي بن أبي طالب، كما أن هناك رجالاً كثيرين وقفوا في مقابل الإمام. فإذا ورد ذم لطلحة والزبير وغيرهم من الذين أداروا تلك الحرب في مقابل ولي الله فطبيعي ان تتعرض عائشة التي وقفت في مقابل الإمام وغيرها من الأشخاص الذين ساهموا في هذه الحادثة الصعبة، إلى الذم. بناء على هذا يجب ألا نرجع هذا النوع من الذم أو المدح إلى جوهر الذات بل يبقىٰ تأثيرها المرحلي محفوظاً.

حرب الجمل والذم:

الرواية التي وردت في نهج البلاغة لم تطرح بوصفها قضية حقيقية، فهي تقريباً تشبه قضية شخصية أو قضية خارجية. أساس القضية هي أن عائشة شنت هذه الحرب، كما أن أهل السنة يعتقدون أنها قامت بحرب الجمل ولكنهم يقولون: (تابت وماتت تائبة) والآخرون يقولون: (لم تمت تائبة)، ولكن الجميع يؤيد انها كانت السبب والمحرك. حيث ان ابن أبي الحديد أيّد ان عائشة عملت هنا عملاً سيئاً مع أنه من كبار أهل السنة فانه قال: (قد أخطأت) ولكن توهم وأمثاله أنها (تابت وماتت تائبة) على أي حال بعد أن ركبت عائشة جملاً في قضية معركة الجمل وحركت طلحة والزبير أيضاً وسقطت دماء كثيرة وأخيراً انكسروا، كتب أمير المؤمنين عليه السلام رسالة

إلى معاوية في الشام، نذكر الآن بعض من جمل الرسالة الموجودة في نهج البلاغة حتى يتضح أن هذه المسألة تتعلق بقضية حرب الجمل، في خطبة نهج البلاغة قال في ذم أهل البصرة بعد وقعة الجمل:

(كنتم جند المرأة واتباع البهيمة)[1] .

ثم يذكر انهم قاموا بعمل غير مدروس، وفي الخطبة ١٤ ذم أيضاً هذه الفئة وذم البصرة.

ان مسألة اتباع البهيمة أي اتباع الجمل، وذم اتباع الجمل ليس لأن الجمل سيىء، بل لأن راكبه عمل عملاً سيئاً في هذه الحادثة، وإلا فالنبي ﷺ ركب ناقة وفي قضية الهجرة، جاء من مكة إلى المدينة ولما دخل المدينة قال:

(خلّوا سبيلها فانها مأمورة)[2] .

كل شخص اقترح على النبي ﷺ ان ينزل في داره، النبي ﷺ قال حسب هذه الرواية ان يخلوا سبيلها فان لديها مأمورية إلهية، وانه سينزل في المكان الذي تقف وتبرك وتنام فيه تلك الناقة، ووقفت الناقة في منزل أبي أيوب الأنصاري الذي كان من أفقر أهل المدينة.

هنا توجد نكتتان: أحداهما ان الناقة كانت تحمل النبي وكانت مأمورة والنبي قال: خلوا سبيلها وانه سينزل في المكان الذي تنام فيه تلك الناقة. والنكتة الأُخرىٰ هي ان تلك الناقة نزلت عند باب أفقر أهل المدينة وبركت هناك ونزل النبي ﷺ.

فالذهاب وراء الجمل أو ركوب الجمل أو العمل على أساس حركة

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٣ ، ١٤.
(٢) بحار الأنوار، ج١٩، ص١٠٨.

الجمل، ليس فيه مذمة، فلو أن أمير المؤمنين عليه السلام ركب جملاً أو فرساً أو بغلة وتحرك عدد من الأشخاص على أثره، فهل يمكن القول إن اتباع الجمل مذمومون أو أن اتباع الفرس والبغلة مذمومون؟.

امتلاك المال ليس كمالاً:

المسألة الثانية هي ان قول الإمام عليه السلام في هذا الصدد في نهج البلاغة:

(معاشر الناس، ان النساء نواقص الإيمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول)[1].

الأدلة التي يذكرها الإمام هي ان حظ النساء قليل لأن القرآن الكريم جعل إرث الرجل ضعف المرأة، فالمرأة تتمتع بمال أقل ولذلك ليست محترمة، في حين اننا لاحظنا في قضية الهجرة إلى المدينة ان الناقة وقفت عند باب دار شخص كان من أفقر أهل المدينة. فعدم امتلاك المال ليس نقصاً كما ان امتلاكه ليس كمالاً.

في إحدىٰ الخطب في نهج البلاغة بين الإمام علي عليه السلام أن الدليل على أن عدم امتلاك المال ليس كمالاً، هو ان جميع الأنبياء، لم تكن لديهم استفادة من مال الدنيا ـ أما ان نقول ان امتلاك المال ليس كمالاً أو نقول ان الله لم يعط هذا الكمال للأنبياء معاذ الله. ثم يذكر قضية موسى وعيسىٰ وداود ومحمد عليهم الصلاة والسلام ويذكر أن وضع حياتهم كان بسيطاً. فبهذه الشواهد الكثيرة يتضح ان الكمال، ليس في المال الكثير.

كسب المال وانفاقه:

بالإضافة إلى أن المرأة والرجل يرثان بالتساوي في بعض الحالات من

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٨٠.

قبيل ان والديّ الميت كل منهما يرث ١/٦ التركة وفي حالات أُخرىٰ لا يتساوىٰ الأخ والأخت، فقول الإمام بانه ليس لديهن رشداً لأن حظهن قليل لا يريد القول بانه ليس لديهن رشد؛ لأن مالهن قليل بسبب أنهن يكسبن عن طريق المهر. وجميع نفقات المرأة هي بعهدة الرجل، فإذا لم تكن استفادة المرأة من المال أكثر من الرجل فهي ليست أقل.

المرأة تستمتع باللذائذ والملابس وأدوات الزينة وانتاجها هي وظيفة الرجل أي ان الربح المهم هو للمرأة، والانتاج المهم يتعلق بالرجل، ان قوله بان لا تذهبوا وراء قيادة المرأة هو ليس لأنها فقيرة، بل لأن الدين اعطىٰ المسائل التنفيذية في قسم الاقتصاد بيد الرجل وقال: ان المرأة تستفيد ولكن من انتاج الرجل. والإمام علي عليه السلام يريد الاستدلال على انه لو كانت القيادة بعهدة المرأة لكان الله تعالىٰ قد ساوىٰ إرث المرأة والرجل.

هنا توجد مسألتان دقيقتان ومنفصلتان عن بعضهما بشكل كامل، الإمام علي عليه السلام لم يرد القول ان المرأة قليلة القيمة لأن سهم ارثها قليل، بل أراد القول ان الدين يعطي للمرأة هذا المال ولكن بمسؤولية الرجل، يعطيها بصفة مهر، بصفة نفقة، لا يعطيها مالها مباشرة، حتى لا تكون متولية الدخل والصرف ومشقة الانتاج، وهذه تعود إلى الأمور التنفيذية، ولا تعود إلى المسائل المعنوية، وإلى طريق القلب وقبول الموعظة وأمثالها.

توهم تفكير المعتزلي:

هناك عدة نكات في الخطبة ٨٠: أحداها انه قال:

(معاشر الناس إن النساء نواقص الإيمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول).

فاستنبط ابن أبي الحديد من هذه الجملة تفكيراً اعتزالياً لأن المعتزلة يقـولـون: ان الإيمـان ليس الاعتقـاد فقـط بـل العمـل أيضـاً سهيـم فـي متـن الايمان، لذا قال: إذا أقرّ الشخص بالله والنبي، ولم يعمل فهو ليس مؤمناً، لأن الإمام قال: إن المرأة محرومة من الايمان لأنها محرومة من الصلاة والصوم في حال ترك الصوم والصلاة في أيام العادة، فيتضح ان العمل جزء مـن الايمـان، ولـم ينتبـه إلـى أن هـذا الـدليـل هـو عكـس تصـور المعتـزلـة، المعتزلي يقول: إن الشخص إذا لم يعمل فليس مؤمناً، والإمام يقول بأنهن مؤمنات في الوقت الذي ليس لديهن عمل، ولكن إيمانهن قليل، وهذه القلة قابلة للجبران كما ذكرنا.

شهادة المرأة والنسيان:

تعليل الإمام عليه السلام في مسألة نقصان العقل هو ان شهادة امرأتين هي في حكم شهادة رجل واحد، جاء في القرآن: ﴿فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء﴾[1].

ولكن هذا لا يعود إلى مسألة التفكير والعقل، فالقرآن يذكر نكتة ذلك ويقول:

﴿أن تضل أحداهما فتذكر إحداهما الأُخرىٰ﴾[2].

امرأتان من أجل ان يكون لكليهما حضور في الحادثة وهذا يعود إلى ضعف الذاكرة وليس إلى ضعف العقل، لأن المرأة مشغولة بأعمال البيت وتربية الطفل، ومشكلات الأمومة، لذا من الممكن ان تنسىٰ تلك الحادثة التي رأتها. بناء على هذا تحضر امرأتان في هذه القضية حتى تذكر أحداهما

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٢) المصدر السابق.

الأُخرىٰ.

في بعض الحالات شهادة المرأة مسموعة ومقبولة كاملاً.

يتضح بملاحظة الاقسام الثلاثة انها إذا بينت فان أي منها ليس علامة نقص.

ذم حب المرأة وحب الدنيا:

إذا ورد في الكلمات القصار ان:

(المرأة عقرب حلوة اللسْبة)[1].

ليس من أجل ان يذم المرأة، بل هذا إنذار للرجل ان لا تخدعه المرأة كما ورد مثل هذه التعبير بشأن الدنيا أيضاً. ليس من أجل أن يقول ان المرأة عقرب، بل يقول لا تعطوا أنفسكم إلى النار بواسطة النظر إلى غير المحرم. رؤية غير المحرم حلوة، ولكن هذا الذنب باطنه عقرب لا أن المرأة عقرب وهذا التعبير ذكر بشأن الدنيا أيضاً، في رسالة كتبها أمير المؤمنين عليه السلام إلى سلمان، قال:

(فإنما مثل الدنيا مثل الحية، لين مسّها قاتل سمّها)[2].

لماذا كانت المصافحة مع المرأة معصية؟ لأنه لين مسها قاتل سمها، هذا ليس ذماً للمرأة، ذم للنظر إلى غير المحرم، كما أن ذلك ليس دليلاً على ذم الدنيا، بل ذم حب الدنيا والانجذاب إلى الدنيا، وإلّا فان الإمام علياً عليه السلام قال: إن الدنيا محل جيد.

كل الأنبياء والأولياء والحكماء والعارفين والصالحين والصديقين

---

(١) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، الكلمات القصار ٦١.
(٢) نهج البلاغة، الرسالة ٦٨.

والشهداء بلغوا الكمال في هذه الدنيا، فلو لم يولدوا في الدنيا لكانوا تراباً، أو لكانوا نطفاً يدفنون مع آبائهم. ولدوا في هذه الدنيا، جاؤوا إلى سوق الدنيا وتاجروا وربحوا الدنيا متجر الأولياء. لذا قال: إن الدنيا متجر الأولياء. فإذا عرض شخص نفسه لإغراء زخارف الدنيا فهو مثل الطفل الذي يلمس ظهر الحية الناعم، وهذه النعومة هي سم وإذا عرف شخص الدنيا لا يبيع نفسه لها.

فإذا ورد في الكلمات القصار ان المرأة عقرب أي أن الغرائز الجسمية عقرب. الإنسان لا يبيع نفسه إلى عقرب.

مدح الدنيا والمال الصالح:

ورد في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين عليه السلام كان مشغولاً بالكلام، فعبرت امرأة أجنبية من جانب ذلك الجمع، فنظر بعض الحاضرين ـ لم يكن جميع الحاضرين تلاميذ للإمام علي عليه السلام ـ أو أرادوا النظر، فقال الإمام بانهم إذا رأوا امرأة فلا ينخدعوا ولا يحرقوا أنفسهم بالنار، فالله تعالى هيأ لهم من طريق الحلال وأكثر من هذا المقدار لا يحتاجون وان ما هو لازم لهم أعطاهم الله إياه وما لم يعطهم فليس لازماً، فالإمام لم يذم المرأة كما أنه لم يذم الدنيا، هل أن الدنيا أي هذا الهواء والماء هي سيئة؟ هل رأيتم مكاناً أفضل من الدنيا وأصدق من الدنيا.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(نعم المال الصالح للرجل الصالح)[1].

كم هو جيد المال الحلال، للشخص الصالح، لأنكم تستطيعون تأمين مسائل الحرب والجبهات بمالكم. ويلاحظ كلام كثير مثل هذا الكلام. من

---

(١) جامع السعادات، ج٢، ص٣٨.

ناحية أُخرىٰ قال تعالىٰ:

﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوىٰ بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾[1] .

إن تلك المذمة المتعلقة بعمل الإنسان يجب أن لا يسندها إلى نفس الشيء، وهذا التعبير الذي ورد بشأن الدنيا ورد أيضاً بشأن المرأة، لا أن المرأة عقرب، بل حب المرأة عقرب، لا أن الدنيا حية، بل حب الدنيا حية.

كذلك إذا وقعت امرأة في شباك رجل، فحب الرجل يصبح عقرباً، وليس هناك فرق بين المرأة والرجل، ولكن لأن الجاذبة أكثر في ذلك الطرف فقد أشار الإمام علي عليه السلام إليه.

هذه المسائل إذا توضحت يتبين عند ذلك ان المرأة لم تذم من ناحية أنها امرأة، ومسألة ذم عائشة بعد حرب الجمل لها حساب خاص. كما أن ذم البصرة في حرب الجمل له حساب منفصل، ان قضية ذم حب المرأة، وقضية ان المرأة والرجل كليهما عباد الله الخاصين وكل شخص يستطيع قطع طريق بقابليته الخاصة، لكل منهما حساب خاص. وقد بين قسم مفصل من هذه البحوث في فصل العرفان بالاستعانة بشواهد قرآنية ورغم ان القرآن وكذلك الروايات يؤكد ان نظام الخلق نظام علّي ومعلولي وأن علاقة السبب والمسبب قائمة، ولكن طريق العرفان، هو طريق خاص، أي ان الله لديه طريقان للعلاقة مع الإنسان، وكل شخص يستطيع الوصول إلى الله عن طريقين، أحدهما الأسباب والعلل، وهو طريق الحكمة، والآخر طريق المعرفة وطريق القلب، وهو أن الله أقرب إلى الإنسان من كل شيء، ومن كل سبب ومن كل علة. وطريق القلب ان لم يكن أقرب عند النساء، فهو

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٥.

على الأقل في حدود الطريق الذي يستطيع الرجال قطعه.

جواب آخر على شبهة نقصان الايمان:

في مقابل توهم الذين لا يعتبرون المرأة مثل الرجل ويستدلون لتبرير رأيهم بخطبة نهج البلاغة ويستشهدون برواية مروية عن رسول الله ﷺ ويعتبرون مستند هذا الاستشهاد والاستنباط حرمان المرأة من الصلاة والصوم و.. في بعض أيام السنة، لا بد من تحقيق أساسي حتى يتبين ان المرأة إن لم تكن أنجح من الرجل فهي على الأقل بمستواه. ومن اللازم مقدمة قصيرة لتبيين هذا الموضوع وهي انه:

أولاً: إن الأوامر الدينية هي سند جيد ومرشد ضروري لـ (السالكين إلى الله). الشخص الذي ليس من أهل الطريق، أو ليس في الطريق، أو لا يستطيع الذهاب، لا يقدم له الدين برنامجاً، على عكس الذين هم أهل طريق ويستطيعون طي الصراط المستقيم حيث يضع الدين لهم برنامج ومقررات.

ثانياً: كل من يكون استعداده لقطع هذا الطريق أقرب وأسرع وأكثر تكون البرامج الدينية له أنسب وأكثر.

تكاليف خاصة لأولياء الله:

مثال هذا البحث ان هناك مجموعة تكاليف للأنبياء حرم منها الآخرون. فمثلاً هناك تكاليف خاصة لخاتم الأنبياء ﷺ في مجال العبادات مثل صلاة الليل حيث لا يصل الآخرون إلى هذا الفيض. ورغم ان صلاة الليل جائزة للجميع وفضيلة ولكن الالتزام بها يختص برسول الله ﷺ مع انه ورد الأمر بالصلوات الخمس إلى جانب مسألة صلاة الليل.

﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾[1] .

أشير في هذا القسم من آيات سورة الإسراء، إلى الصلوات الخمس الظهرين والمغربين وصلاة الصبح، وهذا ليس خاصاً برسول الله ﷺ ولكن في قسم آخر من هذه السورة إلى جانب هذه الآيات قال:

﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾[2] .

أي أن هذا أمر خاص ونافلة لك فقط، الصلوات الخمس هي فريضة وواجب عمومي، ولكن صلاة الليل هذه هي فريضة خاصة، ويجب ان لا يستفاد من قرينة نافلة أن صلاة الليل كانت مستحبة للنبي، بل ان كلمة نافلة هي صفة لموصوف محذوف أي **﴿ومن الليل فتهجد به فريضة نافلة لك﴾** نافلة أي زائدة أي فريضة خاصة، مثل ما جاء بشأن يعقوب حيث قال تعالىٰ: إن إبراهيم طلب من الله ذرية فاعطاه الله حفيداً أيضاً، هذا الحفيد يصبح نافلة.

﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين﴾[3] .

و **﴿نافلة﴾** في هذه الآية من الناحية الأدبية جعلت صفة لهبة يعقوب وهو حفيد وليس صفة إسحاق، الغرض هو ان صلاة الليل، كانت واجبة على رسول الله ﷺ وعلة وجوب صلاة الليل هي أنه أكثر استعداداً من الآخرين لقبول هذا التكليف. كل روح تكون أكثر استعداداً وكل نفس تكون

---

(١) سورة الإسراء. الآية: ٧٨.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٧٢.

أكثر لياقة تتوجه إليها تكاليف وأوامر أكثر.

تقدم المرأة في التشرف بالتكليف:

يمكن القول على أساس تلك المقدمة وهذا المثال ان نجاح المرأة أكثر من الرجل، وإذا تنزلنا يجب أن القول على الأقل: إن المرأة مثل الرجل. وإلاّ بحسب الظاهر يجب أن يعطىٰ هذا الرأي وهو ان المرأة أعلىٰ وأكمل من الرجل؛ لأن الله تعالىٰ استقبل المرأة ست سنوات تقريباً قبل أن يصبح الرجل مكلفاً. فأوجب عليها الصلاة التي هي عمود الدين والصوم الذي هو حصن الدين، والحج الذي هو وفد إلى الله هذه كلها دليل على أن المرأة هي أليق من الرجل لتلقي الفضائل. ولو ان هذا المنطق يبيّن وينفذ بشكل صحيح يتضح بالنتيجة أن المرأة أعلى من الرجل أو على الأقل بمستوىٰ الرجل. ورغم انها تحرم من بعض العبادات خلال فترة العادة، ولكن كما ورد توضيحه فان جميع التكاليف التي تسلب من المرأة في هذه الحالة، قابلة للجبران، فالصوم يقضىٰ وأما الصلاة فليس فيها قضاء، وتقبل الجبران بهذا الشكل وهو أن المرأة إذا توضأت في أيام العادة وجلست نحو القبلة في مصلاها وقرأت ذكراً بمقدار الصلاة تحصل على ثواب الصلاة. كما أن المسافر إذا أراد الحصول على ثواب الركعتين اللتين فقدهما، يكرر بدلاً عنهما بعد صلاة الركعتين الواجبتين، ثلاثين أو أربعين مرة التسبيحات الأربع، فيعمل على جبران الركعتين الساقطتين. فمثل هذه الفضائل قابلة للجبران.

المهم أن الرجل عندما يتم سن الخمس عشرة سنة ويدخل في سن الست عشرة سنة عند ذلك يكسب لياقة الخطاب الإلهي، وقبل ذلك ليس لديه هذه اللياقة.

حفل التشرف بالبلوغ:

على هذا الأساس فالبلوغ شرف. أهل السلوك يقولون: تشرفنا لا كلفنا، لأنه ليس في الأمر كلفة، بل شرف لذا نقرأ في مناجاة الذاكرين للإمام السجاد عليه السلام (يا من ذكره شرف).

لو وصل الشخص إلى درجة يذكر الله فيها، وفي ظل هذا الذكر يكون الله ذاكره فانه يحصل على شرف. على هذا الأساس فالبلوغ شرف، والمرأة تصل إلى هذا الشرف قبل الرجل بست سنوات. وإذا نفذت هذه البرامج بشكل صحيح فان المرأة تقطع قسماً كثيراً من الطريق قبل ان يدخل الرجل إلى الطريق ويسير في الصراط المستقيم. بناء على هذا فان الحرمان الذي لدى المرأة في فترة العادة قابل للجبران مضافاً لتمتعها بجميع المزايا قبل الرجل بستة أعوام.

في نهاية العمر ليس هناك فرق بين المرأة والرجل، لأن النساء غير السادات عندما يصلن إلى سن الخمسين سنة عند ذلك ليس هناك كلام عن أيام حرمان وأمثال ذلك وفي هذه الفترة التي هي مثلاً من سن العاشرة حتى الخمسين سنة نلاحظ: أولاً أن رؤية العادة عدة أيام في الشهر خلال الأربعين سنة هذه لا يشمل جميع النساء رغم انه الغالب. وثانياً؛ النساء الحوامل واللواتي لديهن توفيق حمل أمانة لا يشملهن الحرمان من العبادة أيضاً، لأن العادة لا تجتمع مع الحمل غالباً. وثالثاً مدة الست سنوات التي تصبح المرأة فيها بالغة قبل بلوغ الرجل ترمم جميع هذه النواقص. عند ذلك سيتضح أنه إذا قيل: إن المرأة إيمانها ناقص، هو فمن ناحية أنها لا تجبر نقص عبادتها. أما إذا جبرته فايمانها سيكون كثيراً، وإذا فكرت في اغتنام فترة الست سنوات هذه عند ذلك لا تكون ناقصة.

معنى ان المرأة ريحانة:

يتضح مما قيل سر بيان أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة في وصف المرأة:

(فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة)[1] .

أي ان المرأة هي ريحانة يجب جعلها تحت التربية والتكليف قبل الرجل، وفي غير هذه الحالة تضيع. وتؤيد هذه المسألة رواية عن الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول:

(من اتخذ امرأة فليكرمها فإنما امرأة أحدكم لعبة فمن اتخذها فلا يضيعها)[2] .

ليس المراد من اللعب في الرواية هي أداة اللعب بل يعني أن المرأة ريحانة. هذه الريحانة لا تضيعوها ولا تتركوها بلا تكليف. الإسلام يأمر أولياء المدرسة، يأمر أولياء المنزل أن يهتموا بالبنات أكثر من البنين، إذا كان التكليف على البنت يبدأ ستة أعوام قبل الفتىٰ، وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً، فبناءً على هذا فإن أولياء المنزل والمدرسة تكون مسؤوليتهم عن البنات أكثر من البنين.

من هنا يتضح ان المرأة ليست لعبة، وهي ريحانة والريحانة يجب تربيتها أفضل وأسرع من الاجرام الثقيلة. على أساس هذا التحليل يتضح أن المرأة تحصل على استعداد للصلاة والمناجاة أسرع من الرجل، وإذا كانت الطرق العاطفية في المرأة أكثر أحياناً، فان هذه التكاليف توازن تلك الطرق لئلا تذهب هدراً.

---

(١) نهج البلاغة، الرسالة ٣١.

(٢) بحار الأنوار، ج١٠٣، ص٢٢٤.

علة عدم إلزام المرأة ببعض التكاليف:

نعم إذا وصلت المرأة إلى مرحلة يكون فيها الرجل مكلفاً، فان جميع المسائل لديها كالرجل. ولكن الأعمال الصعبة لم توجب عليها من ناحية انها ريحانة و (ليست بقهرمانة)، ولكن في حد الرخصة وليس العزيمة، وبديهي ان هناك فرقاً بين الرخصة والعزيمة، فالعزيمة تعني أن نهياً عن شيء ورد لا يحق لأحد القيام به مثل أن المسافر يجب أن لا يصوم، يجب أن لا يصلي صلاة الظهر أو العصر أو العشاء أربع ركعات. وهذه تسمىٰ إصطلاحاً (العزيمة) أي يجب الإطاعة. أما (الرخصة) فهي رفع الوجوب عن عمل، بدون أن يكون قد حرّم، إذا قيل إن صلاة الجمعة ليست واجبة على المرأة، أي ليس واجباً أن تحضر لا انها إذا حضرت فان حضورها لن يكون مقبولاً أو ليس لها فضيلة وأمثال ذلك.

أحياناً يقال إن المرأة محرومة من كثير من المزايا الدينية مثل المشاركة في صلاة الجمعة، والمشاركة في صلاة الجماعة وتشييع الجنازة وأمثال ذلك، بدليل الروايات التي وردت في هذا المجال.

(فيما أوصىٰ به النبي ﷺ علياً عليه السلام يا علي ليس على النساء جمعة ولا جماعة ولا أذان ولا إقامة)[1].

في جواب هذا الإشكال يجب القول: إن هذا الحرمان في حد الرخصة وليس العزيمة، أي أن الإلزام دفع عن المرأة لا أنها لا يحق لها المشاركة في الجمعة والجماعات؛ لأنه ذكر في أحكام صلاة الجمعة انه في حال تعين وجوب صلاة الجمعة، على المكلفين حتى مسافة فرسخين يجب أن يحضروا في صلاة الجمعة ولا يحق لهم في مسافة فرسخ واحد تشكيل

(١) بحار الأنوار، ج٨١، الباب٣٥، ص١١٥.

صلاتي جمعة، وبعبارة أُخرىٰ أن المسافة بين الصلاتين يجب أن لا يكون أقل من فرسخ واحد.

بناء على هذا إذا كانت صلاة الجمعة مهمة إلى هذا الحد، وأنه في حالة الوجوب التعييني يجب أن يشترك الموجودون في حدود فرسخين حتماً؛ فهذا العمل صعب على المرأة لأن المرأة (ريحانة ليست بقهرمانة)، من هذه الناحية سلب الالزام والعزيمة عن المرأة، أي ليس لازماً على المرأة ان تقطع هذه المسافة البعيدة حتماً. لا بمعنى أنه لا يحق للمرأة المشاركة أو انها إذا تحملت هذا العناء وحضرت في صلاة الجمعة فصلاتها لا تكون مقبولة، أو لا تكفي عن صلاة الظهر، أو تكون فاقدة لفضيلة صلاة الجمعة.

وبشأن الجماعة كذلك أيضاً، صلاة الجماعة مهمة ومعتبرة في الإسلام إلى حد أن رسول الله ﷺ أمر لمنع نفاق المنافقين في صدر الإسلام بتعزير الذين لا يشتركون في صلاة الجماعة ويعتزمون تدريجاً التآمر وإضعاف الإسلام، وكذلك الذين يستطيعون الحضور إلى صلاة الجماعة ولكن لا يعدون صلاة الجماعة مكرمة ولا يشتركون فيها، أمر بتخريب بيوتهم على رؤوسهم. ففي رواية عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: اشترط رسول الله ﷺ على جيران المسجد شهود الصلاة، وقال: لينتهن أقوام لا يشهدون الصلاة أو لآمرنّ مؤذناً يؤذن ثم يقيم آمر رجلاً من أهل بيتي وهو علي عليه السلام فليحرقنّ على أقوام بيوتهم بحزم الحطب، لأنهم لا يأتون الصلاة[1].



هذا التهديد كان لمنع نفوذ المنافق، على هذا الأساس فالمشاركة في صلاة جماعة رسول الله ﷺ لازمة بدون عذر، وعدم الحضور بدون عذر

---

(١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٣٧٦، الباب٢ من أبواب صلاة الجماعة.

كان ممنوعاً، هذا الأمر لم يصبح لازماً على النساء لأنه كان مقروناً بصعوبة. لا أن المرأة إذا تحملت هذه المشقة واشتركت في صلاة الجماعة لا تكون صلاتها مقبولة، أو لا تكون صحيحة أو ليس فيها فضيلة وأمثال ذلك.

نوع هذه المسائل هو من باب الرخصة وليس العزيمة. المهم ما مر خلال البحث في بيان تلك المقدمة.

عدم وفاء المرأة انذار تربوي وليس نقصاً ذاتياً.

ورد في رواية قول أبي عبد الله عليه السلام: خمس من خمسة محال... والوفاء من المرأة....)[1].

هذه الرواية تشير إلى التربية العامة ومثل هذه الرواية التي هي في باب الخمسة، وردت رواية أُخرىٰ في باب الستة، قال عليه السلام: (ان الله عز وجل يعذب ستة بستة... والفقهاء بالحسد.....)[2].

مضمون هذه الرواية يشير إلى أن كل شخص مبتلى في فرعه وهذا ليس بمعنى ان الفقه سيّىء أو الفقيه حسود، بل يعني انه يجب الحذر لئلا ينفذ هذا الخطر في هذا الفرع وإلا فالفضائل الواردة بشأن الفقه والفقهاء غير قابلة للإنكار فقد قال:

(الفقهاء أمناء الرسل)[3]

ولكنه اعطىٰ انذاراً أيضاً من الوقوع في الحسد والاحتراق من أثر ذنب الحسد، ذكر المرحوم الصدوق كلتا الروايتين في الخصال. بناء على هذا فكما ان هذه الرواية ليست تنقيصاً للفقه أو الفقيه، كذلك رواية الخمسة

---

(١) الخصال، للصدوق، الحديث٥.

(٢) الخصال، الحديث١٤.

(٣) أصول الكافي، ج١، ص٤٦.

ليست تنقيصاً للمرأة، حيث أن المرحوم الصدوق ذكر في باب النجابة في كتاب الخصال: ثلاثة لا ينجبون[1] والحال أننا رأينا كثيراً من النجباء ظهروا من هذه الأقوام الثلاثة ودعوا الآخرين إلى النجابة.

دراسة الروايات الواردة في ذم المرأة:

هذه الروايات هي إما شبيه القضايا الشخصية أو بالنظر إلى ظروف خاصة في ذلك العصر، مثل ما ورد بشأن خواص الأشياء، مثلاً أن يقال: إن الفاكهة الفلانية لها هذه الخاصية، فهل لها هذه الخاصية لجميع الناس أم لأهل تلك المنطقة؟ أحياناً تلاحظون أن فاكهة تنمو في منطقة ما وهذه الفاكهة أنماها الله سبحانه لتأمين حاجات أهل تلك المنطقة وهي ليست بتلك الفائدة لأهل مناطق أُخرىٰ. إن الجمل والأمثال والحكم الإقليمية يجب عدم اعتبارها قضايا طبيعية أو حقيقية كما أن القدح والمدح هو كذلك، فإذا مدحت أو ذمت فئة خاصة في ظروف خاصة، يجب عدم اعتبار هذه كقضايا طبيعية أو قضايا حقيقية.

على أي حال الطريق مفتوح للتكامل والرقي والمهم هو طريق الموعظة وهو طريق خالد.

نصيحة صاحب الفتوحات للإمام الرازي:

ذات يوم حصل للإمام الرازي تجديد نظر خلال الدرس وبكىٰ، فقال تلاميذ درسه: لماذا تبكي؟ قال كان هناك موضوع كنت أفكر فيه ثلاثين سنة، وكنت أرىٰ نفسي محقاً ثلاثين سنة في أطراف ذلك الموضوع والآن فهمت ان الحق ليس معي وانني كنت مخطئاً ثلاثين سنة.

---

(١) الخصال الحديث ٨٠ ومتنه عن الباقر أو الصادق عليهما السلام: ثلاثة لا ينجبون أعور عين، وأزرق كالفصّ، ومولد السند.

في رسائل صاحب الفتوحات ذكر ان ذلك العارف الكبير كتب للإمام الرازي: يجب أن تتعلم أولاً العلم ثلاثين سنة، بحيث لا تبكي. بعد ثلاثين سنة، لعل العقيدة التي لديك اليوم قد تبكي بسببها بعد ثلاثين سنة، أسلك الطريق الذي يقل فيه خطؤك، والأُخرىٰ هي أن تذهب وراء علم لا يتركك ولا تتركه، أنت كائن أبدي، هيّىء العلم الذي يكون له مشترٍ بعد الموت أيضاً.

العلوم الأداتية والعلوم الحقيقية:

إذا بحث الشخص بشأن الرؤية الكونية الإلهية، وبحث بشأن الله واسمائه الحسنىٰ وصفات جلاله وجماله وأفعاله، والمعاد، ومواقف القيامة، والجنة وجهنم، والصراط والحساب، والميزان والشفاعة، وحوض الكوثر، وغيرها، وبحث في الوحي والرسالة والنبوة والإمامة، فكل هذه البحوث تصبح بالنسبة له بعد موته طرية وواضحة ومشهودة وناضجة الواحدة تلو الأُخرىٰ، وتصبح أكثر ازدهاراً لحظة فلحظة، ولكن إذا سعىٰ شخص في كيف يشق طريقاً، ويبني مسجداً ومدرسة وجامعة، وكيف يكون مهندساً للطرق والبناء، وكيف يكون طبيباً، فإن هذه العلوم ينساها شيئاً فشيئاً بعد الموت، لأنه ليس هناك كلام في الطرق والبناء والعلم الذي لا يتكرر يرحل، هناك لا يسألون شخصاً ان يقدم خريطة بناء أو خريطة شارع وصحراء.

هذا النوع من العلوم هي علوم لرفع حاجات الدنيا وتحصيلها واجب وإذا استفاد الإنسان من هذا الطريق وخدم في النظام الإسلامي. فخدمته هذه تصبح عملاً صالحاً وتبقى في القيامة إلى الأبد ولكن نفس هذا العلم ينتهي فهو ليس علماً باقياً.

كل هذه تتعلق بعالم الدنيا وبعد الموت لا يقال لشخص بأن يدرس العرفان والفلسفة أو الفقه والأصول أو يصنف، أو يؤلف. التصنيف والتأليف والتدريس والكتابة هي من الحرف الدنيوية التي تنتهي بعد الموت، فالشخص إذا كان لديه علم وكان هذا العلم معه حتى الشيخوخة، ففي مرحلة الشيخوخة تذهب هذه المسائل شيئاً فشيئاً من ذهنه لأنه لا يستطيع ان يتمرّن.

الأديب الماهر يعجز في أواخر العمر عن قراءة حتى سطر أدبي واحد، فهذه العلوم تنتهي عند قرب الموت، وهي علوم أدواتية.

أما إذا عمل شخص بشأن المعارف الإلهية فإن معلوماته تلك تصبح مشهودة الواحدة تلو الأُخرىٰ، إذا بحث شخص في هذا المجال في معنى الكوثر، وهل هو من ماء يرفع الجوع أيضاً؟ أم هل هو من ماء إذا شرب منه الشخص جرعة واحدة لا يعطش بعد ذلك إلى الأبد، أي ماء هذا الذي يعمل عمل الخبز عمل التفاح والعرموط وعمل العطر؟!.

إذ فهم هذه المسائل أو مسألة الشفاعة أو جسر الصراط فهذه علوم تصبح مشهودة له بعد الموت ويجدها أوضح. أي يرىٰ تعبه مشهوداً ويظهر له لحظة فلحظة، وإذا لم يعمل شخص في هذه المسائل يصبح إفهامه صعباً.

من الممكن ان يتعلم في الدنيا بصعوبة، ولكن في الآخرة ليس هكذا حيث يتعلم بسهولة ما هو معنىٰ الشفاعة؟ ما هو معنىٰ الصراط؟ ما هو معنىٰ الكوثر؟ ما هو معنىٰ الجنة وجهنم؟ لا يتعلم مجاناً، هناك لا يتعلم بالسمع، بل بالقلب، لذا ما لم يتم تنظيف قلبه من الغبار ورفع الطبقات الدسمة عن قلبه فقلبه لا يرىٰ. إذا أصبحت عين الإنسان لا ترىٰ من أثر دخول شوكة

وحشائش فيها فيجب ان يعطي عينه إلى الطبيب في غرفة العلميات والقسم العلاجي حتى تجرى لها عملية جراحية وتستخرج هذه الأشواك والحشائش والأوساخ من عينه حتى يرىٰ وإلا فانه لن يرىٰ. عين القلب هي كذلك أيضاً.

جاء في القرآن الكريم:

﴿**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾[1].

هذا الذنب هو رين يجلس على القلب. الإنسان لا يرىٰ النبي، ولا يرى الكوثر بالعين الظاهرية بل يرىٰ بعين القلب، وما لم يتم تنظيف عين القلب هذه واستخراج هذا الغبار والأوساخ لا ترىٰ مرآة القلب أسرار القيامة، هناك تتطلب عملية جراحية وما لم تجر عملية جراحية للقلب وتستخرج هذه الأوساخ، لا يرىٰ الكوثر، وهذا ليس أمراً سهلاً أيضاً، هل يستطيع الأشخاص العاديون ان يروا علي بن أبي طالب عليه السلام، من لم يكن من أهل الولاية هل يستطيع ان يرىٰ الجمال النوراني للإمام، هل ان رؤية سيد الشهداء عليه السلام أمر سهل؟

بالنتيجة يرىٰ الإنسان ذلك في القيامة، ولكن بعمليات جراحية كثيرة، وما لم ينظف الرين، وما لم تجرِ عملية جراحية لعين القلب، لا يرىٰ شخص أسرار القيامة، ولهذا يبدأ الضغط من القبر، الشخص الذي يؤخذ إلى غرفة العلميات لا يؤخذ للضيافة، هناك مكان عمليات جراحية.

ورد في كتاب نهج البلاغة القيّم أن الإنسان عندما يموت يحملونه إلى غرفة عمله ويصبح هذا البدن ميتة، لذا يقول جميع ذويه: ادفنوه بسرعة حتى لا يجيف:

---

(١) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(صار جيفة بين أهله وأسلموه إلى عمله)[1] .

وورد أمر بأن التعجيل في أمر الميت مستحب ويجب دفنه بسرعة كما ان ذويه يسعون بسرعة لأن يدفنوه. وهذا يتعلق بالبدن، إنه (صار جيفة بين أهله) ولكن إلى أين يحملون روحه؟ قال: (واسلموه إلى عمله).

بناء على هذا تذهب العلوم الحصولية حين الموت، ولا يحصل بسهولة على العلوم الشهودية، هناك إذا كانت المرأة أكثر تهذيباً تصل إلى المقصد. أسرع من الرجل، ويجب عدم القول بأن المرأة ليست مقربة بدرجة الرجل لأن الرجل في الفيزياء أو الرياضيات أقوىٰ.

ضرورة وجود المرأة والرجل في نظام الوجود:

جاء في القرآن الكريم أن الله تعالىٰ يتولى نظام الخلق. لو فرض أن المجتمع الإنساني كله رجال. فمن هذا الفرض يأتي عدمه لازماً؛ لأنه إذا كان الجميع رجالاً، عند ذلك لا يكون هناك جميع، لأنه إذا لم يكن هناك امرأة فالرجل لا يستطيع وحده ان يكون مبدأ ظهور النسل، بناء على هذا فان المجتمع يحتاج إلى المرأة والرجل معاً وكلاهما ركن في هذا النظام الإنساني، هذا من ناحية، ومن ناحية أُخرىٰ إذا أصبح الرجال نساء والنساء رجالاً فان هذا السؤال يطرح أيضاً وهو لماذا يوجد فرق.

النظام القائم على القسط والعدل:

منطق القرآن الكريم بشأن عمل الله هو أن الله سبحانه لا يظلم أحداً:

﴿ولا يظلم ربّك أحداً﴾[2] ﴿وما ربّك بظلّام للعبيد﴾[3] .

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

إن الله تعالىٰ قائم بالقسط أولاً، وثانياً، لأنه قائم بالقسط فهو يدعو الناس إلى القسط والعدل، وثالثاً: يعرض للناس معيار القسط والعدل أيضاً. هذه المسائل الثلاث يبينها القرآن جيداً:

﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط﴾[1].

المسألة الثانية هي ان الله تعالىٰ أمر ودعا الناس إلى القسط والعدل:

﴿قل أمر ربّي بالقسط﴾[2].

المسألة الثالثة انه أرسل للناس معيار تشخيص القسط والعدل مع الأنبياء.

﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾[3].

هذه المسائل الثلاثة يذكرها القرآن حيث يستفاد من جمع العقل والنقل علاوة على الأدلة العقلية انه لا يوجد ظلم في نظام الخلق. بناء على هذا لا يستطيع أي شخص ان يقول إنني ظلمت، لا المرأة تستطيع أن تقول إنني ظلمت في نظام الوجود ولا الرجل يستطيع الظن أنه أعطي إليه أفضلية في نظام الوجود.

سر الفرق بين المرأة والرجل:

إن ما ذكر في القرآن الكريم فيما يتعلق بالفوارق بين الكائنات هو أنه أولاً يجب إدارة الحياة بأحسن وجه، وثانياً ما لم يتحقق تسخير متقابل بين

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.
(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

الكائنات وما لم يحصل إيجاد انسجام بين هذه الآحاد والطبقات، فإن النظام لا يدار بأحسن وجه، وقال في سورة الزخرف:

﴿أهم يقسمون رحمة ربّك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾[1] .

وكما ان اختلاف الطبقات والقابليات والميول والجذب والدفع ليس معياراً للفضيلة، بل الجميع هي لازم بوصفه أداة عمل حتى يتحقق تسخير متقابل وذو طرفين: **﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾**، كذلك الاختلاف بشأن المرأة والرجل أي أن الذي لديه قابلية أفضل، فهذه القابلية ليست علامة على فضيلة معنوية وتقرب إلى الله. إذا استطاع ان يحصل على فائدة أفضل من هذه القابلية وان يعمل باخلاص أكثر فلديه تقوىٰ أكثر، ويكون أقرب إلى الكمال المحض من هذه الناحية، ولكن إذا لم يستفد من هذه القابلية ولم يتقرب إلى الله سبحانه فقد تكون هذه القابلية الزائدة وبالاً عليه. فالقابليات وإن كانت فضيلة ظاهرية ولكنها ليست دليلاً على التقرب إلى الله. دليل القرب هو الاخلاص والتقوىٰ وأمثالها.

بناء على هذا، فان هذه الفوارق هي من أجل ان تسخر مجموعة مجموعة أخرى بصورة متقابلة ومن الطرفين ولا يحق لأحد ان يسخر شخصاً آخر ولا يصبح نفسه مسخراً ولا يستطيع شخص ان يطلب من الآخرين تسخيراً من طرف واحد بامتلاك قوة وامكانات في القابلية أو غير القابلية بل **﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾** أي يجب أن يكون تسخير متقابل وخدمات متقابلة حتى يدار النظام بأحسن وجه، وإذا لم يكن التسخير متقابلاً فهو

(١) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

استهزاء وأخذ مصالح الآخر مجاناً حيث نهىٰ القرآن ذلك وحرّمه وأدانه بوصفه ظلماً.

بناء على هذا فان نظام الخلق يتطلب قابليات متقابلة ومتخالفة، وهذا الفرق هو من أجل التسخير المتقابل وذي الطرفين وليس التسخير من طرف واحد، وهذا التسخير المتقابل ذي الطرفين. ليس دليل فضيلة، بل إن معيار الفضيلة هو في شيء آخر وهو التقرب إلى الله.

قيمومة الرجل على المرأة:

هناك مجموعة مزايا للرجل بسبب الأعمال التنفيذية ولكن في القواعد الأساسية للتقرب والتكامل ليس هناك فرق بين المرأة والرجل. فمثلاً عندما تطرح المرأة في مقابل الرجل والرجل في مقابل المرأة بوصفهما صنفين فالرجل ليس قوام وقيم المرأة أبداً، وليست المرأة تحت قيمومية الرجل. ﴿الرجال قوّامون على النساء﴾ حين تكون المرأة في مقابل الزوج والزوج في مقابل المرأة وفي تلك الحالة يرد الكلام في القيمومية. علاوة على أن القيمومية ليست دليلاً على الكمال والتقرب إلى الله، مثلما ان في جميع الوزارات والمجامع والمراكز هناك أشخاص قوامون على آخرين كالمدير، المسؤول والرئيس وأمثالهم، ولكن هذه الإدارة ليست فخراً معنوياً، بل هي عمل تنفيذي. فالشخص الذي يصبح رئيساً أو مسؤولاً وقيماً وقوّاماً لا يكون أقرب إلى الله. بل إن ذلك مسؤولية تنفيذية فقط، ومن الممكن ان الشخص الذي لا يتولىٰ رئاسة تلك المؤسسة يعمل باخلاص أكثر من القيم ويحصل يوم القيامة على أجر أفضل، ويكون عند الله أقرب. فالقوامية تتعلق بأعمال الإدارة والأعمال التنفيذية ودليلها بينه القرآن بهذا الشكل:

﴿الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما

انفقوا من أموالهم﴾[1] .

إن المسائل الاجتماعية والحس الاقتصادي والسعي والجهد لتحصيل المال وتأمين حاجات المنزل وإدارة الحياة يتولاها الرجل بصورة أفضل، ولأن الرجل مسؤول عن تأمين النفقة فمسؤولية المنزل الداخلية تكون بعهدته، ولكن ليس بمعنى أن يحصل من هذه المسؤولية على مزية ويقول: أنا أفضل لأنني مسؤول، بل إن هذا هو عمل تنفيذي ووظيفة وليس فضيلة. روح القوامية هي وظيفة، والقرآن لا يقول للمرأة إنك تحت أمر الرجل، بل يقول للرجل تولّ مسؤولية المرأة والمنزل. إذا اعتبرنا هذه الآية بصورة تبيين وظيفة لا إعطاء مزية، عند ذلك يتضح معنىٰ **﴿الرجال قوّامون على النساء﴾** أي (يا أيها الرجال كونوا قوّامين)، كما أن الله أمرنا لتنفيذ المسائل القضائية وقال:

﴿كونوا قوامين بالقسط شهداء لله﴾[2] .

إن **﴿الرجال قوامون على النساء﴾** وان كانت جملة خبرية ولكن روحها إنشاء، أي أيها الرجال كونوا قوّامين على المنزل، كونوا مسؤولين عن المنزل. قوامو بالأعمال في الخارج، تولوا إدارة الحياة في المنزل، لذا يجب أن لا يعمل الرجل عملاً بحيث يؤذي المرأة في داخل المنزل، وأن لا يأكل الطعام في الخارج لأن الخارج هو محل عمله فقط، وراحة وحياة الرجل هي في البيت.

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها﴾[3] .

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٣٥.
(٣) سورة الروم، الآية: ٢١.

﴿الرجال قوامون على النساء﴾ ليس بمعنىٰ أن المرأة أسيرة الرجل، والرجل قوّام وقيوم ومدير ويستطيع ان يعمل برغبته، سواء أراد ان يذهب إلى المنزل أو لم يرد، بل القرآن يقول للنساء أيضاً أن يحترمن هذه الإدارة والمسؤولية الداخلية، ويقول للرجل أنت موظف وهذه هي وظيفتك وليس مزيتك عند ذلك حين يفرغ الرجل من محيط العمل يذهب مباشرة إلى المنزل، وإذا كان المجتمع هكذا فسوف يكون أساس المجتمع قوياً، ويرحل الطلاق وينتهي الفساد ويتربىٰ أبناء صالحون. إن ﴿الرجال قوّامون على النساء﴾ لم تأتِ أبداً لتعطي فتوىٰ من طرف واحد وتقول للرجل أنت آمر واعمل كل ما تريد؛ لأن الرجل إذا خرج من محل العمل ولم يذهب إلى المنزل فهو ليس قوّاماً وقيوم وآمراً ومديراً، بناء على هذا، إذا ذكر الإسلام هذين الحكمين إلى جانب بعضهما البعض وأمر المرأة بالتمكين في مقابل الزوج وأمر الرجل بالمسؤولية في مقابل المرأة. فهو بيان وظيفة فقط، وأي منهما ليس معيار فضيلة ولا يؤدي إلى نقص. لو قيل لرئيس مؤسسة: ابذل جهداً حتى تثبت نظام تلك المؤسسة، فهذا ليس بمعنى أن هذا النظام تحت اختيارك، وأنت تختار، ذهبت أم لم تذهب، المقصود هو: إذهب وثبته، لذا لا ترون في أية آية في مسألة الجنة أن درجات الرجل تكون أكثر من درجات المرأة، بل توزع هناك على أساس العلم والعمل الصالح.

والنتيجة، أولاً: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ تتعلق بالفصل الثاني من البحث وليس الفصل الأول، أي تتعلق بالمرأة في مقابل الزوج وليس المرأة في مقابل الرجل. ثانياً: هذه القيمومة ليست معيار فضيلة بل هي وظيفة.

قيمومة المرأة والرجل هي في محور أصول الأسرة، أحياناً المرأة هي قيمة الرجل وأحياناً الرجل قيم المرأة. وكثير من المسائل تتغير في الأصول

العائلية. اطاعة الابن للوالدين واجبة سواء كان ولداً أو فتاة، وإذا عمل الابن عملاً يؤذي والديه يصبح عاقاً لوالديه، وعقوق الوالدين حرام. فإذا نهت الأم ابنها عن عمل وقالت: إن هذا العمل يسبب ايذائي، هنا إطاعة الأم واجب ولا يستطيع الابن ان يقول: إنني لم أعد تحت أمر أمي لأنني الآن في رتبة الاجتهاد أو انني أصبحت مهندساً أو طبيباً وأمثال ذلك. وفي الحقيقة المرأة في هذه الحالات هي القيمة على الرجل. الأم قيمة على الابن ولو كان الابن مجتهداً أو متخصصاً. في المسائل المتعلقة بداخل الأسرة هناك مجموعة حقوق متقابلة. بين المرأة والزوج، والأم والابن، والأب والابن.

النظرة المادية والإسلامية:

إذا اعتبر شخص ان معيار الفضيلة يتلخص في المسائل المالية والمنصب والمقام فيجب أن يعيد النظر في أساس تفكيره وتقييمه. إن النظام الذي ينظر إلى المسائل من محور الطبيعة والمادة يعتبر الشخص الذي لديه طاولة أكبر ومنصب أكبر وراتب شهري أكثر، هو أفضل، أما الإسلام فلا يعطي لهذا النوع من الأمور قيمة ويقول: إن عظمة الإنسان هي بروح الإنسان والشيء المنفصل عن روح الإنسان هو أداة تنفيذية فقط. بناء على هذا فإذا كان شخص يتمتع بمزايا خارج النفس فقط، فنفسه لم تتكامل والشيء الذي هو عامل كمال النفس يجب ان يكون مزايا روحية وهو غذاء الروح، وغذاء الروح تشكله المعارف والعلوم والأخلاق والمزايا الفاضلة، وفي هذه الناحية ليس هناك امتياز بين المرأة والرجل.

العظمة الحقوقية والاجتماعية للمرأة في القرآن

جاء في القرآن بشأن العظمة الحقوقية والاجتماعية للمرأة:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن

لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسىٰ ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾[1] .

إن المسائل المتعلقة بحقوق المرأة بعضها يتعلق بالإرث وبعضها يتعلق بالنكاح وبعضها يتعلق بتعدد الزوجات وبعض آخر يتعلق بالمهر وأمثال ذلك. ولأن هذا النوع من المسائل بينها عدد كثير منهم المرحوم العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان وكتب المتأخرون كتباً أيضاً بتوجيهات ذلك المفسر الكبير في العالم الإسلامي، لذا سوف لا نبحث في ذلك المجال.

أما في هذا القسم فينبهنا القرآن ويقول: يجب أن تعاشر المرأة بالمعروف وهذه العشرة لا تختص بالمسائل العائلية، أحياناً يصور التعصب الجاهلي أو رواج ثقافة غير صائبة أو تعصب ساذج وأمثال ذلك، للرجل انك لا تستطيع التعاون مع المرأة في مؤسسة من المؤسسات أو ان المرأة لا تستطيع ان تتواجد في المجتمع بشكل فعال:

يقول القرآن الكريم في هذا المجال **﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن﴾** إذا لم يسركم ان يكون لهن منصب مثلكم ويكون لهن حضور في المجتمع وميدان السياسة ومجال الطب والثقافة والتدريس، فتحملوا هذا الأمر لعله يكون هناك خير كثير في هذا الأمر وأنتم لا تعلمون، لذا كما ان القرآن الكريم يقول بشأن الحرب والدفاع:

﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسىٰ أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسىٰ أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾[2] بيّن شبيه هذا التعبير بشأن

(١) سورة النساء، الآية: ١٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

حضور المرأة في الحياة الاجتماعية ومسائل الحياة وقال: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ المعروف، أي المعترف به رسمياً. الشيء الذي يعترف به العقل رسمياً والمعترف به رسمياً عند صاحب الشريعة هو المعروف، والشيء الذي لا يعترف به العقل والدين رسمياً، فهو نكرة ويصبح منكراً، قال بأن تعامل المرأة بشكل يعترف به العقل والشرع رسمياً، أي اعترف به رسمياً عند الوحي والعقل. وأن لا تعزل هذه الشريحة العظيمة ولا تعامل معاملة سيئة. طبعاً سيادة الرجل في داخل المنزل هي مسألة تتعلق بالفصل الثاني من البحث ولكن يجب أن لا تكون سيادة للرجل في المجتمع، ويجب أن لا يقال: إن هذا الفرع العلمي يتعلق بالرجل ولا تستطيع المرأة أن تتولاه، أو أن المرأة لا تستطيع ان تتخصص في العلوم التجريبية والإنسانية وأمثالها.

ثم قال: ﴿فإن كرهتموهن﴾. إذا لم يسركم أن تتمتع النساء بحياة اجتماعية صحيحة وسليمة فاعلموا ان كراهتكم هذه غير صحيحة ﴿فعسىٰ أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾. إن﴿ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ هي أهم من مسألة الجهاد تلك، لأن الجهاد والدفاع هو أمر مؤقت، أما حضور المرأة في الساحة فهو دائمي والحياة الاجتماعية للمرأة تستطيع أداء دور أكثر تأثيراً في مسألة الجهاد والدفاع.

العاطفة في المجتمعات الغربية والإسلامية:

يجب عدم اختصاص الأعمال التنفيذية بمجموعة خاصة، هناك وظائف عينت للرجال مثل مسؤولية المجتمع، والقضاء، والمسائل الدفاعية والحربية وأمثالها، حيث أن العاطفة الزائدة والعفة الوافرة في هذه المسائل مضرة.

ولكن الرجال الذين تولوا هذه المناصب ضررهم ناتج عن أنهم لم

يستطيعوا ان تكون لهم عشرة بالمعروف مع نساء المجتمع ولم يستفيدوا من مشاعرهن ورقة قلوبهن. حيث اطلقوا الحرية للمرأة وأصبحن مسخرات للغرائز بدون ان يصبحن مسخرات العواطف. ولكن الإسلام حرر المرأة وسخر المجتمع لعواطفها لذا بني مجتمعاً عاطفياً، وأقام رأفة ورحمة في المجتمع الإسلامي. أما ما يلاحظ من عدم وجود أية عاطفة في بعض المجتمعات وأحياناً يحرق أكثر من مائتين وتسعين شخصاً في الجو بواسطة القوىٰ الكبرىٰ الغربية في قضية إسقاط الطائرة الإيرانية بواسطة سفينة امريكية ـ أو يلاحظ ان مناطق مثل حلبجة ـ تتعرض إلى أسوأ وضع من التسمم بالقنابل الكيمياوية، ويقتلون الرجال والنساء معاً مع انهم كانوا أنصار حرية المرأة وجاؤوا بالمرأة إلى الساحة وعاشوا مع المرأة، من أجل أنهم أصبحوا مسخرين لغريزة وطبيعة المرأة لا مسخرين لعاطفتها، أي انهم محرومون من الفن والفضيلة والجمال الذي أعطاه الله إلى المرأة باسم العاطفة والرحمة والرقة. ما اعطاه الله إلى طبيعة المرأة قاموا بتسليطه على أنفسهم. إن ما اعطاه الله تعالىٰ إلى فطرة المرأة وروح المرأة اعطاه إلى المرأة بوصفه فضيلة. ولكن الدنيا المادية لم تستفد من ذلك باسم الرحمة والعاطفة والعفو والرقة، لذا قام العالم المعاصر بعرض المرأة وكثرت وحشية المجتمع. أما العالم الإسلامي فيأتي بالمرأة إلى الساحة حتى يسخر المجتمع لعواطف المرأة، وليس لغريزة المرأة. الرواية التي تقول:

(المرأة عقرب)[1] .

هذه الرواية تشير إلى ذلك الشيء الذي ابتلي به في العالم الغربي، أما الرواية التي يقول فيها أمير المؤمنين عليه السلام لابنه:

---

(١) نهج البلاغة، فيض الإسلام، الكلمات القصار، ٥٨ .

(فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة)[1] .

فهي الفضيلة التي تكامل بها المجتمع الإسلامي، لذا ترون أن ذلك العنف الموجود في الحروب غير الإسلامية غير موجود في الحروب الإسلامية ولا تشاهد عند المسلمين تلك الوحشية التي لدىٰ الآخرين. ومع أن المسلمين يدعون المرأة إلى الحجاب، ولكنهم يستفيدون من عاطفة المرأة بوصفها محوراً تربوياً. الإسلام يأتي بالمرأة إلى الساحة في ظل الحجاب وسائر الفضائل حتى تصبح معلمة في العاطفة، والرقة واللطف والصفاء والوفاء وأمثال ذلك، والعالم المعاصر سلب الحجاب من المرأة حتى تدخل إلى السوق بوصفها لعبة وتؤمن الغريزة. عندما تأتي المرأة إلى المجتمع برأسمال الغريزة، عند ذلك ليست هي معلمة في العاطفة، فتأمر بالشهوة وليس العفو، لذا ترون في الغرب أن الشفقة والرحمة قليلة الأثر وما هو سائد هي القوة. لا يحق للبلدان الضعيفة ان تحيا، لا يحق للناس المحرومين الحياة بأي وجه، الذين يرسلون طاقماً لمساعدة السفن الفضائية. يحترق أقرب محيط بظلمهم، سر ذلك هو أن المرأة بدون عاطفة. تأمر بالغريزة والشهوة، والشهوة لا تحمل معها إلا العمى والصمم. ان المرأة مع الحجاب فتأمر بالعاطفة والعاطفة تحفظ البنيان المرصوص، هذا البنيان المرصوص صرح، لا يمكن أبداً بناء صرح كله من الحديد والحجر الصلب، بل من اللازم وجود مادة لينة، حتى تحتضن الأحجار الباردة والصعبة والحديد المتصلب، المرأة هي مظهر العواطف والمشاعر، وإذا سلبت العاطفة من المجتمع فكأنه سلب هذه المادة من طبقات هذه الجدران والأحجار والصخور، مما يؤدي إلى سقوط ذلك الصرح، لذا يؤكد الإسلام ان تأتي المرأة إلى المجتمع ولكن بحجاب، أي تأتي لتعطي

---

(١) نهج البلاغة، الرسالة ٣١.

درس العفة والعاطفة لا درس الشهوة والغريزة، وان ما يلاحظ من محاولة العالم الاستكباري الاستعانة بالغريزة والشهوة فهو من أجل أنه يريد ان يقلع هذه الآصرة من مكانها وإضعاف هذا البنيان المرصوص، ولكن الإسلام يسعىٰ إلى حفظ هذه الآصرة في الحجاب حتى يظل هذا البنيان المرصوص سليماً.

المرأة في ثقافة الغرب:

إن سر ان العالم العربي لديه ثقافة منحطة في هذا المجال هو ان معرفتهم للإنسان هي كمعرفتهم للكون، وبعبارة أُخرى إن معرفتهم للإنسان هي فرع من رؤيتهم للكون، رؤيتهم الكونية هي في مستوىٰ **﴿ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاّ الدهر﴾**[1]، ولأنهم يرون العالم محدوداً في نشأة الطبيعة، وليس لديهم معرفة بما وراء الطبيعة، لذلك يعتبرون الإنسان محدوداً في حدود الطبيعة، وهم يعرفون الجسم فقط وليس الإنسان.

إنهم يرون ان بدن الإنسان يشكل كل حقيقة الإنسان، ولأنهم يرون ان بدن الإنسان على شكلين، أما بصورة امرأة أو بصورة رجل، لذا يظنون ان المرأة والرجل يختلفان، كما أن أبدانهما مختلفة.

الشخص الذي تكون معرفته للإنسان على أساس رؤيته الكونية المادية، لا يسير سيراً عمودياً في العالم أبداً ولا يعلم ما هو مبدأ ومنتهىٰ سير حياة الإنسان، بل يسير أفقياً دائماً، وكما أن معرفته في النجوم والبحر والنبات والحيوان، والأرض والمعدن وغيرها معرفة مادية، كذلك معرفته بالإنسان. فهو لا يعتبر للإنسان مقاماً أفضل مما هو في عالم الطبيعة، ولا

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

يفهم مسائل من قبيل الملائكة والوحي، ولا يفهم ان المرأة مثلاً تستطيع أن تتكلم مع الملائكة وتسمع كلامهم، وتتلقى بشارة، ولا يدرك ان الملائكة لا يتكلمون مع إحدىٰ النساء لأنها عضوة في عائلة مكرمة، بل يقولون لها مباشرة بانها منشأ كرامة وأنهم أوصلوا إليها كرامة ولا يقولون، لها: إنها عضوة فرعية في عائلة تتمتع ببركات ورحمة خاصة. قالت الملائكة لأم إسحاق:

﴿اتعجبين من أمر الله؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد﴾.

بناء على هذا يتضح ان رؤية الماديين للإنسان هي نفس الرؤية التي لديهم فيما يتعلق بعلم النبات، لذا تكون نتيجة علومهم عبارة عن مجموعة من الشبهات التي يطرحونها، من قبيل أنه لماذا تختلف دية المرأة والرجل، أو لماذا إرث المرأة في بعض الحالات أقل من إرث الرجل وأمثال ذلك؟ ورغم انه لا يبقىٰ محل لمثل هذه الأسئلة بعد اتضاح معيار القيم، فاننا سوف نجيب بعون الله عن هذه الشبهات في المحل المناسب.

خلاصة ونتيجة:

ان الآخرين إذا كان لديهم نقد الإسلام، فذلك بسبب انهم ليس لديهم معرفة بالقواعد الأولية للإسلام. الإنسان الموحد ينظر إلى العالم برؤية الله، لذا يعتبر الترجيح والتقدم نسبيين، كما يعتبر النقص والشر نسبيين، فإذا رآىٰ الإنسان الموحد شرّاً في العالم، لا يجعل ذلك أبداً محسوباً على هندسة مهندس العالم، بل يرجع ذلك إلى الفقدان والعدم، لأنه يعتقد ان مبدأ حدوث النظام ليس إلا خيراً محضاً. ويشاهد النظام بنحو أحسن، وإذا شاهد فوارق وتفاضل بين الناس ينظر إلى ذلك برؤية هندسية، أي يقيمها بالأسس

التي طبقها يتبين انه ليس هناك امتياز بين المرأة والرجل.

لذا إذا كان في نهج البلاغة ذلك الكلام فان فيه أيضاً أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لابنه:

(فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة)[1].

لا تسمح ليد أجنبي أن تصل إلى هذه الوردة وإلا سوف تذبل.

(فإنما امرأة أحدكم لعبة فمن اتخذها فلا يضيعها)[2].

لعبة أي ريحانة. لا تضيع ماء الورد من هذه الوردة، العطر من هذه الوردة، فالحياة ليست كلها عطراً وليس كل الحياة حديداً الأعمال القوية لازمة وكذلك الأعمال الظريفة. هل الورد أفضل أم الحديد؟ الورد فيه فضائل، والحديد فيه فضائل كثيرة أيضاً. الحديد يتولىٰ الأعمال القوية والورد يتولى الأمور الفنية الظريفة، الرقيقة والعاطفية، ومن المحال وجود الحديد بدون الورد، وكذلك لا يمكن وجود الورد بدون الحديد.

إذا اتضحت القواعد القيمية في الإسلام ونظر القرآن الكريم وتعين محور البحث أيضاً - ان المرأة مقصود منها مقابل الرجل أم المرأة مقابل الزوج - فقطعاً تنحذف كثير من الأسئلة والشبهات، أي عند ذلك لا يسأل شخص انه لماذا لا تستطيع المرأة ان تصبح وزيرة، لماذا لا تصبح قائدة و.. . لأنه اتضح ان معيار الكمال هو شيء آخر. والأمور التنفيذية هي وظيفة الإنسان، ومن الممكن أن لا يكون لشخص منصب تنفيذي ويقوم بعمل تحقيقي آخر، ولكنه يصبح من المقربين، بحيث لا يصل ذوو المناصب التنفيذية المهمة إلى مقامه. ولكن الذين لم يعرفوا قواعد الإسلام تبدو هذه

---

(١) نهج البلاغة، الرسالة٣١.

(٢) بحار الأنوار، ج١٠٣، ص٢٢٤.

المسائل التنفيذية لهم مهمة جداً ويطرحون من باب العقدة أو النقد العلمي أو الاعتراض والمعارضة أنه لماذا لا تستطيع المرأة ان تتقلد العمل التنفيذي الفلاني.

طريقان للحل:

بناء على هذا لدينا طريقان، أحدهما لنا والطريق الآخر بوصفه جواباً عن أسئلة الآخرين، أي في المرحلة الأولىٰ، يجب أن يحل هذا الموضوع لنا، حيث ان بعض الأسئلة مثل أنه لماذا لا يمكن ان تتصدىٰ المرأة لكثير من الأمور التنفيذية، ليست قابلة للطرح ـ توضيح هذا الموضوع يستلزم نكتتين:

أولاً: كثير من الأعمال التنفيذية جائزة للمرأة شرعاً، من ذلك مرجعية المرأة للنساء وإمامة المرأة للنساء والتصدي للأعمال التنفيذية المتعلقة بالنساء ليس جائزاً فقط، بل أولىٰ، والرجل غير مجاز بأن يشترك في بعض الأمور التنفيذية إلا أن تقتضي ضرورة.

ثانياً: إن الأمور التنفيذية ليست مقاماً، لو كانت مقاماً وكان واجباً ان يتقبل الإنسان هذا العمل التنفيذي ـ بوصفه من الكمالات وليس لحفظ النظام ـ لم يكن علماؤنا الكبار يبتعدون عنه.

قيمة الفقاهة ومسؤولية المرجعية:

إذا كان القارىء يعرف بسيرة علماء الدين فسوف يعرف أن كثيراً من كبار الفقهاء كانوا يقبلون المرجعية بمشقة، وكانوا يبذلون جهوداً ليل نهار في الفقاهة، وكانوا جادين في مسير الاجتهاد، فمن ناحية كانوا يجاهدون حتى يصبحوا مجتهدين، ومن ناحية أُخرىٰ كانوا مجاهدين أن لا يصبحوا مراجع، وهذا يدل على ان الفضيلة هي شيء آخر والمقامات التنفيذية هي

مجرد وظيفة، فإذا قام بها شخص يجب تأييده وإعانته والطلب من الله أن يؤيده في إنجاز هذا العمل التنفيذي. وهذه المسؤولية الثقيلة في خدمة دين الله. ولكن هذا المقام ليس معيار فضيلة حتى يسعىٰ الناس الصالحون للحصول عليه. لذا كان لدى العلماء العارفين بأسس الفضائل القرآنية جهادين: جهاد باتجاه الاجتهاد والفقاهة وجهاد آخر عن المرجعية.

بناء على هذا، لو كان تقبل المسؤوليات التنفيذية واجباً عبادياً أو حتى مستحباً تعبدياً، وكان لازماً أن يسعىٰ الإنسان للحصول عليه لكان العلماء الكبار مثل الشيخ الأنصاري قد سعوا للوصول إلى هذا المقام. إن ما نراه من ان الفقيه إذا كان أزهد يسعىٰ لأن لا يتقبل المرجعية، أو أن الفقيه الأتقىٰ يسعىٰ لأن لا يتقبل المسائل المالية أو يتقبل قليلاً، أو أن الأتقىٰ قليلاً ما يذهب وراء هذه المسائل ـ إلا أن يصبح واجباً عينياً عليه ـ فان سر ذلك هو أن هذه الأمور هي وظيفة، وليست مقاماً، أما الاجتهاد والفقاهة ووراثة علوم الأنبياء وفهم الكتاب والسنة وأمثالها. فهي مقام. ان هذا الابتعاد والهرب من المال والتحرك باتجاه التفقه عملان وليس عملاً واحداً، أحدهما تبري والآخر تولي. بناء على هذا يتضح أنها مسائل هي وظيفة العلماء وبعض العلماء إنما تقبلوا المرجعية لحفظ هذا النظام والحوزة والله يؤيدهم. ولكن ذلك ليس مقاماً فإذا أصبح شخص مرجعاً يكسب عشر درجات من الجنة مثلاً وإذا لم يصبح مرجعاً يحصل على ثمانية درجات. طبعاً إذا أصبح شخص أعلم فدرجته أعلىٰ، الشخص الذي يصبح أقرب وأفقه وأتقىٰ درجته أعلىٰ.

درجات الجنة:

درجات الجنة مزينة بالأضواء بعدد آيات القرآن، أي لو أريد تجسيم الجنة من أقل درجاتها حتى أعلىٰ درجاتها بصورة كتاب تصبح قرآناً ولو أريد

تجسيم القرآن بصورة نظام عالمي يصبح جنة. ودرجات الجنة النازلة هي التي يقول القرآن بشأنها:

﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾[1] .

ودرجاتها الوسطى أشار إليها القرآن أيضاً بقوله:

﴿إن المتقين في جنات ونهر * في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾[2] .

وفي آية أُخرىٰ في جاء صدد تعريف درجات الجنة العالية:

﴿فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي﴾[3] .

من أسفل الجنة وهي ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ حتى صدر الجنة وهو ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ وحتى رأس وذروة الجنة وهو ﴿فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي﴾، هذا النظام الواسع لو أريد أن يجسم بصورة كتاب يصبح قرآناً ولو أريد أن يجسم القرآن يصبح ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾، ويصبح ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ ويصبح ﴿فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾، عند ذلك يقال لكل شخص أكثر فهماً للقرآن، وأفضل إدراكاً للقرآن وعملاً بالقرآن بصورة أفضل: إن لك سهماً هنا بدرجة فهمك واعتقادك وإيمانك. لذا وكما ذكر من أن درجات الجنة، مقسمة من الظاهر والباطن بعدد آيات القرآن. ولكن لم يلاحظ في أية مسألة أن درجات الجنة مقسمة على أساس معايير تنفيذية حتي يقال في النتيجة: إن سهم المرأة قليل. بل إن التقسيم على أساس المعنويات وقواعد القيم، بمعنى أن من هو أعلم، له المقام الفلاني، ومن هو أفقه، أو أتقىٰ له مثل

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥.

(٢) سورة القمر، الآيتين: ٥٤ ـ ٥٥.

(٣) سورة الفجر، الآيتين: ٢٩ ـ ٣٠.

هذا المقام أيضاً.

طريق إجابة الآخرين:

أما إذا أردنا أن نجيب الآخرين الذين لم يدخلوا في هذه المسائل العميقة فلا نستدل لهم بهذا الطريق المذكور؛ لأنهم لم يعرفوا هذا المعيار، بل يجب إجابتهم بالطريق العادي وهو:

أولاً إن كثيراً من الأعمال التنفيذية جائزة للمرأة ومسألة الولاية والحكومة هي شيء آخر. وإلا إذا كانت الإعمال التنفيذية الخاصة بالنساء بعهدة النساء فان هذا ليس فقط غير ممنوع بل هو أولىٰ، كما أن المرأة إذا وصلت إلى مقام الفقاهة، فان الطريق مفتوح لها في المسائل الاستشارية سواء في مجلس صيانة الدستور أو في مجلس الشورىٰ الإسلامي. وإذا قيل أحياناً ستة أشخاص فقهاء من الرجال فهو لأنهم يستطيعون تحمل مصاعب العمل، وإلا إذا لم يكن حضور النساء وحشرهن مع الرجال لازماً، ويكون الرأي كافياً فقط، فليس بعيداً أن تعطي نساء فقيهات رأياً وفتوىٰ ويستشرن.

من الممكن ان تصل امرأة إلى مستوى المرحوم صاحب الجواهر والشيخ الأنصاري، فلا تصبح مرجع تقليد، ولكن تلاميذها يكونون مراجع تقليد، فهذه ليس لديها أي نقص.

الفقاهة ملك والمرجعية أمانة:

لإجابة المجموعة الثانية أيضاً، يجب القول أيضاً للذين يعتقدون بكلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: إن الإمام علياً عليه السلام يعتبر الأعمال التنفيذية وظيفة، ويذكر ان هذه هي أمانة بأيدكم، والأمين ليس مالكاً أبداً. الفرق بين المقام والمنصب هو أن المقامات المعنوية هي ملك الإنسان والمنصب هو أمانة، والأمانة ليست عامل فخر بل الملك هو

عامل الفخر.

وبيان هذه المسألة هو انه يقال أحياناً لشخص: إن هذا البساط هو أمانة عندك. فهو موظف بأن يحافظ عليه وليس له حق الاستفادة منه. وإذا كان لهذا البساط قيمة فهي لصاحب البساط وليست للأمين. ولكن أحياناً يقال لشخص: أن هذا البساط لك. في هذه الحالة يكون له حق الاستفادة.

هذا في المسائل الظاهرية، أما المسائل المعنوية والعلوم والمعارف فهي تتعلق بالإنسان، أي تعطي الإنسان زينة، لكن المنصب هو وظيفة وأمانة وليس مقاماً. لذا كتب أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً إلى أحد عماله بهذا المضمون وهو: إن منصبك هذا هو أمانة في يدك والأمانة لا تدعو إلى الفخر.

فاتضح بشكل كامل أن الأعمال التنفيذية هي بمثابة أمانة، المرجعية هي أمانة ولكن الفقاهة ملك، الوزارة هي أمانة، أما التقوىٰ فهي ملك، والمرأة والرجل متساويان في ما يتعلق بالنفس وكمال الروح. أما في حدود ما هي أمانة ووظيفة فالأعمال مقسمة.

لو كانت هناك جامعات خاصة بالمرأة، فالأفضل ان تتولىٰ المسؤولية التنفيذية في تلك الجامعات، إلا أن لا يكون لدى المرأة صلاحية، وهذه الشروط هي شروط تحصيلية وليست حصولية، أي يجب ان تكون هناك نساء يقمن بإدارة الأمور المتعلقة بالنساء والبنات حتى لا يكون لازماً ان يتصدى غير محرم لإدارة تلك الأمور، . واضح ان هذا الشكل من التدخل في الأمور التنفيذية لا يتعلق بمسألة الولاية، ولي أمر المسلمين يجب ان يكون رجلاً طبعاً؛ لأن الولاية هي تتمة الأمامة، ولأن الولي يأمر بالحرب والصلح، ويلتقي مع الناس كثيراً، ولديه عمل بدني صعب، ويتطلب جهداً

أكثر. . ومن لوازم هذه الأمور الذكورة. بناء على هذا فإن كثيراً من المسائل في الأعمال التنفيذية خاصة بالمرأة والرجل لا يحق له أن يتدخل، ولكن الرجل يشترك لأن الضرورة تقتضي.

لعل شخصاً يقول: إذا كان القائد رجلاً يجب أن تكون المرأة بالنتيجة، في تماس معه وهذه مشكلة من طرفين.

وجواب هذه المسألة واضح؛ فعندما يكون الرجل قائداً له ارتباط بكل المجتمع، والمرأة قد يكون لها ارتباط أحياناً بالقائد أو القاضي أو القائد العسكري، وهم رجال، وهذا الارتباط ليس عملها اليومي، ولكن المرأة إذا تولت إحدى المسؤوليات المهمة فإن عملها اليومي هو التعامل مع مئات الرجال، في حالات شكوىٰ ولقاء وأمثال ذلك وهناك هوة كبيرة بين هذين الموضعين. ولهذا قسمت الأعمال التنفيذية.

الفرق بين المرأة والرجل في المسائل التنفيذية:

من الممكن ان يتوهم شخص، انه إذا لم يكن هناك فرق بين المرأة والرجل في الكمالات المعنوية، فلماذا نرىٰ في قسم مهم من المسائل الفقهية أنه يذكر: (يشترط فيه أمور) ثم تذكر من ضمن المسائل مسألة الذكورة؟ أو يقال: إن الوالي أو مرجع التقليد يجب ان يكون رجلاً ولماذا لا تستطيع المرأة ان تتصدىٰ للمسؤوليات المهمة؟.

جواب الشبهة هو ان الإنسان لديه حساب مع نفسه، يعود إلى الكمالات النفسية، ولديه علاقة مع الله، تعود إلى الكمالات العبودية، ولديه ارتباط مع عالم الطبيعة بل من مطلق الكون، يعود إلى الربط العلمي، ولديه ارتباط بالمجتمع يعود إلى الكمالات الاجتماعية. في هذه الكمالات ليس هناك أي تمايز بين هذين الصنفين وكل شخص موظف لأن يكرم نفسه

ويكون مهذباً ومتواضعاً ويقوم بتزكية النفس ويتخلص من الكبر والحسد ويكون منيع الطبع وقانعاً و. .

في هذه الأقسام ليس هناك أي فرق بين المرأة والرجل. كل الناس مكلفون بان يقووا علاقتهم العبادية مع الله، رغم ان العبادة: (الصلاة قربان كل تقي) وردت بشأن الصلاة خاصة ـ من حيث ان الصلاة عمود الدين ـ ولكن جميع الأعمال العبادية والقريبة هي قربان (الصوم قربان كل تقي ـ الجهاد قربان كل تقي ـ الزكاة قربان كل تقي) في هذه الناحية العبادية ليس هناك أي فرق بين المرأة والرجل. وفي هذا التعزيز للارتباط بين العبد والخالق، ليس هناك أي فرق بين المرأة والرجل، ولكن الرجل له ارتباط بالرجل والمرأة لها ارتباط بالنساء، كذلك في (تعزيز الارتباط الاجتماعي) بين الفرد والمجتمع ليس هناك فرق بين المرأة والرجل. ولكن الرجل له ارتباط بالرجال والمرأة لها ارتباط بالنساء كما قرر العلماء، لأن ان يكون للرجل ارتباط بالمرأة لها والمرأة ارتباط بالرجل، الأعمال المشتركة والاجتماعية لها حساب، والأعمال الخاصة لها حساب آخر.

المرجعية منصب تنفيذي، ولكن سند المرجعية، جذر وقيمة المرجعية، هي بالفقاهة والاجتهاد، في الفقاهة والاجتهاد، الذكورة والأنوثة ليست شرطاً، سند المرجعية في الأساس هي الفقاهة والعدالة، وهي تحسب من الكمالات وكمال الفقاهة لا هو مشروط بالذكورة ولا ممنوع عن الأنوثة. والعدالة هي أيضاً كذلك، من الممكن ان تستطيع المرأة في ظل الفقاهة والعدالة ان تخرج تلاميذاً يصبحون مراجع تقليد، ولكنها لا تتقبل عملاً تنفيذياً، وليس معلوماً أن المرأة لا تستطيع ان تصبح مرجع تقليد للنساء، كما أن المرأة تستطيع ان تكون إمام جماعة النساء، فقط قيل: ان لا تتصدىٰ للأعمال التنفيذية الموجودة بحضور غير المحرم. وإلا تستطيع ان تكتب

بمستوى صاحب الجواهر رضوان الله عليه.

المرأة ومسألة القضاء:

مسألة القضاء مثل مسألة الاجتهاد، وبما أن القضاء يرافقه تنفيذ الحدود ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾[1].

أو يأمر بشأن الفاسقين الآخرين:

﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾[2].

لذا قيل إن النساء يستطعن ان يقمن بالفقاهة ويخرجن قضاة، ولكن لا يتولين القضاء فهو منصب تنفيذي. المرأة تستطيع استنباط جميع المسائل الحقوقية في الإسلام وتخرج طلبة يجلسون في منصب القضاء. المرأة تستطيع ان تصبح مثل صاحب الجواهر في مقام الاجتهاد وتخرج مرجع تقليد وقاضياً. تدرس في جمع طلبة جامعيين في كلية الحقوق لكنها لا تصبح مرجع تقليد وقاضياً.

حل شبهة:

السؤال المطروح هو أن تدريس الرجال هو عمل تنفيذي أم لا؟ وإذا لم تستطع المرأة ان تتصل بالرجال، فكيف تستطيع ان تخرج قاضياً، مجتهداً ومرجع تقليد؟ وثانياً: إن التعليم من قبل المرأة، هو إما واجب، حيث إن إثبات وجوب تدريس الفقه والقضاء على المرأة ليس أمراً سهلاً. أو هو ليس واجباً، ومع ملاحظة أن سماع صوت المرأة مكروه للرجل، لذا فان هذه المرأة لا تصل إلى الكمالات بالتدريس، بل تبتلي بمنقصة وحزازة.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٨

(٢) سورة النور، الآية: ٢.

جواب هذه الشبهة هو، أولاً: إن العمل التعليمي هو غير العمل التنفيذي اليومي، لأن التدريس في جمع المحققين يختلف عن الأعمال التنفيذية اليومية التي يرافقها اعتراضات ومواجهات وشكاوىٰ من مئات الأشخاص فهذه الأعمال العلمية العميقة لا تؤدي إلى محذور؛ فالطالب عارف بالوظيفة والأستاذ عارف بالوظيفة أيضاً. وثانياً: إذا استطاعت نساء ان يصلن إلى مقام الفقاهة الشامخ، يصبح التعليم والتدريس واجباً عينياً، في حالة أن المرأة تعلم مسألة من المسائل الإسلامية والرجل لا يعلم. وإذا كانت هناك علوم يعرفها الرجل والمرأة أيضاً فالتعليم والتدريس هو واجب كفائي فإثبات وجوب تعليم الجاهلين ـ على المرأة ـ ليس أمراً صعباً، ولكن للتعليم أشكال، فأحياناً بالكتابة، وأحياناً يحصل بالشريط، وأحياناً بالتدريس الحضوري من وراء حجاب، وأحياناً من دون حجاب.

إذا وصل شخص إلى المقام العلمي بحيث يستطيع التدريس في مستوىٰ عالٍ في الحوزات العلمية والمراكز العلمية والجامعات، وإذا كانت المرأة من ﴿**والقواعد من النساء**﴾ فسن الشيخوخة يقتضي أن تتمتع بتخفيف في مسألة الحجاب، في حالة ان لا تكون ﴿**متبرجات بزينة**﴾[1]، فكيف بالصوت، فصوت المرأة ليس عورة من ناحية إذا أرادت ان تتكلم ولا يعتبر مثل الوجه، رغم ان رعاية الحجاب ﴿**خير لهن**﴾. وحكم المسألة واضح.

وإن لم تصل إلى حد ﴿**والقواعد من النساء**﴾، فإن التعليم إما واجب عيني أو كفائي، وسماع صوت المرأة إذا كان مكروهاً للرجل، ولكن كراهية سماع الصوت للمرأة بعيد ـ إلا بدليل خاص ـ لأن مثل هذه الأحكام ليست ملازمة لبعضها البعض. مثل أن يقال: إن ستر مقدار من الوجه واليد ليس

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٠.

واجباً على المرأة، ولكن هل يستطيع الرجل النظر أم لا؟ فلهذا حكم منفصل، وفي حالة أن يثبت ان الإسماع مكروه، فهذه الكراهة هي مثل الكراهة في العبادات بمعنى (أقل ثواباً) ، لا أن تكون من نوع الكراهات الحزازتية الابتدائية. بل هنا أهم ومهم وفي حالة التزاحم تعود كراهتها إلى (أقل ثواباً).

بناءً على هذا، فالشخص الذي يتحمل هذه الكراهة ويدرس من أجل رضىٰ الله، سواء بصورة كتاب، أو بصورة شريط، وإذا لم يمكن، فمن وراء حجاب، أو بصورة حضورية. فهذا ليس فيه كراهة، وإذا كان فيه كراهة فهي مثل الكراهة في باب العبادات.

وكمثال الخطبة المروية عن فاطمة الزهراء عليها السلام في باب احتجاجات المعصومين عليهم السلام، تتعلق بمسألة التعليم. لم يكن واجباً ان تطرح الزهراء عليها السلام تلك الخطبة التوحيدية المفصلة من أجل استرداد فدك أو استحقاق خلافه زوجها. هذه الخطبة كانت تعادل جزء من القرآن الكريم تقريباً.

كان الذين حفظوا ونقلوا تلك الخطبة قليلين، من الحافظين والرواة لتلك الخطبة النورانية زينب عليها السلام. فقد فهمت تلك المرأة الصغيرة السن في ذلك الوقت الخطبة وروتها. ما هي الضرورة في قراءة الزهراء عليها السلام لهذه الخطبة التوحيدية الرفيعة في ذلك الجمع، كان للتعليم والتدريس وللمناظرة السياسية والمشاركة والحضور في الساحة لاسترداد الخلافة وفدك.

مقارنة خطبة الزهراء مع بعض خطب نهج البلاغة[١] :

ورد حديث معروف في عظمة الزهراء عليها السلام وأنه لو لم يكن علي ابن

(١) الإشارة لخطبة الزهراء عليها السلام وتفصيل الكلام كان بمناسبة اقتران الدرس بذكرىٰ شهادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام.

أبي طالب، لم يكن للزهراء كفؤ وزوج (آدم ومن دونه) لتوضيح هذا الحديث، من الجيد ملاحظة كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة وكلام فاطمة الزهراء عليها السلام حتى يشاهد التساوي بينهما. بيان هذه المسألة هو[1] :

ان العترة الطاهرة ليسوا منفصلين عن القرآن في أية مرحلة من المراحل العلمية لأنهم القرآن الناطق، أي ليست هناك في القرآن مسألة لا يعرفها هؤلاء، كما انه كل كمال لديهم، موجود في القرآن. وإلا يأتي محذور انفكاك القرآن عن العترة أو انفكاك العترة عن القرآن. لذا كل وصف في القرآن الكريم موجود في العترة الطاهرة أيضاً. آيات القرآن الكريم ليست كلها بمستوىً واحد، رغم ان جميع السور معجزة ولكن الإعجاز له مراحل أيضاً. فمثلاً ان معراج النبي صلى الله عليه وآله هو معجزة ولكن العروج له درجات ، في بعض الدرجات كانت الملائكة عموماً وجبرائيل عليه السلام خصوصاً يرافقون النبي صلى الله عليه وآله ، وفي بعض آخر حين يصل إلى بحر النور، هناك يظل الملائكة عند الساحل ويعبر النبي صلى الله عليه وآله بحر النور، أو هناك حيث الكلام في:

﴿ثم دنا فتدلىٰ * فكان قاب قوسين أو أدنىٰ﴾[2] . .

هناك الكلام ليس في الفلك والملك. مع أن السير والعروج كله معجزة.

القرآن الكريم كله معجزة مثل معراج رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولكن ﴿تبت

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة النجم، الآيتين: ٨ ـ ٩.

﴿تبت يدا أبي لهب﴾ ليست مثل ﴿قل هو الله أحد﴾ والآيات الأُخرىٰ في القرآن ليست بدرجة ﴿شهد الله﴾.

لذا أكد الحديث والسنة على أن نقرأ في الصلاة ﴿قل هو الله أحد﴾ ونقرأ ﴿شهد الله﴾ في التعقيبات ولم يذكر مثل ذلك الثواب لـ ﴿تبت يدا﴾. هذا من حيث المحتوىٰ.

من الناحية الأدبية أيضاً، ليست ﴿تبت يدا﴾ مثل:

﴿يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي﴾[1].

إن ﴿تبت يدا﴾ ليست بمستوى ﴿يا أرض أبلعي﴾ من ناحية الاعجاز الأدبي والفصاحة والبلاغة، ولا هي بمستوىٰ ﴿قل هو الله أحد﴾ من حيث المحتوىٰ، والحال ان جميع الآيات هي اعجاز إلهي، لذا روي عن الإمام السجاد عليه السلام في حديث معروف رواه الكليني في الكافي والمرحوم الصدوق ـ في كتاب التوحيد ـ أن الله أنزل سورة ﴿قل هو الله أحد﴾ وأوائل سورة الحديد حتى ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ لأنه كان يعلم ان أقواماً متعمقين يأتون في آخر الزمان، وقال (فمن رام وراء ذلك فقد هلك)[2]. هذا هو الارشاد بنفي الموضوع، أي لا تذهبوا من بعد ذلك، ليس هناك طريق، . فتهلكون، وليس ان هناك طريقاً وعليكم ان لا تتعمقوا ـ كما تصور البعض ـ

فآيات القرآن مع أنها معجزة، لكنها ليست بمستوىٰ واحد. كذلك نهج البلاغة، قيل إن كلام الإمام إمام الكلام. وكلام الإمام ملك الكلام

---

(1) سورة هود، الآية: ٤٤.

(2) أصول الكافي، ج١، ص٩١.

وفوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، ولكن الخطب والكلمات القصار والرسائل في نهج البلاغة ليست بمستوى واحد، رغم انها أفضل من مستوىٰ الفصاحة المتعارفة. في ذروة كلام الإمام عليه السلام في الخطبة التي تعتبر غرة الخطب بين سائر خطب الإمام، حيث يجب أن يقرأ الإنسان نهج البلاغة عدة مرات حتى يفهم هل ان هناك خطبة معادلة لهذه الخطبة أم لا؟ هناك نرىٰ أن الزهراء خطبت قبل ان يخطب علي مثل هذه الخطبة.

ان خطب أمير المؤمنين عليه السلام هي فوق الحد المتعارف ولكن لا يعني ذلك انه ليس باستطاعة شخص ان يتكلم مثله.

عندما كان أمير المؤمنين عليه السلام يجهز جيشه للهجوم مرة ثانية على أهل صفين، خطب خطبة رواها المرحوم الكليني قبل الرضي رحمه الله ـ لأن كثيراً مما ورد في نهج البلاغة رواه علماؤنا في جوامعهم الروائية في كتب كتبوها قبل نهج البلاغة بسنين وقبل ولادة المرحوم الرضي رحمه الله.

ومع أن المرحوم الكليني ألف كتابه بعنوان جامع الحديث، لكن في بعض الأحيان يطرح كلاماً مثل ما قاله في آخر روايات صفات الذات وصفات الفعل؛ لأن المرحوم الكليني لم يكن محدثاً فقط، بل كان حكيماً متكلماً، أصولياً أيضاً وكان له في المعارف حكم قوي ـ في آخر هذه الخطبة وضمن الإشارة إلى هذه الجملة الرفيعة:

(لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان)[1].

قال: لو جمع الأنس والجن، ولم يكن بينهم نبي ووصي وولي، لا يستطيعون أبداً إيراد خطبة كخطبة علي عليه السلام. وهذا يشبه تحدي سورة الإسراء حيث قال الله بشأن القرآن:

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص١٣٦.

﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾[1] . وفي شرح ذلك القسم من أصول الكافي قال المرحوم صدر المتألهين: إن كلام الكليني هذا ليس مقبولاً باطلاق كان يجب أن يقول: لو جمع كل العلماء فوق الأرض ولم يكن بينهم نبي من الأنبياء أولي العزم لا يستطيعون ان يتكلموا مثل علي -.

هذه الخطبة هي التي قال عنها المرحوم المحقق الداماد في تعليقه على شرح أصول الكافي، إن رفعة هذه الخطبة في انها أجابت على كثير من الشبهات. لأن المفكر المادي الملحد يقول: إن الله تعالىٰ، إما خلق العالم (من شيء) أو(من لا شيء) - لأن الشيء واللاشيء نقيضان وكما ان جمع النقيضين محال فرفع النقيضين مستحيل أيضاً - وبناء على هذا إذا قلنا: إنه خلق العالم من شيء فذلك الشيء هو مادة وأزلي وليس مخلوقاً لله. وإذا خلق من لا شيء، فاللاشيء هو عدم والعدم لا يمكن ان يكون مبدأ ومادة شيء.

قال المرحوم المحقق الداماد رحمه الله في تعليقه: إن هذه الخطبة العلوية أجابت على هذا التوهم وقال: أن نقيض (من شيء) ليس هو ؛(من لا شيء)، بل ان نقيض (من شيء) هو (لا من شيء). إذا خلق الله سبحانه العالم (من شيء) فالمحذور هو نفسه. أما (من لا شيء) فهو ليس نقيض (من شيء) لأن نقيض كل شيء هو رفعه. ان نقيض (من شيء) هو (من لا شيء) وليس (من لا شيء)؛ لأن (من لا شيء) هو عدم وملكة والعدم والملكة ليست سلباً وإيجاباً أبداً. وورد في الخطبة النورانية العلوية:

الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرد الذي لا من شيء كان ولا من

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

شيء خلق ما كان)[1] .

عندما يمدح الميرداماد رحمه الله هذه الخطبة، والكليني يتكلم ذلك الكلام، وصدر المتألهين يعبر ذلك التعبير، فهذا دليل على أن هذه الخطبة تعتبر من غرر خطب أمير المؤمنين عليه السلام ولكن حتى في هذه الخطبة ليست الكلمات والجمل بمستوىً واحد، كما ان آيات سورة الحديد المباركة ليست في مستوىً واحد، أي أن هناك فرقاً كثيراً بين الآيات الست الأولىٰ وبين الآيات الأُخرىٰ، ولهذا السبب ورد في الرواية التي رواها المرحوم الكليني والمرحوم الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام ان سورة **﴿قل هو الله أحد﴾** والآيات الست الأولى من سورة الحديد للمتعمقين.

في الخطب كلمات ليست في مستوى واحد لكن هذه الخطبة من غرر الخطب وهذه الجمل في هذه الخطبة تعد من غرر جمل الخطبة.

بعد توضيح هذه المسألة، لو راجعنا خطبة الزهراء عليها السلام نرى ان هذا التعبير الرفيع موجود في تلك الخطبة. قالت الزهراء عليها السلام هذه الخطبة قبل علي عليه السلام بسنوات، خطبة أمير المؤمنين كانت بعد حرب صفين والنهروان، وفي أواخر فترة حكومته، وبعد خمس وعشرين سنة من الجلوس في الدار، ولكن فاطمة خطبت تلك الخطبة قبل حوالي ثلاثين سنة من هذه الخطبة وبينت تلك الجمل.

والآن وبعد هذا التفصيل يتضح لماذا لو لم يكن علي، لما كان للزهراء زوج وكفؤ[2] .

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص١٣٨.
(٢) أصول الكافي، ج١، ص٤٦١.

نتيجة البحث:

بناء على هذا، بالنظر لأن فاطمة الزهراء عليها السلام هي معصومة أولاً. وثانياً: ان المعصوم مطلق ـ سواء نبي أو غير نبي. فعله وقوله وتقريره ـ كلامه وسكوته وسلوكه وتعامله ـ يعد سنة إسلامية، ثالثاً: السنة هي حجة، لذا فقول الزهراء وفعلها وتعاملها حجة، وليس هناك فرق في حجية السنة بين الزهراء وعلي والحسن والحسين وسائر الأئمة المعصومين عليهم السلام. إذا كان كلام علي بن أبي طالب وأبنائه الأحد عشر حجة، بسبب عصمتهم، فهذه الحجية والعصمة هي للزهراء عليها السلام أيضاً، والسنة بهذا المعنىٰ الواسع هي مصدر الفقه الإسلامي، والفقه الإسلامي يتلقىٰ أسسه من هذه المصادر، ومعيار المصدرية هي العصمة أيضاً وفي النتيجة ان الزهراء عليها السلام هي إحدى مصادر الفقه الإسلامي.

بناء على هذا إذا كان الكلام في الكراهة فان تلك الكراهة تعود إلى (أقل ثواباً)، علاوة على انه عندما يصبح محور البحث، هو العلوم الإسلامية، فان المشاركين يأتون بحضور واخلاص، وكذلك المدرسين بعفاف واخلاص، وقطعاً يكون الجو، جو عصمة وطهارة وإذا كانت هناك كراهة، تضع حكمها تحت تصرف حكم الأهم، حين التزاحم.

المرأة ومسألة الجهاد:

ان المرأة تستطيع ان تتولى قسماً مهماً من مسألة الجهاد، لأن الجهاد ليس كله تواجداً في الخندق واطلاق رصاص. فرسم الخريطة وطرق المواصلات تعد من الاقسام المهمة للجهاد، بالإضافة إلى المساعدات التموينية خلف الجبهة وفي الجبهة وهل ان المتواجدين في الجبهة يعملون كلهم عملاً عسكرياً؟ ان قسماً منهم يتولىٰ الأمور المتعلقة برسم الخرائط. والمعلومات الحربية وغيرها، الأمور العسكرية الشاقة والصعبة قالوا بأن لا

تتصدىٰ لها المرأة، لا ان تكون محرومة من فيض الجهاد، أو أن لا تدافع إذا كان البلد في حالة دفاع وحرب ومهدداً من قبل الأجانب. ومن لوازم الدفاع التدريب العسكري. طبعاً يجب أن يكون التدريب العسكري للنساء مفصولاً عن الرجال. كما هو التدريب في سائر الفنون ـ ولكن تحت قيادة واحدة، تقوم بالجهاد في الجبهة وخلف الجبهة. إذن لم تحرم المرأة من أي من هذه الميادين، بل إن المرأة بمستوى الرجل في أكثر المصاعب والامانات وفي كثير من المصائب والمشاكل.

ان القول بأن الحرب والجهاد ليست وظيفة المرأة يتعلق بالجهاد الابتدائي حيث قالوا انه يتعلق بالإمام المعصوم عليه السلام، وبعض فقهائنا رضوان الله عليهم قالوا: إنه لا يختص بالإمام المعصوم. أما إذا أصبحت المرأة قائدة فرقة في الحروب الدفاعية ورد كيد الأجانب فان ذلك ليس جائزاً فقط بل أحياناً يكون واجباً، لأن الدفاع لا يختص بالمرأة والرجل. أينما كان دفاع فالمرأة مثل الرجل وتتواجد في جميع الميادين الحربية وغير الحربية، لذا يجب ان تتعلم الفنون العسكرية حتى تكون مدافعة حين الدفاع أو الشعور بالخطر تكون قائدة فرقة نساء، وتدفع خطر العدو إلى جانب الرجال، وهم منفصلون عن بعضهم على أساس تقسيم العمل.

المرأة والهجرة:

الهجرة التي هي حمل ثقيل في الكفاح، واجبة على المرأة والرجل أيضاً، والهجرة تذكر دائماً مع الجهاد إلى جانب بعضهما. وكان في صدر الإسلام مهاجرون ومهاجرات. والآن الهجرة ليست خاصة بالرجل بل هي واجبة على الفئتين.

في الهجرة إلى الحبشة كانت المرأة مع الرجل في السفر، وفي الهجرة

إلى المدينة كانت المرأة مثل الرجل، وبعد ان قال تعالىٰ:

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هنّ حلّ لهم ولا هم يحلون لهن﴾[1] .

هذه الهجرة للجميع، وفي النتيجة ليس ان كل عمل سهل يكون للمرأة وكل الأعمال الصعبة تكون متعلقة بالرجل، بل ان المرأة والرجل متساويان في بعض الأعمال الشاقة مثل الهجرة والدفاع، لأن الحمل الأساسي تحمله إنسانية الإنسان، وفي الإنسانية ليس هناك فرق بين المرأة والرجل.

التعيين في الأعمال التنفيذية والعبادات:

هناك شبهة في بعض الأذهان وهي ان تقسيم الأعمال التنفيذية يمنع حصول النساء على الفضائل، هذه الشبهة هي من أثر عدم الالتفات إلى نظام الفضيلة في الإسلام، ان نظام الفضيلة في الإسلام يغاير معايير المدارس الأُخرىٰ. فنحن لدينا تعبد، وهذا التعبد هو عامل تقربنا. يجب ان نعبد الله وكل من كان أكثر تعبداً فهو أقرب. ولكن عبادة الله في أي شيء؟ هل العبادة في ان نعمل وفق آرائنا واقتراحاتنا أو نسلك طبقاً لأمر الله؟.

إذا كان شخص يطمح في التكامل والفضيلة، فان معيار التكامل والفضيلة يجب ان يضمنه الوحي الإلهي، والوحي الإلهي قسم ووزع البرامج. ان المرأة لا تستطيع ان تقول أبداً: نظراً لأنني محرومة من بعض وظائف الرجل، فانني محرومة من فضائل تلك الوظائف. لأن هناك ثواباً لكل عمل تنفيذي ويعطي كل شخص ثواباً بمقدار الاخلاص، إذا كانت الأعمال التنفيذية مشخصة للرجل والثواب معيناً فكذلك الأعمال التنفيذية

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١٠.

والثواب مشخصة للمرأة، فمع أنها حرمت من الصلاة على أساس (دع الصلاة أيام أقرائك)، لكنها تستطيع ان تحصل على ثواب الصلاة بأن تتوضأ وتجلس في مصلاها باتجاه القبلة وتذكر بمقدار الصلاة. ولا يمكن القول: ثواب هذا العمل أقل، أو أن القيام به صعب. الطريق مفتوح وإذا لم يرد الشخص ان يجاهد فهذا على عاتقه، ولو كان في هذا المقدار حرج لما أمر به الدين. بعض الأوامر يقوم الدين بتبديلها إلى أمر آخر بشكل مؤقت للسهولة، مثلاً يقول للمسافر أن يصلي بدل أربعة ركعات ركعتين، ولكن لتعويض ثواب تينك الركعتين الناقصتين يقول له ان يأتي بالتسبيحات الأربع ثلاثين أو أربعين مرة بعد الصلاة. هذه طريقة ترميم، وفي مجال المرأة هكذا أيضاً ولا يمكن القول إن هذا حرج، وإذا كان الوضوء حرجاً لها أو صعباً يتبدل الوضوء إلى تيمم كما في الحال العادي، هنا يتبدل الوضوء إلى تيمم، والوضوء ليس رافع حدث في هذه المسألة، بل هو من أجل أن يكون للإنسان هذا التأدب، ويستطيع ان يستفيد بصورة أصح من ذلك الذكر. بناء على هذا فان القرآن ما لم يفتح طريقاً، لا يسد طريقاً.

سؤال ممثلة النساء للنبي:

هذه الشبهة طرحت في زمن رسول الله ﷺ وأجاب عليها بجملة قصيرة، وهذا السؤال والجواب ذكره الأستاذ العلامة الطاطبائي ـ رضوان الله عليه ـ في تفسير الميزان نقلاً عن كتاب (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) خلال (البحث الروائي) لبعض آيات سورة النساء[1] .

يتبين أن هذا النوع من الأسئلة والاشكالات كان مطروحاً في زمن رسول الله ﷺ .

---

(١) تفسير الميزان، ج٤، ص٣٧.

روي عن البيهقي في الدر المنثور ان رسول الله ﷺ كان ذات يوم جالساً بين أصحابه فجاءت اسماء بنت يزيد الأنصارية وقالت: بأبي أنت وأمي اني وافدة النساء إليك واعلم نفسي لك الفداء انه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا إلا وهي على مثل رأي. ان الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء. فآمنا بك وبالهك الذي ارسلك، وانا معشر النساء محصورات مقسورات، قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم. وحاملات أولادكم، وانكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعات، وعيادة المرضىٰ، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج. وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وان الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم. وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أموالكم. فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه؟ فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا ان امرأة تهتدي إلى مثل هذا فالتفت النبي ﷺ ثم قال لها: انصرفي أيتها المرأة واعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها. وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله، فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً.

رؤيا آمنة (عليها الرحمة) أم النبي ﷺ:

روي ان هذه المرأة نظرت إلى طفلها محمد ﷺ أيام مرضها وقالت: إن تلك الرؤيا التي رأيتها في عالم النوم إذا هي حق فأنت تبعث إلى الأنام.

فأنت مبعوث إلى الأنام　　　تبعث في الحل وفي الحرام

تبعـث بـالتـوحيـد والإسـلام   ديـن أبيـك البـر إبـراهـام[1]

نظمت شعراً في حالة المرض وقرأته على طفلها الصغير، ورحلت.

وآمنة هذه استطاعت ان تربي هذا النبي، لأنه رغم ان آمنة كانت تعيش في جو الجاهلية ولكن كان لديها نهج إبراهيمي. مثل هذه المرأة تربي مرجعاً. مفسراً، حكيماً، عرافاً، فقيهاً، أديباً هذه المرأة تستطيع ان تربي مجاهداً وأخيراً هذه المرأة تستطيع ان تربي ولي المسلمين وقائد المسلمين.

ان ما قاله إمام الأمة ـ رضوان الله تعالىٰ عليه: (من حضن المرأة، يذهب الرجل إلى المعراج)[2] هي حقيقة أخذت من الروايات، يجب ان لا يتخيل شخص ان المرأة محرومة من فضيلة لأنها لا تذهب إلى الجبهة، تستطيع المرأة بحسن التعامل، بالإدارة الصحيحة لشؤون المنزل، بالقناعة، بالتربية الرقيقة للأبناء، بالسلوك المؤدب، وحفظ العفاف واللباس أمام الأولاد، وتربية أولاد نجباء ومئات الوظائف المطروحة في إدارة المنزل، ان تجبر نقص تلك الفضائل، حيث ان هذه تعادل جميع الفضائل التي وردت للرجال.

من الشبهات الأُخرىٰ التي تطرح بسبب عدم ملاحظة معايير القيم في القرآن الكريم، ويؤكد عليها بسبب رسوخ الثقافة الجاهلية والغربية في الأذهان، مسألة فرق دية الوارث بين المرأة والرجل.

معيار قيمة الإنسان ومسألة الدية:

إن ما يطرح كمعيار تقييم هو هل ان المرأة تستطيع ان تتكلم مع الملائكة وتسمع دعوة الله، أم لا؟ أما في ما يتعلق بمسألة الدية، وهو لماذا

(١) الدر المنثور، ص١٦ ـ ١٧.
(٢) صحيفة النور، ج٦، ص١٩٤.

كانت دية المرأة أقل من دية الرجل؟ يجب القول في الجواب: هل ان قيمة الإنسان هي بقيمة بدنه حتى نقيم الامتياز في الديات؟

هل يجب الذهاب وراء الدية لتقييم الإنسان في الإسلام، حتى نبحث عن الفارق بين المرأة والرجل في الدية؟ أم انه يجب معرفة القيمة الحقيقية للإنسان هناك حيث الكلام في الارتباط مع الملك والوحي وأمثال ذلك؟ حتى يرىٰ في النهاية هل ان المرأة لها سهم هناك أم لا؟

إن مسألة الدية هي إمر اقتصادي صرف، وليست هي معيار تقييم الإنسان، فكما ان في الشريعة تعينت للكلب دية ـ إذا لم يكن من الكلاب العقورة، كذلك جعل لجسم الإنسان دية أيضاً، الدية هي حساب فقهي وليس لها ارتباط بقواعد الدين، فأهم الشخصيات الإسلامية يتساوىٰ مع أبسط الأشخاص من حيث الدية، دية مرجع تقليد، دية إنسان متخصص، دية إنسان مبتكر، مع دية عامل بسيط هي واحدة في الإسلام، بسبب ان الدية ليست عاملاً في تعيين القيمة وهي أداة فقط. إن معيار القيمة هو الذي جاء في القرآن ﴿ان أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1].

خلاصة الكلام: أولاً: ان البدن ليس أكثر من أداة، ولهذا البدن ديته مشتركة سواء كان هيكل مرجع تقليد، أو فقيه، أو طبيب أو مهندس، أو مبتكر أو هيكل عامل بسيط.

ثانياً: ان التقييم يتعلق بروح الإنسان، وروح الإنسان لا تتلاشىٰ ولا تصبح مقتولاً حقيقياً حتى يدفع عنها دية. بل ان الذي يتضرر هو البدن، والبدن يقيم باداة مادية كما تبين، بناء على هذا فالمرأة والرجل بنفس المستوىٰ من حيث الوحي، ورغم ان الوحي التشريعي ينزل على الرجال لأنه

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

يتبعه عمل تنفيذي، ولكن الوحي التكويني والتأييدي وأمثال ذلك والذي لا ترافقه أعمال تنفيذية فالمرأة بمستوىٰ الرجل في هذه الناحية.

ثالثاً: إذا حصل اعتراض وانتقاد من قبل المسيحية وهاجموا الإسلام. يتضح ان ذلك المهاجم ليس نصرانياً صادقاً، حيث انه ليس هناك في النصرانية فرق بين المرأة والرجل أيضاً، وإذا ورد نقد من اليهود، يتضح أن الناقد ليس يهودياً أصيلاً، لأن المرأة لها مقام في قاموس الوحي بحيث تستطيع ان تصبح بمستوىٰ أم النبي إسحاق وتتكلم مع الملائكة مباشرة.

لو ان هذه المسائل تستنبط جيداً من القرآن الكريم ويبين ويوضح بشكل كامل ان عظمة ومقام وقيمة الإنسان الحقيقية تتعلق بروحه بحيث تستقبله الملائكة وتتكلم معه وتعرض دعوة الله وتتلقىٰ روح الإنسان بشارة الملائكة وفي هذا التلقي ليس هناك أي فرق بين المرأة والرجل، عند ذلك لا يحصل نقد ونقص في المسائل التنفيذية أبداً.

سر اختلاف دية المرأة والرجل في الإسلام:

رغم ان مسألة الدية وسائر المسائل الفقهية تتطلب فصلاً مستقلاً، ولكن في هذا القسم من البحث نطرح بحثاً قصيراً في هذا المجال بمناسبة الطرح الإجمالي لمسألة الدية.

هناك مجموعة من التقييمات في القرآن الكريم ترجع إلى البدن، ولك بدن يكون منشأ اقتصادياً أكثر وأقوىٰ، تنظم مسألة الدية بذلك التناسب في ما يتعلق به، كما ان مسائل الإرث هي هكذا.

أما ما يعود إلى التعليم والتربية، فلأن مثل هذه الأمور لا تتعلق بالبدن، لذا كانت المرأة والرجل في تلك الأمور موضع خطاب مشترك في القرآن.

القرآن الكريم خاطب المرأة والرجل معاً في الفضائل الروحية والأخلاقية وتجنب الرذائل الأخلاقية، وكذلك خاطب المرأة والرجل معاً في مسائل اتباع نظام الحكومة وسائر الأقسام في مسائل الحكومة وقال:

﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضىٰ الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾(1).

في المسائل الأخلاقية جاء في القرآن الكريم أيضاً:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسىٰ ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسىٰ أن يكن خيراً منهن﴾(2).

لأن الخير ليس من المدركات البصرية التي تأتي بالعين، الخير يتعلق بالروح والروح مستورة أيضاً، ولعل الشخص الذين يسخر منه أفضل من الشخص الذي يسخر. بناء على هذا فلا الرجل يحق له السخرية ولا المرأة مسموح لها بهذا العمل. لأنه يقول:

﴿عسىٰ أن يكونوا خير منهم ولا نساء من نساء عسىٰ أن يكن خيراً منهن﴾.

ورد في رواية ان هناك عدة أشياء مستورة بين عدة أشياء، أحداها ليلة القدرة المستورة بين ليالٍ وأولياء الله المجهولون والمستورون بين الأشخاص العاديين، وقد يكون الشخص الذي يتعرض للسخرية من أولياء الله.

إن الاحتقار محتمل بأربع حالات: أحياناً من الممكن ان يحقر رجل رجلاً، أو يحقر رجل امرأة. كما ان من الممكن ان تحقر امرأة امرأة أُخرىٰ.

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(2) سورة الحجرات، الآية: ١١.

أو تحقر امرأة رجلاً. هذه هي اربع حالات مفروضة. ولكن القرآن بين حالتين بصراحة وذكر بقاعدة عامة، وهي انه قد يكون الشخص الذي يتعرض للسخرية أفضل من الشخص الذي يسخر.

بناءً على هذا ليس هناك أي امتياز بين المرأة والرجل في المسائل الأخلاقية، وأما في مسألة الدية، فنظراً لأنه ليس فيها جانب خير بل هي تتعلق بالجانب البدني. لذا إذا كان البدن في المسائل الاقتصادية أقوى فديته أكثر ولأن الرجال يحققون مردوداً اقتصادياً أكثر من النساء في المسائل الاقتصادية فديتهم أكثر أيضاً وهذا ليس بمعنى ان الرجل يكون أثمن من المرأة في الإسلام. بل يلحظ ذلك البعد الجسماني ـ الجانب البدني ـ فقط لهذين الصنفين. إن أساس الدية لا يتعلق بتقييم الروح ويجب ان لا يتعرض هذا العنوان للنقد والنقض في مسائل معرفة الإنسان وعظمة المرأة والرجل وإلا ـ كما أشير ـ عندما نلاحظ ان دية مرجع تقليد أو طبيب تساوي دية عامل بسيط يجب أن نلتزم بأن العلم والصناعة والابتكار والطب وغيرها ليس لها قيمة في الإسلام والحال ان لها قيمة بشكل كامل.

بناء على هذا فان الدية ليست معياراً لقيمة الإنسان. ونقد النقاد هوبسبب أنهم يعتبرون الإنسان في مستوىٰ نبات، أما ان الإنسان يصل إلى درجة بحيث يتكلم مع الملائكة وتستقبله الملائكة، فلا يفهمون ذلك. وعندما تطرح هذه المجموعة من المسائل يرجعون إلى أنفسهم. ويسألون. هل هناك علم وراء الطبيعة، هل توجد كائنات اسمها الملائكة هل نبقىٰ أحياء إلى الأبد، ونصل إلى درجة بحيث تستقبلنا الملائكة وتهنئنا وتحيينا:

﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾[1].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

ولكن لان مثل هذه الحقائق ليس لها معنى ومفهوم بالنسبة لأولئك في الشرق والغرب، لذا يحصرون التقييم في محور الدية أو في الإرث.

إرث المرأة والرجل في الإسلام:

في جواب هذا السؤال وهو لماذا ان أرث المرأة هو أقل؟ يجب القول:

أولاً: في كثير من الحالات يتساوىٰ إرث المرأة والرجل. من ذلك والديّ الميت حيث لكل منهما سدس كذلك أقرباء الأم من النساء والرجال يرثون بالتساوي، هناك فرق بين الأخ والأخت وفي بعض الأقسام (التقرب بالأب أو الأبوين) بناء على هذا فليس الرجل يرث دائماً أكثر من المرأة.

ثانياً: الحالات التي يوجد فيها فرق في الإرث توجد علل، فلو أخذنا بنظر الاعتبار ان الميت لديه بنت وابن فما هو مسلم هو أن الابن يجب أن يشكل أسرة وجميع نفقه الأسرة بعهدته أيضاً ويجب ان يدفع مهر ونفقة الزوجة أما البنت فهي تختار زوجاً تستلم منه مهراً ونفقة، لذا إذا بحث الإنسان جيداً يرىٰ أنه رغم ان الدخل بعهدة الرجال ولكن المصرف يتعلق بالنساء، المهر لها، والنفقة تتعلق بها أيضاً، لذا فالصورة التي للقرآن عن النساء هي انه يقول:

﴿أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾[1].

أي ان أكثر المصارف هي لهن، عند ذلك إذا بحثت هذه المصارف المالية بعد بحث وتأمين المسائل الأساسية يلاحظ ان شيئاً بعنوان (نقد) لا يبقىٰ.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ١٨.

ضرورة تعلم العلوم:

أحد الأسئلة التي تطرح هي انه إذا لم يكن هناك امتياز بين المرأة والرجل في المسائل العلمية والكمالات العلمية فلماذا يجب ان تستأذن المرأة من الرجل لتعلم العلم وفي حالة عدم إذن الزوج تحرم من كسب العلم؟

في الجواب يجب القول أولاً: ان تعلم العلم على قسمين، قسم هو مجموعة من العلوم التي يكون تعلمها من الواجبات العينية، وفي تعلم هذا القسم من العلوم لا يحق للرجل المنع، أما القسم الآخر من العلوم التي تعلمها واجب كفائي، فإذا لم يبادر الآخرون في هذا القسم من العلوم إلى التعلم بحد الكفاية فان تعلمها يصبح واجباً عينياً على المرأة، ولا يحق للرجل المنع أيضاً، وحتى في الحالات التي يحق للرجل المنع تستطيع المرأة ان تشترط وتقول: إنني أقوم بأعمال المنزل بهذا الشرط وهو أن أخصص هذا المقدار من الوقت لتعلم العلوم. كما اشترط هذا الموضوع في قضية زواج زينب عليها السلام مع زوجها، حين العقد. لو طرحت هذه المسائل في المجتمع ونضجت ثقافة الناس أيضاً عند ذلك سوف لا تعتبر المرأة بضاعة أبداً.

رسوخ أفكار جاهلية في ثقافة بعض المسلمين:

ذكر المرحوم العلامة الطباطبائي (رضوان الله عليه) في تفسير الميزان أن رواسب جاهلية لا تزال حتى الآن منتشرة في المجتمع، أي ان المجتمع هو مجتمع إسلامي، والكلام هو كلام الإسلام، ولكن الفكر فكر جاهلية.

في مجتمعنا المعاصر هكذا أيضاً فان الرجل إذا تلوث لا يشعر ذووه بالعار، ولكن إذا تلوثت المرأة يشعر أعضاء الأسرة بالعار وقد يقتلونها ـ

أليس هذا الفكر. فكر الجاهلية؟ هل هذه الغيرة هي غيرة جاهلية أم غيرة دينية؟ يجب أن نشعر بالعار ولكن مشتركاً بدون فرق، يجب أن نكون غيارى ولكن بشكل متساوٍ.

(لا يرىٰ الجاهل إلا مُفْرطاً أو مُفرِّطاً)[1] .

ان عدم الغيرة يطابق ثقافة الغرب المنحطة، التمييز في الغيرة هو الثقافة الجاهلية المنحطة، وأما ما يطابق الثقافة الإسلامية فهو التوازن في الغيرة.

للأسف، نحن نتكلم إسلامياً، ولكن نفكر جاهلياً، ونضع تفكيرنا الجاهلي على حساب الإسلام الخالص، نأخذ عدم الغيرة بشأن الرجال من الثقافة الغربية والغيرة بشأن النساء من ثقافة الجاهلية ونجمع هذين معاً ونلصقهما بالإسلام. ثم نتوهم ان الإسلام يفرق بين المرأة والرجل. ان ما ورد في كلام الإمام علي:

(ولبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً)[2] .

سره هو أنه في كثير من الحالات أخذنا بعض المسائل من الغرب وبعضاً من الرواسب الجاهلية وقلنا: إن هذا هو رأي الإسلام، في حين انه لو نراجع القرآن نرىٰ انه يقول:

﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾[3] وفي مسألة السرقة يقول أيضاً:

---

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار، ٦٧.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٨.

(٣) سورة النور، الآية: ٢.

﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله﴾[1] .

قد يحصل العفو عن المرأة عند السرقة وعدم العفو عن الرجل، وفي مسألة تلوث العفة قد يحصل العكس، كلاهما تمييز وناجم عن أفكار جاهلية، هذا التلفيق والرسوب الجاهلي مع ذلك الميراث للثقافة الأجنبية المنحطة، شكل أوهاماً لصقت بالإسلام، بحيث انه إذا ذهب شخص وراء معرفة الإسلام بهده الرؤية والاعتقاد يتصور ان الإسلام فرق بين المرأة والرجل. وإذا أراد أن يبحث امتيازهما فأما يبحثه في الإرث، أو في الدية، إن مقام المرأة يجب البحث عنه في معرفة الإنسان وليس في الدية والإرث. وإلا فالدية موجودة للكلاب أيضاً. وهذا هو نظم مالي وضعه الإسلام في المسائل المتعلقة بالبدن وليس له ارتباط بالقييم.

ان العظمة التي جعلها الدين للمرأة هي نفس العظمة التي جعلها للإنسان، لهذا إذا أراد شخص دراسة عظمة المرأة فمن اللازم أن يلاحظ سورة هود حيث تتكلم الملائكة مباشرة مع المرأة وتقول لها انها جاءت لتعطيها نبياً.

استقلال المرأة والرجل في الاقتصاد:

في خصوص المسائل الاقتصادية أيضاً يشير القرآن إلى أن المرأة والرجل مستقلان، فلإزالة تلك الرسوبات الجاهلية يقول:

﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾[2] .

المرأة مستقلة في الاقتصاد، والرجل أيضاً مستقل في الاقتصاد، ولم

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ٣٢.

يقل ان كل شخص كسب شيئاً فهو له مع انه كان ممكناً ان يبين المسألة بجملة واحدة. ولكنه. جاء بجملتين مستقلتين، لذا من أجل أن نعرف بعظمة مقام المرأة، يجب أولاً ان نطرد أفكار مجتمع الجاهلية ونقول ان ما تعتقدونه ليس رأي الإسلام.

معرفة الإنسان لدى هذه المجموعة، هي مثل رؤيتهم الكونية، ورؤيتهم الكونية هي رؤية كونية أفقية، أي ماذا كان هذا الكائن سابقاً وما هو الآن وماذا يكون لاحقاً؟ ـ سير أفقي ـ أما أين المبدأ وفي أي اتجاه يكون المنتهىٰ والهدف ـ هذا السير العمودي وهو النظام الفاعلي والغائي وهو بمثابة جناحين مستقرين فوق النظام المادي ـ غير مطروح لدىٰ الغرب المعاصر ولم يكن مطروحاً في الجاهلية، في حين أن جميع هذه المسائل الفرعية تعود إلى تلك المسائل الأساسية.

انتفاع الموتى بالتبرعات:

أحياناً يقال: إذا لم يكن هناك فرق بين المرأة والرجل في المعارف والتكامل والثواب والعقاب، لماذا إذا مات رجل فقضاء صلاته وصيامه يكون بعهدة الابن الكبير، ولكن إذا ماتت امرأة فقضاء صلاتها وصيامها ليس بعهدة الابن الكبير؟

في المقدمة يجب الإشارة إلى ان الإنسان في البرزخ ينتظر أعمال خير ذويه. كل أثر يبقىٰ ذكرىٰ بعد موت الإنسان تصل نتيجة خيره أو شره إليه، كما ان كل اهداء وتبرع يقام لشخص في البرزخ ـ سواء كنيابة أو كهدية وفي النيابة سواء بصورة إجازة أو تبرع ـ يصل ثواب ذلك العمل إلى المتوفى.

وردت روايات كثيرة في أن الأموات ينتظرون الأعمال الخيرة للأحياء وروي أن بعض الأموات وهم تحت الضغط والمصاعب يشعرون فجأة

بفسحة وانتفاح، ثم إذا سئل: لماذا أصبح هذا الشخص الذي كان في مشقة في فسحة؟ يقال: لأن الابن الفلاني أو البنت الفلانية أو أحد ذويه وأصدقائه قام نيابة عنه بعمل خير أو قام بعمل خير وأهدىٰ ثوابه إلى روحه. وهذه النيابة والتبرع تبدأ من أول ليلة الدفن، فالأوراح ترتبط مع بعضها البعض. وكذلك فان الله تعالىٰ يتقبل الأعمال والأعمال التي يقبلها الله سبحانه يوصلها إلى ذلك المتوفىٰ كهدية. فالشخص الذي يعمل عملاً لميت أو يجعل نفسه محله وهو تنزيل فاعل منزلة فاعل، أو يجعل عمله بمنزلة عمله وهو تنزيل فعل منزلة فعل، أو ليس في ذهنه أي من هذين حين النية بل يقوم بعمل خير ثم يهديه ويقول: اللهم تقبل مني هذا العمل، وبعد القبول أجعل ثوابه لروح الشنخص الفلاني.

في مسألة التبرع ومشروعية النيابة واصل اهداء الثواب، ليس هناك أي فرق بين المرأة والرجل ـ في بداية البحث أوضحنا ان المرأة هي أحياناً في مقابل الرجل، وأحياناً في مقابل الزوج، البحوث المتعلقة بالفوارق بين المرأة والزوج تعود إلى أمور تنفيذية، وأما أساس البحث فهو المرأة في مقابل الرجل وليس المرأة في مقابل الزوج ـ من هذه الناحية فان الإنسان الذي يموت ينتظر بعد الموت تبرعات وهدايا ذويه وإذا قام الاحياء وذووه بعمل خير كنيابة أو اهداء ثوابه إلى شخص متوفىٰ فمن المؤكد أنه يصل إليه ومن هذه الناحية ليس هناك فرق بين المرأة والرجل.

وأما بشأن الوالدين خاصة، وهو انه لماذا يكون قضاء صلوات وصيام الأب واجباً على الابن الكبير ولكن قضاء صلوات وصيام الأم ليس واجباً عليه؟

وجوب قضاء صلاة الوالدين:

جواب الشبهة هو انه أولاً: ان هذا الحكم موضع اختلاف الفقهاء،

فرغم ان كثيراً من كبار الفقهاء قالوا: إن قضاء صلاة وصوم الأم ليس واجباً على الابن الكبير. فان هناك فقهاء كباراً آخرين أفتوا بأنه ليس هناك فرق بين الأب والأم في هذه الناحية، وقد نقلت هذه الفتوىٰ عن فقهاء سابقين كما أن مشايخ الفقاهة بين المتأخرين افتوا بهذه الفتوى. كمثال أفتى صاحب العروة بأنه ليس هناك فرق بين الأب والأم كما افتى صاحب الوسيلة بأنه ليس هناك فرق بين الأب والأم. وقالوا بأن حكم الأم والأب واحد مع احتياط لزومي.

ثانياً: إذا مات أب ولم يكن لديه ابن وكانت ذريته كلها بنات أو لم تكن لديه ذرية أساساً في هذه الناحية ليس هناك فرق بين الأب والأم لأنه ليس لديه ابن حتى يكون قضاء الصلاة واجباً على الإبن. فإذا كان قضاء صلاة الأب واجباً على الابن ولكن قضاء صلاة الأم ليس واجباً على الابن فسره هو: ان هذه الأم عندما كانت فتاة لم يكن لديها تكليف، فالآن حيث أصبحت أمّا لا يتولى شخص تكليفها، أي أنها عندما كانت فتاة لم يوجب الله عليها ان تتولىٰ قضاء صلاة وصوم الأب كتكليف زائد، والآن حيث أصبحت تلك الفتاة أما لا يقول إن قضاء صلوات هذه الأم واجب على الابن حيث ان:

(من له الغنم فعليه العزم)[1] .

اعطيت هذه المرأة تخفيفاً واستراحة في كلتا الناحيتين.

وثالثاً: إذا مات أب وكان لديه عدة أولاد فان قضاء صلاته وصومه واجب على الابن الكبير فقط وسائر الأولاد يتساوون مع الأخوات في هذه الناحية، وهذا أحياناً في مقابل تلك الحبوة التي يقوم بها الأب لولده الأكبر؛ لأن قسماً خاصاً من الإرث خاص بالولد الكبير ـ قيل ان المسبحة والسجادة

---

(١) إحدىٰ القواعد التي كثيراً ما تقع مورد استشهاد في بحث الإرث.

والسيف ومركوب الميت خاص به ـ لذا أشار بعض الفقهاء إلى هذه المسألة وهي ان الولد الكبير لأنه يحصل على حبوة، أي أن هناك مجموعة مسائل مالية خاصة تصل من الأب إلى الولد الكبير فهناك مجموعة تكاليف تكون بعهدة الولد الكبير، وهي ان يقضي الصلوات التي لم يصلها الأب وأيام الصوم التي لم يصمها الأب.

النتيجـة:

المسألة الأساسية هي انه ليس هناك فرق بين المرأة والرجل في أصل مشروعية التبرع والنيابة أو اهداء الثواب، ومن حيث المسألة الفقهية كذلك هناك فتوىٰ لصاحب العروة وصاحب الوسيلة في عدم الفرق بين الأب والأم، وان كان بعض المراجع الكبار رأيهم الشريف ان هذا يختص بالأب أي ان قضاء تكاليف الأم ليس واجباً على الولد، ولكن لعل الحق مع المرحوم صاحب العروة وصاحب الوسيلة.

نقرأ بعض الروايات التي ذكرها المرحوم صاحب الوسائل رضوان الله تعالىٰ عليه حتى يتضح انه ليس هناك فرق بين المرأة والرجل وكذلك بين الأب والأم في الأقسام الكلامية والفقهية.

روايات قضاء صلاة الميت:

ورد في كتاب الوسائل أبواب قضاء الصلاة باب ١٢ :

(باب استحباب التطوع بالصلاة والصوم والحج وجميع العبادات عن الميت ووجوب قضاء الولي ما فاته من الصلاة لعذر).

الروايـة الأولىٰ:

الرواية الأولىٰ في هذا الباب هي أنه روي عن الإمام الصادق عليه السلام :

(ما يمنع الرجل منكم أن يبرّ والديه حيين وميتين يصلي عنهما ويتصدق عنهما ويحج عنهما ويصوم عنهما فيكون الذي صنع لهما وله مثل ذلك فيزيده الله عز وجل ببره وصلته خيراً كثيراً).

يجب أن يعين الفقه ما هي الأحكام القابلة للنيابة وما هي الأحكام غير القابلة للنيابة في زمن الحياة حيث لا يمكن القيام بالصلوات الواجبة والصوم الواجب نيابة في زمن الحياة أما الحج فيمكن القيام به.

الرواية الثانية:

رواية أُخرىٰ هي انه سئل الإمام الصادق عليه السلام: (يُصلىٰ عن الميت؟ قال عليه السلام: نعم حتى انه يكون في ضيق فيوسع عليه ذلك الضيق ثم يؤتى فيقال له خفف عنك هذا الضيق بصلاة فلان أخيك).

الدنيا هي عالم التزاحم:

الذين هم من أهل الدنيا في ضيق ما داموا يعيشون في الدنيا، أي أن الطبيعة والمادة لا تتلاءم مع روح الإنسان، عالم الدنيا هو عالم تزاحم. إن العلاقة بعالم التزاحم توجد مشقة لذا جاء في القرآن الكريم:

﴿ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً﴾[1].

ليس الضيق في عالم البرزخ فقط بل هو في الدنيا في ضيق. الذين لديهم إمكانات مادية كثيرة، ولكن ليس لديهم حظ من الدين هم في عذاب إلهي حقيقة. فهم في عذاب دوماً من أجل طلب المفقود والحفاظ على الموجود، يسعون لحفظ المال الذي حصلوا عليه، والقبض على الذي لم

---

(١) سورة طه، الآية: ١٢٤.

يحصلوا عليه. في مشقة ضغطين دائماً وليست لديهم راحة لهذا ينامون بالدواء، ويعانون ألماً لا يقبل العلاج.

في الدنيا يعيشون في ضغط وفي القبر هم في ضغط يعبر عنه بضغطة القبر، وفي جهنم مكانهم ليس واسعاً. يقال لهم يجب ان تحترقوا في هذا المكان الضيق.

﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً﴾[1] .

عـالم أهل الجنة:

بناء على هذا فأهل الدنيا هم في ضغط في كل المراحل الثلاث، في الدنيا مقيدون، في البرزخ في ضيق القبر، في جهنم مكانهم ضيق، وأهل الآخرة في فسحة وسعة في العوالم الثلاثة، الذين يعيشون بـ ﴿ربّ اشرح لي صدري﴾[2] مفتوحة لهم الدنيا ويعيشون في راحة كاملة. وقبورهم أيضاً (روضة من رياض الجنة)[3] ورد في الروايات أن منزل الشخص من أهل الجنة له من السعة بحيث لو أن كل أهل الدنيا أرادوا أن يكونوا ضيوفه فالمكان يتسع، إن ما جاء في القرآن الكريم في المسارعة إلى جنة ﴿عرضها السموات والأرض﴾[4] أي أن مساحتها بمقدار النظام العالمي، لا يعني مساحة كل الجنة هي بمقدار هذا النظام بل مساحة دار شخص واحد من أهل الجنة هي بمقدار السماء والأرض. بناء على هذا فالمؤمن في سعة في العوالم الثلاثة، والكافر والمعرض عن اسم وذكر الله هو في ضيق في العوالم الثلاثة. أما المؤمن العاصي فهو في ضغط في البرزخ وإذا كان ذووه

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ١٣.
(٢) سورة طه، الآية: ٢٥.
(٣) بحار الأنوار، ج٦، ص٢٠٥.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

صالحين ويفكرون به يؤدي ذلك إلى انفراج أمر ذلك الشخص بعد الموت وفي هذه الناحية ليس هناك امتياز بين المرأة والرجل.

الرواية الثالثة:

سألوا أن رجلاً توفي وبذمته صلاة وصوم قال: إن أولىٰ الناس به هم الذين أولى به من الآخرين، أي أولاده مثلاً أو ابنه الأكبر يقوم بالقضاء، الروايات كثيرة في هذا المجال.

الجمع بين الروايات:

ليس هناك فرق بين المرأة والرجل في مفاد الروايات التي بشأن أصل التبرع ومشروعية النيابة والبعد الكلامي لهذه المسألة وأمثال ذلك. رغم ان الروايات الواردة في هذا المجال على قسمين، بعض الروايات فيها كلمة ميت وبعض الروايات كلمة رجل. لكن كلمة رجل هي كمثال مثل (الرجل يشك في الفجر، قال يعيد قلت...)[1] وليس لها خصوصية حتى نقول: إننا قيدنا ذلك المطلق لأن الرواية على قسمين قسم فيه تعبير ـ ميت ـ وقسم آخر تعبير ـ رجل ـ ونقول بأن التبرع واهداء الثواب والنيابة خاصة بالرجل وليس جائزاً التبرع واهداء الثواب للمرأة الميتة، لأن هذا النوع من الأدلة كلا طرفيه موجب وليس هناك محل لتطبيق هذه القاعدة الأصولية، أي لا تعارض حتى نحمل المطلق على المقيد.

وكذلك في باب الاستحباب ليس هناك أي فرق بين المرأة والرجل والأب والأم كل ذويه يستطيعون القيام بقضاء صلاة وصوم الوالدين بأحسن وجه بالنيابة أو بالتبرع أو يقومون باهداء الثواب.

وأما هذه المسألة وهي قضاء صلاة وصوم الأب واجب على الابن

(١) وسائل الشيعة، ج٥، ص٣٠٥.

الكبير، أما قضاء صلاة وصوم الأم فليس واجباً عليه فروايات هذا الباب على طائفتين. في بعض هذه الروايات الكلام على الميت وان ورد في بعضها تعبير ـ رجل ـ. في الرواية ١٨ من هذا الباب ـ وهي رواية معتبرة واستدل بها في الفقه أيضاً ـ روىٰ عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال:

(الصلاة التي دخل وقتها قبل أن يموت الميت يقضي عنه أولى الناس به).

كلمة ـ يقضي ـ هي جملة خبرية تفيد الانشاء، أي أن يقوم بقضائه (أولى الناس)، وأولىٰ الناس يكون الولد الأكبر، وليس هناك تعارض بين هذه الرواية والروايات الأُخرىٰ التي وردت بتعبير رجل وكلتا الطائفتين قابلة للتطبيق معاً ولكن عدداً من الفقهاء يقولون انه بالنظر لأن هذه الروايات في الطائفة الأولىٰ تقول إذا مات (الميت) قبل الصلاة يجب القيام بقضائه وفي الطائفة الأُخرىٰ ورد انه إذا مات (رجل) يجب ان يقوم ابنه الكبير بقضائه فكلمة (رجل) هذه خاصة وعبارة (ميت) عامة ومطلقة، وفي النتيجة إن الخاص قيد المطلق والقضاء خاص بالميت الرجل وليس الميت المرأة. ولكن هذا الاستدلال الفقهي ليس تاماً بدليل انه في المسألة الأولىٰ يوجد ثنائية تعبير أيضاً، هناك توجد جنبة كلامية وجنبة فقهية أيضاً. كانت الروايات على طائفتين وكان مضمون إحدىٰ الطائفتين هو ان التبرع الذي يتبرع به للميت تصل نتيجته إليه ومضمون طائفة أُخرىٰ ان العمل الذي يقام به للرجل يصل ثوابه إليه، وبين هناك ان الرواية الثانية ليست مقيدة للأولىٰ وهي إيجابية، وثانياً ان الرجل في هذا النوع من المسائل يذكر كمثال وليس له خصوصية مثل ان يقال: ان رجلاً شك. بين ٢، و٣ في الصلاة وهذا ليس بمعنى انه إذا شكت امرأة فحكمها شيء آخر. في الحقيقة هنا يبين حكم الشك وليس حكم الشاك.

إشكال علمي أم معيار فتوىٰ:

لم ير بعض الفقهاء ان يقبلوا هذه المسألة كصاحب كتاب المستمسك وأمثاله، حيث ارادوا التفريق بين هذا النوع من المسائل وبين المسائل المشابهة التي ذكر الرجل فيها بوصفه مثالاً، ولكن صاحب المستمسك وان لم يكن مستعداً لأن يبين بصراحة في كتابه الفقهي أن قضاء صيام الأم لازم على الابن الكبير، ولكن في مقام الفتوى وفي قسم الصلاة وافق المرحوم صاحب العروة إلى حد ما، بناء على هذا من الممكن ان يرد إشكال علمي في ذهن فقيه في كتاب فقهي ولكن معيار الفتوى هذا يجب مشاهدته في الحصيلة النهائية الغرض هو انه في المسألة الأولىٰ كانت الروايات على قسمين: قسم كان يقول (ميت) وقسم آخر يقول (رجل) وكان يعمل بكلا الطائفتين؛ لأن كلا الروايتين كانتا إيجابيتين. وفي المسألة الثانية التي هي بشأن القضاء، يوجد كلا التعبيرين، قسم من الروايات تقول: إن قضاء صلاة وصوم الميت بعهدة الأولىٰ بارثه ـ أي الابن الكبير مثلاً ـ وقسم آخر الروايات التي تقول: إن قضاء صلاة وصوم الرجل بعهدة الابن الكبير مثلاً.

بناء على هذا فالحق ظاهراً مع صاحب العروة وصاحب الوسيلة، رغم ان بعض مشايخنا ـ رضوان الله تعالىٰ عليهم أجمعين ـ مثل كثير من العلماء يرون أن قضاء صلاة وصوم الأم ليس واجباً على الابن الكبير.

على أي حال، هذه مسألة فيها اختلاف بين الفقهاء أنفسهم ولا يمكن حسابها على أصل الإسلام، والقول لماذا أوجب الإسلام قضاء صلاة الأب على الولد الكبير ولم يوجب قضاء صلاة وصوم الأم على الولد؟

طريق نسب السادة:

تطرح في مجال تساوي حقوق المرأة والرجل شبهة أُخرىٰ، وهي أنه

إذا لم يكن فرق بين المرأة والرجل، وإذا كان الأب والأم متساويين، فلماذا في مسألة الانتساب إلى رسول الله ﷺ إذا كانت الأم علوية لا يحسب أبناؤها سادة إذا لم يكن أبوهم سيداً مع أنهم ينتسبون إلى النبي ﷺ عن طريق الأم ولا تترتب عليهم أحكام فقهية كالخمس وأمثال ذلك؟ مع أن الأئمة الأطهار عليهم السلام منسوبون إلى النبي ﷺ عن طريق الزهراء، أليس هذا دليلاً على امتياز الرجال بالمقارنة مع النساء؟

جواب هذا السؤال هو انه ليس هناك أي امتياز بين المرأة والرجل، لأنه إذا كان الأب فقط سيداً، فواضح ان أطفاله سواء كانوا بنات أو بنين يحسبون سادة وأحكامهم الفقهية مترتبة بنحو السيادة، أي يستطيعون ان يستفيدوا من الخمس، والزكاة حرام عليهم إلا زكاة السادة، ولكن إذا كانت المرأة علوية فان أبناءها سواء البنين أو البنات ليس لديهم هذا الحكم. وهذا هو مجرد حكم فقهي ورد في خصوص الزكاة والخمس. أي لا يستطيعون الاستفادة من مال ويستطيعون الاستفادة من مال آخر. رغم ان المرحوم السيد المرتضىٰ ـ رضوان الله تعالىٰ عليه ـ افتىٰ بان الشخص إذا كان له انتساب إلى بني هاشم عن طريق الأم يعطى خمساً أيضاً وقد قبل هذه الفتوىٰ بعض الفقهاء الآخرين كصاحب الحدائق، ولكن المعروف بين الإمامية أن الشخص الذي يكون انتسابه عن طريق الأب خاصة يستطيع الاستفادة من الخمس والفتوى (المعمول بها) لفقهائنا هي هذه.

ولكن في كثير من المسائل الفقهية ليس هناك أي فرق بين المرأة والرجل من حيث السيادة من ذلك باب المحرمية ليس هناك أي فرق، سواء كان الإنسان سيداً عن طريق الأم أو عن طريق الأب. إذا كان لديهم ارتباط نسبي عن طريق الأم مع الأنبياء العظام والأئمة الأطهار وأمثال ذلك فمسألة المحرمية متساوية، وكذلك في مسألة حرمة النكاح ـ التي هي غير

المحرمية، لأنه أينما تكن محرمية تتبعها حرمة النكاح. ولكن أينما تكن حرمة النكاح فمن الممكن أن لا تكون محرمية ـ كذلك لا يفرق هنا.

وكذلك في مسألة الإرث لا يفرق أيضاً. أي إذا أراد شخص ان يحصل على إرث فلا يعني ذلك انه لا يحصل على إرث لأنه ابن بنت. ومسألة الوصية ومسألة الوقف هكذا أيضاً، أي إذا أوقف شخص مالاً وقال: أوقف هذا المال على شخص له انتساب إلى النبي ﷺ ويكون من أولاد أمير المؤمنين، فهذا المال يعطى لأبناء رسول الله ﷺ سواء كانوا بنات أو بنين. أو إذا جعلوا تولية لأبناء هذه العترة الطاهرة فانها تشمل البنات والبنين.

بناء على هذا في جميع هذه الأبواب الفقهية ليس هناك فرق، وفي باب لخمس والزكاة حيث ورد فرق فهو بسبب الشهرة الموجودة بين الفقهاء، وأساس هذه الشهرة رواية مرسلة حيث ورد في تلك الرواية أنه إذا كان الشخص سيداً عن طريق الأم يستطيع أن يأخذ الزكاة ولكن لا يعطى له الخمس، ثم استشهد في آخر الرواية المرسلة بالآية الكريمة: ﴿**ادعوهم لآبائهم**﴾[1] . رغم ان هذا التعليل ليس تاماً ولكن صدر الرواية المرسلة حجة وموضع فتوى. وأما أنه لماذا يأخذ الأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ الخمس مع انهم منسوبون إلى النبي ﷺ عن طريق الزهراء عليها السلام في حين ان الشخص إذا كان سيداً عن طريق الأم يجب أن لا يأخذ خمساً، فالجواب هو أن الأئمة عليهم السلام منسوبون إلى بني هاشم عن طريق علي بن أبي طالب أيضاً.

وعلى أي حال فالامتياز ليس بان الإنسان يستطيع ان يستفيد من مال ولا يستطيع من مال آخر. بل هذا حكم فقهي في خصوص باب الخمس

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥.

والزكاة لتنظيم وحفظ النسبة وإلا فليس هناك فرق في سائر المسائل، لذا عندما سئل المرحوم السيد المرتضىٰ قال: إن أبناء البنت هم أبناء حقيقيون للإنسان وليسوا مجازيين، والإسلام أزال الأفكار الجاهلية وقال لا تقولوا إن النساء هن وعاء فقط ولا تقولوا:

بنونا بنوا أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

قال المرحوم السيد المرتضىٰ: إن هذا الشعر باطل وأبناؤنا هم أبناؤنا سواء كانوا عن طريق الأبناء أو عن طريق البنات، لذا قال: ان ابن البنت هو ابن حقيقة. وإذا حصل استثناء في بعض المسائل الفقهية فذلك على القاعدة العامة التي وردت وقليل من العام لم يتعرض إلى تخصيص وقليل من المسائل المطلقة لم يحصل فيها تقييد، وفي غير حالات التخصيص فالحكم باقٍ على عموميته.

حل شبهة طلب الذكور:

وهناك شبهة أُخرىٰ في هذا المجال وهي انه إذا لم يكن فرق بين المرأة والرجل والبنت والولد لماذا أمر الأئمة عليهم السلام بالدعاء إذا أراد الإنسان ان يكون ابنه ولداً وغير ذلك أليس هذا دليلاً على أفضلية الولد على البنت؟

جواب هذه الشبهة هو أنه أولاً: إن سيرة الأئمة عليهم السلام كانت أنهم عندما كان يرزقهم الله ولداً لم يكونوا يسألون أبداً أن هذا الطفل، ولد أم بنت، بل كانوا راضين برضا الله.

ثانياً: أحياناً يكون الكلام هل أن المرأة أفضل أم الرجل؟ الولد أفضل أم البنت؟ وأحياناً يكون البحث أي من هؤلاء أكثر نفعاً للوالد، في بحث معرفة القرآن البحث في موضوع التكامل هو مسألة، والبحث في المسائل الاقتصادية أي من البنت والابن أكثر نفعاً للوالد، هو مسألة أُخرىٰ. ليس

هناك فرق بين المرأة والرجل والبنت والولد في المعارف الإنسانية، والطريق قرره الله للجميع، ولكن إذا أراد الوالد أن يستفيد فإنه يستفيد من الولد أكثر والولد يستطيع ان يحل كثيراً من مشاكله في مرحلة الشيخوخة، وهذا ليس بمعنىٰ ان الولد هو أفضل من البنت عند الله، أو أن الولد أفضل من البنت عند العقل، بل معناه ان الولد غالباً ما يخدم الأب أكثر من البنت. وإلا فان الله تعالىٰ يقول:

﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1].

وقال تعالىٰ:

﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾[2].

فيجب الانتباه لئلا تختلط هاتان المسألتان.

ثالثاً: إن سر أن الأئمة عليهم السلام كانوا يسألون ولداً هو انهم يريدون حفظ الإمام اللاحق والإمامة، أي القيادة ظهيرها الولاية، وقد تم التوضيح في الفصل المتعلق ببيان فرق المقامات المعنوية عن التنفيذية ان ظهير هذه المقامات التنفيذية هو تلك المقامات المعنوية أي أن ظهير النبوة والرسالة والقيادة وأمثالها هي الولاية، والولاية ليس لها اختصاص بالرجل، رغم ان الرسالة ـ وهي امر تنفيذي ـ خاصة بالرجال، ولكن في قسم الولاية ـ التي هي أصل وظهير، فالإنسان ولي الله والله هو وليه ـ ليس هناك أي فرق بين المرأة والرجل.

بناء على هذا إذا كان الأئمة المعصومون عليهم السلام يسألون من الله أن

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.

يرزقهم ولداً، فذلك من أجل أن يحل محلهم ويتولىٰ قيادة المجتمع بعدهم، والقيادة هي أمر تنفيذي خاص بالرجال، وفي البحوث السابقة بينا أن الأعمال التنفيذية قسمت، فكان بعضها بعهدة النساء وبعضها بعهدة الرجال العمل التنفيذي الذي فيه مواجهة كثيرة ويتطلب قوة بدنية أكثر ويتضمن اختلاطاً بغير المحارم، هو بعهدة الرجال، ولا يعطى للمرأة عمل تكون درجته أقل في قبال هذا العمل التنفيذي أبداً. بل إذا أعطيت المرأة عملاً آخر فانها تعطى ثواباً معادلاً للإخلاص، وفي هذه الناحية ليس هناك فرق بين المرأة والرجل.

كثير من الأعمال التنفيذية إذا كانت للنساء، فليس للرجل حق المشاركة، ويجب ان تتولى النساء أنفسهن ذلك. وفي بعض المسائل التنفيذية المتعلقة بالعلوم التجريبية إذا فصل قسم النساء، عند ذلك المرأة هي التي تتولىٰ هذا القسم وهذا الصنف من الأعمال التنفيذية.

سماع واسماع صوت المرأة:

يطرح بهذه المناسبة سؤال وهو هل ان سماع صوت المرأة جائز؟ أم لا؟ وقد طرح هذا السؤال بشكل إجمالي في بحث سابق ولتتميمه يجب رعاية نكتتين، الأولى هي انه هل ان سماع صوت المرأة جائز أم لا؟ والثانية: هل يجوز للمرأة أن تسمع صوتها للآخرين أم لا؟ فهناك بحث يتعلق بالسماع وبحث آخر يتعلق بالاسماع، هناك ناحية مشتركة في هاتين المسألتين حيث ان كليهما ممنوع في تلك الناحية المشتركة، وهناك ناحية مختصة حيث ان كليهما مأذون فيها وفي الحقيقة ان البحث له ثلاث حالات:

الحالة الأولىٰ: ان الرجل إذا أراد سماع صوت المرأة بقصد التلذذ

والريبة فقد ارتكب معصية، ولكن لأن المرأة لم تتكلم بهذا القصد وتتكلم للقيام بعمل عادي لذا فالاسماع ليس له حرمة عليها، فما هو حرام هو السماع بتلذذ أو ريبة. والاسماع ليس حراماً. إلا أن تفهم المرأة ان الرجل يسمع كلامها بقصد التلذذ حيث يجب ان تتجنب المرأة من باب حرمة التعاون علي الاثم.

الحالة الثانية: هي أن تريد المرأة ان تتكلم بقصد تهييج وتحريك الأجنبي فاسماعها حرام، وإذا سمع الرجل بهذا القصد يصبح مبتلىٰ بالحرمة أيضاً.

الحالة الثالثة: هي ان تتكلم المرأة بشكل عادي وليس قصدها تحريك وتهييج، والرجل يسمع بشكل عادي وليس قصده التلذذ والريبة، هنا السماع جائز والاسماع ليس ممنوعاً.

وقال عدد في حرمة الاسماع: إذا أرادت المرأة أن توصل صوتها إلى أجنبي بقصد التهييج والتحريك، فقد ارتكبت حراماً واستدلوا بهذه الآية:

﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾[1].

هذا الاستدلال فيه اشكالان أحدهما وارد والآخر غير وارد.

اما الاشكال غير الوارد فهو ان صدر هذه الآية خاص بنساء النبي ﷺ، وفي صدر الآية هناك:

﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾.

حيث يتضح من صدر الآية ان هذا الحكم من مختصات نساء

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

النبي ﷺ. طبعاً لعله يمكن الإجابة بسهولة عن هذا الاشكال بأن هذا هو لتأكيد المسألة، وإلا فهذا الحكم ليس خاصاً بنساء النبي ويشمل جميع النساء.

اما الاشكال الوارد فهو ان النبي له دلالة على الحرمة ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ وفي موضع آخر قال:

﴿وقلن قولاً معروفاً﴾[1].

أي تكلمن كلاماً جيداً، وفي موضع آخر يقول: ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ أي أدين الكلام جيداً بحيث لا يكون محتوىٰ كلامكن محركاً ولا تكون كيفية أداء كلامكن مهيجة.

لا شك ان الاسماع أي ايصال الصوت إلى سمع الرجل إذا كان بقصد التهييج والتحريك فهو حرام، والفتوىٰ أيضاً على هذا، ولكن هذه المسألة خارجة عن محل البحث؛ لأن البحث ليس في ان تقرأ المرأة، أو ان امرأة توصل صوتها إلى سمع الناس بقصد التهييج والتحريك، بل إن البحث في أن امرأة تريد ان تدرس أو تريد أن تعظ.

إن المرأة تستطيع ان تدرس المسألة الاقتصادية والحقوقية فيصبح طلابها قضاة، وان كانت لا تستطيع هي ان تكون قاضياً، المرأة تستطيع ان تدرس الفقه في مستوىٰ عالٍ فيصبح طلابها مراجع تقليد وان كانت لا تستطيع ان تكون مرجع تقليد. وهو بناء على أن الذكورة تكون شرط في المرجعية وإلا إذا قيل ان تكون المرأة مرجع تقليد للنساء فهذا ليس فيه محذور، أو إذا أرادت ان تكون مرجع تقليد للعموم، في حالة ان لا يكون هناك اختلاط عمومي أو أمثال ذلك فذلك له محل بحث الغرض هو رغم ان

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

البعض ادعوا الاجماع أو الشهرة، ولكن هناك محل لبحث تحليلي ـ أما ما مر سابقاً فكان ان الاسماع إذا لم يكن بقصد التهييج أو التحريك. فهو جائز، كما أن السماع إذا لم يكن بقصد التلذذ والريبة فهو جائز.

رأي الشهيد الأول:

بعض الفقهاء كالمرحوم الشهيد الأول ـ رضوان الله تعالىٰ عليه ـ لديهم كلام حاد في هذا المجال فقد قال في متن اللمعة ـ باب النكاح ـ:

(وكذا يحرم على المرأة ان تنظر إلى الأجنبي أو تسمع صوته إلا لضرورة ـ كالمعاملة والطب)[1] ـ.

لذا احتمل بعض فقهائنا ان تكون هذه النسخة من اللمعة غلطاً وقال: (والمظنون ان نسخة اللمعة غلط) وإلا فمن المستبعد ان تصدر مثل هذه الفتوى من فقيه كالشهيد الأول.

الحجاب حق إلهي:

هناك شبهة في أذهان بعض الأشخاص وهي أنهم يتصورون أن الحجاب هو محدودية للمرأة وحصار أوجدته لها العائلة والارتباط بالزوج. وعلى هذا فالحجاب علامة ضعف وتحديد للمرأة[2].

ان حل هذه الشبهة وتبيين الحجاب في رؤية القرآن الكريم هو ان المرأة يجب ان تدرك بشكل كامل ان حجابها لا يتعلق بها فقط حتى تقول إنني صرفت النظر عن حقي، حجاب المرأة لا يتعلق بالرجل حتى يقول الرجل انني راضٍ، حجاب المرأة ليس ملك العائلة حتى يعطي اعضاء العائلة موافقة، حجاب المرأة هو حق إلهي، لذا نرىٰ في العالم الغربي والمناطق

(١) شرح اللمعة، ج٥، ص٩٩.
(٢) مستمسك العروة الوثقىٰ، مبحث جواز النظر في النكاح.

المبتلية بالقانون الغربي إذا تلوثت المرأة المتزوجة وأعطى زوجها رضى، تعلن قوانينهم ان الملف أغلق، أما في الإسلام فليس هكذا، حرمة المرأة لا تختص بالمرأة نفسها وليست هي للزوج ولا هي خاصة بأخيها وأبنائها. كل هؤلاء إذا وافقوا فالقرآن لا يرضىٰ، لأن حرمة المرأة وحيثية المرأة مطروحة بوصفها حق الله، والله سبحانه خلق المرأة برأسمال العاطفة، حتى تكون معلمة للرقة وتأتي بدعوة العاطفة، إذا ترك مجتمع ما درس الرقة والعاطفة هذا وذهب وراء الغريزة والشهوة يبتلى بنفس الفساد الذي ظهر في الغرب، لذا ليس لشخص حق أن يقول انني وافقت على عدم الحجاب، يتضح مما يقوله القرآن الكريم أن عصمة المرأة، هي حق الله، وجميع أعضاء العائلة وأعضاء المجتمع وخاصة المرأة نفسها هم أمناء أمانة إلهية. المرأة مطروحة بنظر القرآن بوصفها أمينة حق الله. أي ان هذا المقام وهذه الحرمة والحيثية التي هي حق الله، أعطاه للمرأة وقال لها ان تحفظ حقه هذا بوصفه أمانة، عند ذلك يظهر المجتمع بالشكل الذي ترونه في إيران، صبرت إيران حتى آخر لحظة ولم تقم بالعمل الذي يكون على خلاف العاطفة والرقة والرأفة والرحمة. مع أن أعداءنا اعتبروا قتل الأبرياء والمدنيين مشروعاً منذ اللحظة الأولىٰ للهجوم على المناطق السكنية.

ان المجتمع الذي يحكم فيه القرآن، هو مجتمع العاطفة، وسرّه هو أن نصف المجتمع يتولاه معلموا العاطفة، والأمهات هن اللاتي يدرسن الرأفة والرقة سواء شئنا أم أبينا، وسواء عرفنا أم لم نعرف. والرأفة والرقة مؤثرة في جميع المسائل[1].

(١) بحار الأنوار، ج١٠٣. ص٢٣٨.

فلسفة الحجاب في القرآن:

بناء على هذا فليس هناك فرق بين المرأة والرجل في أي قسم وأي بعد من الإبعاد للسير إلى مدارج الكمال، ولكن يجب أن تكون الأفكار قرآنية، أي كما ان القرآن جمع بين الكمال والحجاب والفكر والعفاف، نجمع نحن أيضاً في النظام الإسلامي بين الكتاب والحجاب، أي ان عظمة المرأة هي في:

(ان لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال).

عندما يتكلم القرآن الكريم بشأن الحجاب يقول إن الحجاب عبارة عن نوع من الاحترام والحرمة للمرأة في ان لا ينظر إليها غير المحارم بنظرة حيوانية، لذا يرىٰ النظر إلى النساء غير المسلمات بدون قصد الفساد جائزاً وعلة ذلك هي ان النساء غير المسلمات ليس لهن حظ من هذه الحرمة.

إذا كان شخص عاجزاً عن تشخيص قواعد القيم، من الممكن ان يعتبر الحجاب قيداً ـ معاذ الله ـ في حين ان القرآن الكريم عندما يذكر مسألة لزوم الحجاب يقول:

﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾[1].

إنما يبين علة وفلسفة ضرورة الحجاب هكذا:

﴿ذلك أدنىٰ أن يعرفن فلا يؤذين﴾[2].

نتيجة البحث:

إن المرأة والرجل متساويان في المعايير الأساسية، وهناك مجموعة

---

(١) سورة النور، الآية: ٣١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

مزايا للرجل وهي مزايا تنفيذية وفي مقابلها مسؤوليته أكثر أيضاً، فلو لم يقم بتلك المسؤولية يكون وزره أكثر. بناء على هذا نستنتج **أولاً**: أن التهم التي لصقوها بالإسلام وقالوا ان الإسلام حرم نصف المجتمع من كثير من الحقوق، غير صحيحة، **ثانياً**: إن ذكر المرأة على أنها مظهر ضعف وحقارة هي تعصبات وتقاليد جاهلية انتشرت في ثقافة المجتمعات الإسلامية منذ القديم، وهذه يجب أن ترفع. **ثالثاً**: إذا شعر شخص بأن المرأة يجب أن لا تستفيد من العلوم والوسائل التربوية وأمثالها التي تقدم للمجتمع خدمات قابلة للعرض، فيجب صرف النظر عن هذا الاعتقاد ولتحصل الرغبة بأن تتعلم المرأة كالرجل هذه العلوم والمعارف، وتخدم المجتمع، إلا في المحل الذي جعل للرجل بشكل استثنائي. **رابعاً**: أن **﴿وعاشروهن بالمعروف﴾** ليس لها اختصاص بالمسائل داخل المنزل، بل هي جارية في كل المجتمع، والمسألة الخامسة هي ان المرأة في مقابل الرجل غير المرأة في مقابل الزوج، أي أن المرأة يجب أن تمكن في مقابل الزوج، أما المرأة في مقابل المجتمع، فهي مثل أي فرد من أفراد المجتمع، وفي المسائل العائلية تكون المرأة أحياناً قواماً وقيوماً والرجل يجب ان يطيع، فالابن يجب ان يطيع الأم ولو كان في مستوىً عالٍ من التخصص العلمي.

ملاحظة: رغم ان هناك شبهات قابلة للطرح في مسألة تساوي المرأة والرجل، ولكن بملاحظة القواعد العامة المذكورة ومعرفة الخطوط الأساسية لنظام القيم في الإسلام، وتبيين محور السعادة والشقاء، يكون جوابها واضحاً.

والحمد لله رب العالمين

الفهرس



